الدبلوماسي

السنة السابعة والعشرون - العدد 275
يناير 2019 الثمن 10 جنيهات

مصر وإفريقيا
عطاء ووفاء

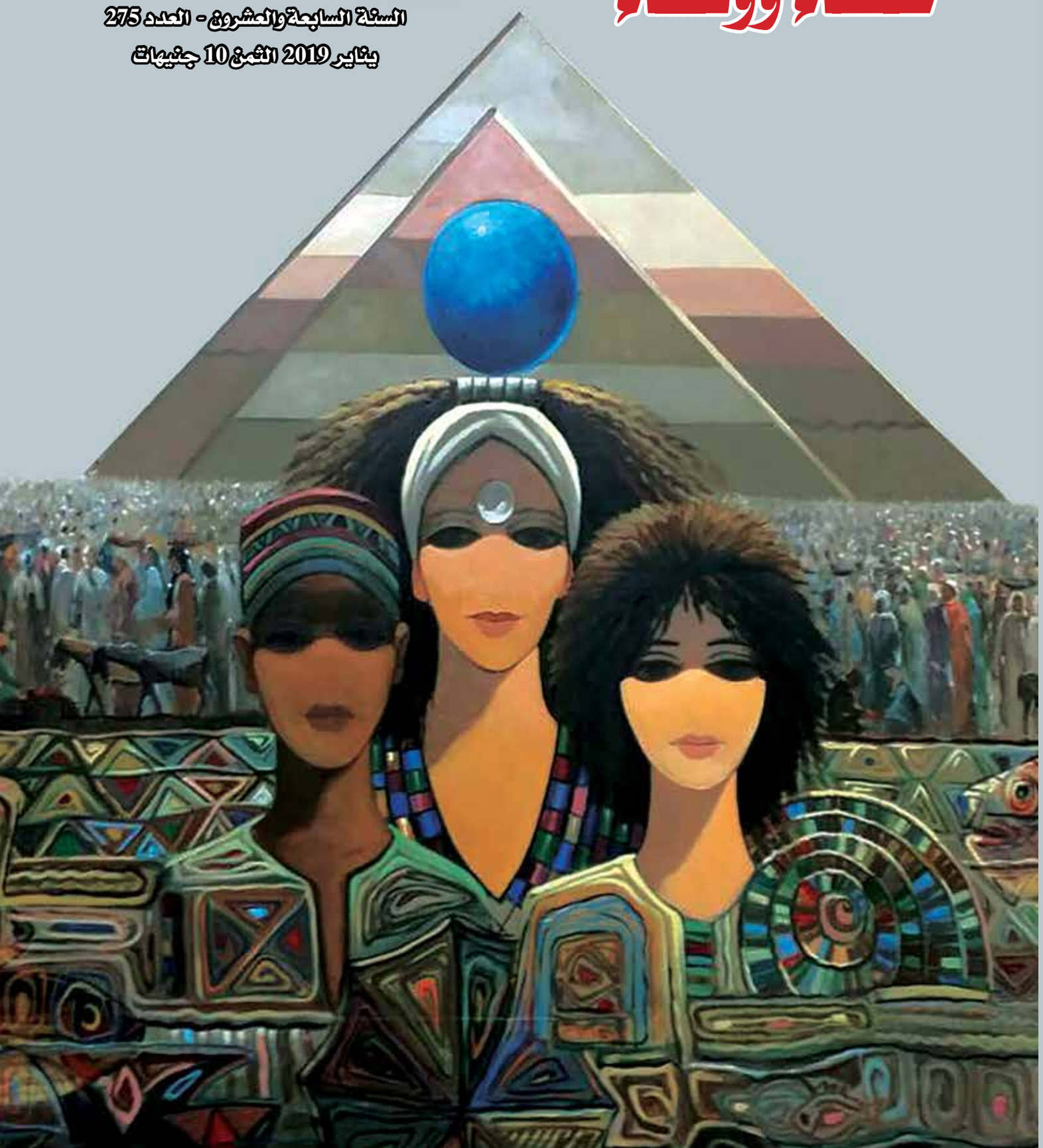

الدبلوماسي يناير 2019

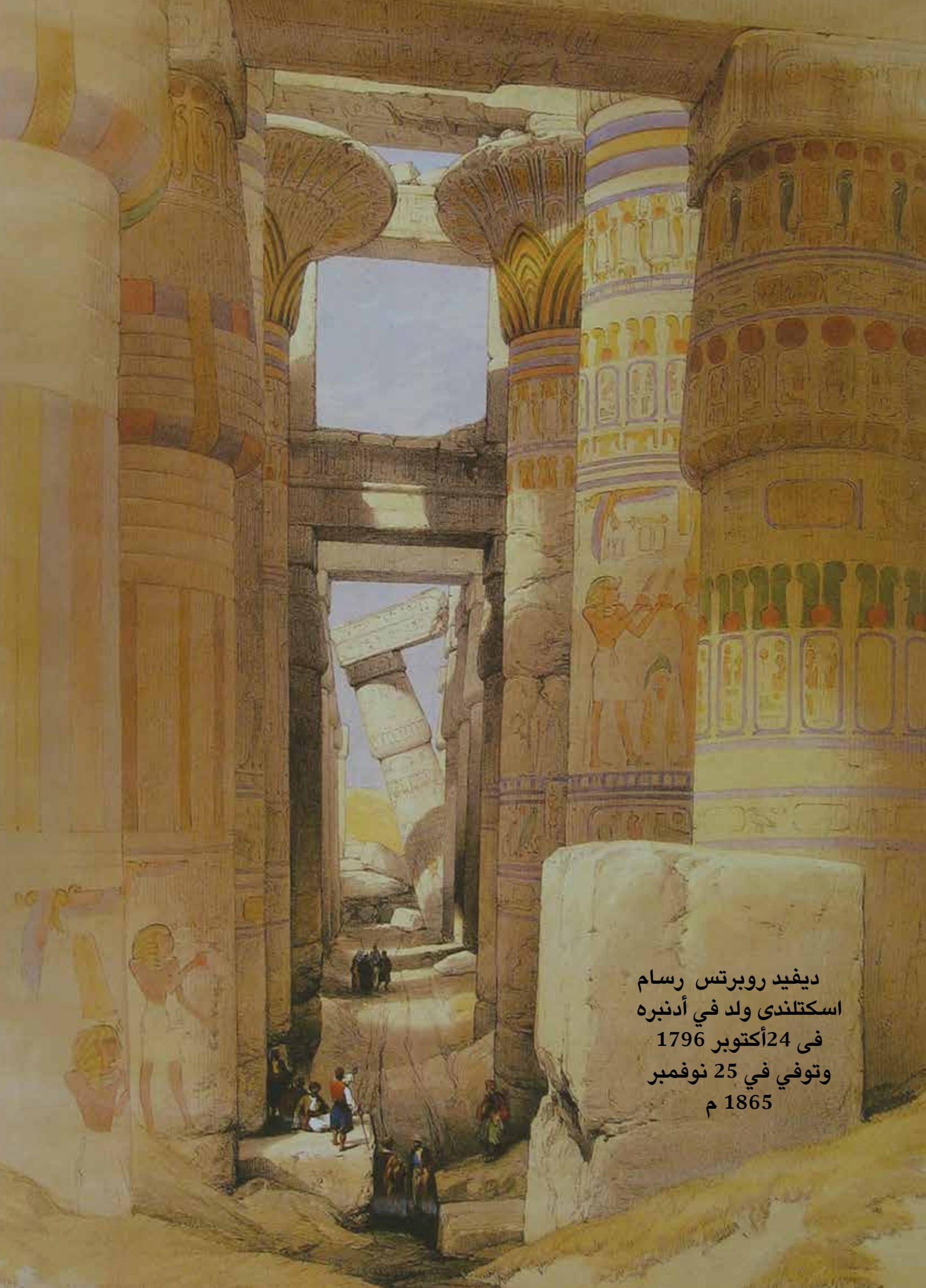

ديفيد روبرتس رسام
اسكتلندى ولد في أدنبره
فى 24أكتوبر 1796
وتوفي في 25 نوفمبر
1865 م

مجلة شهرية منوعة تصدر منذ مارس 1992 عن

النادى الدبلوماسى المصرى

أسسها

السفير مصطفى العيسوى

رئيس مجلس إدارة النادى الدبلوماسى

سفير خالد طه

رئيس تحرير مجلة الدبلوماسى

سفير رضا الطايفى

المستشار القانونى

رجائى عطية

مستشار التحرير

عادل عبد الصمد

المستشار الفنى

جمال عبد النبى

سكرتير تحرير تنفيذى

شادى غالى

أسرة تحرير العدد

سفيـــر أشـــرف عقـــل

سفيـــر يـــوسف الشرقـــاوى

سكرتير أول أحمد أبو المجد

سكرتير ثـان هنـــد منـــذر

سكرتير ثـان عمرو الشاذلـى

توجه المراسلات إلى رئيس تحرير مجلة «الدبلوماسى»:

مبنى وزارة الخارجية المصرية - ماسبيرو الدور 28 - غرفة 2820

تليفاكس +202 27735457

www.diplomategypt.com

facebook.com/diplomat.magazine.egypt

diplomatmagazine92@gmail.com

فى هذا العدد

مجلة «الدبلوماسى»بين الاستمرارية وتعاقب الأجيال ..... بقلم السفير رضا الطايفى 4
الحقيبة الدبلوماسية 7
إيدكس معرض الدفاع الدولى 14

مصر وإفريقيا

مصر وإفريقيا عطاء ووفاء ..... سفيرعبد الرءوف الريدى 18
2019 عام انطلاق مصر إفريقيا .....أحمد عبد السلام 24
مصر وإفريقيا حكاية يرويها النيل ..... عـادل عبدالصمد 26

سياســـــة

وداعاً تركيا ..... سفير عبد الرحمن صلاح 30
المؤتمر السنوى للمجلس المصرى للشئون الخارجية (2018)..... سفيرد. عزت سعد 36
المواطنة والانتماء الوطنى..... المستشار رجائى عطية 42
محمد صلاح والصورة النمطية لعرب 1948 ..... سفير حازم خيرت 44
إعادة بناء قرية العراقيب فى النقب ..... سفير محمود كريم 47
المستجدات على طريق حل الأزمة السورية سياسياً..... سفير رخا أحمد حسن 48
اليمن إلى أين: ماذا بعد السويد؟ .....سفير يوسف الشرقاوى 52
النظام الدولى فى 2019 ..اضطراب أم استقرار؟ ..... د.أحمد سيد أحمد 54

مستقبليـــــات

آلية هامة لتطوير التعليم والبحث العلمى بمصر..... أ. د. محمود السعيد 56
«الابتكار أم الاندثار»: قراءة فى تقرير عربى مهم.....سفير د. وليد محمود عبد الناصر 57
كيف وظفت الصين الشبكات الاجتماعية فى خدمة التنمية؟ ..... د. عادل عبد الصادق 60

قراءات ودراسات

هوية مصر فى عالم متغير ..... سفير د. السيد أمين شلبى 66

الدبلوماسى

عدد 275

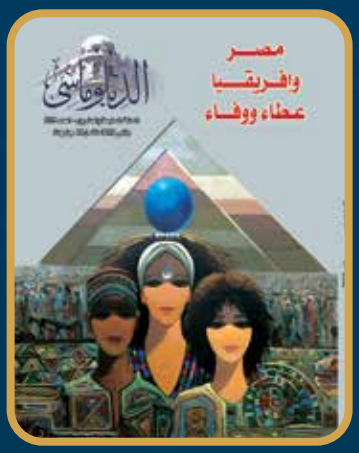

الغلاف هدية من الفنان
د. طه القرنى

جميع الآراء الواردة بالمقالات تعبر عن أصحابها دون أدنى مسئولية على المجلة، والخرائط المنشورة توضيحية إلا إذا ذكر غير ذلك

توجه المراسلات والمقالات
باسم رئيس التحرير
Email: diplomatmagazine92@gmail.com

ترحب «الدبلوماسي» بإسهامات واقتراحات السادة أعضاء السلك الدبلوماسى والقنصلى بما يقدمونه من مقالات تثرى المجلة بثقافاتهم وتجاربهم الدبلوماسية

جميع الحقوق محفوظة

يناير - 2019

مراكز الفكر والمتغيرات العالمية الراهنة.....سفير د .عادل السالوسى 70

عن «يوماً أو بعض يوم» لمحمد سلماوى.....د. أحمد خميس 76

شـــآبـــيب ..... سوسن رحمى 78

قصة

أنا جميلة لكنى ما زلت طفلة.....سفيرة د.عبير بسيونى 80

بنت النيل

رابطة زوجات الدبلوماسيين.....اعداد : نادية الريس 84

مرآة التاريخ

حول الدعوة للاحتفال بمئوية السادات..... سفير د. محمد نعمان جلال 88

مـــــرج دابـــــق .....سفير محمد عبدالمنعم الشاذلى 92

لماذا إلتباس التاريخ (2) .....سفير د. محمد بدرالدين زايد 94

ثقافـــة وفنـــون

تعدد أماكن الفن المعمارى الإسلامى(3) ..... د. يـوســف نـوفـل 96

فنون تشكيلية ..... سفير فخرى عثمان 100

الدبلوماســى الفنان .....سفير ساهر حمزة 102

ولا عجيب الا البرازيل.....سفير أسامة توفيق بدر 104

ماريا و جونتر، قصة حب و قدر..... سفير د. هادى التونسى 108

تـمثـال العـــار ..... د .وسيم السيسى 109

الاسكندرية عروس البحر المتوسط..... عبير الروح سعيد 110

تـــأمـــلات..... سفير أشرف عقل 114

اللـــــه والنـــــاس..... سفير د. فتحى مرعى 116

افتتاحية العدد

مجلة «الدبلوماسى» بين الاستمرارية وتعاقب الأجيال

رئيس التحرير

السفير رضا الطايفى

taifyreda@yahoo.com

مرت مجلة «الدبلوماسى» عبر تاريخها بمحطات عديدة منذ تأسيسها فى مارس 1992، مثلت كل واحدة منها إضافة تحسب لجيلها وزاداً جديداً يدفعها لاستكمال المسيرة إلى المحطة اللاحقة، وبهذه المكانة المتميزة استطاعت المجلة عبر مسيرتها أن تتبوأ موقعاً مميزاً فى عالم صاحبة الجلالة.

وأشاد بها العديد من كبار الكتاب والمثقفين ونسجل هنا على سبيل المثال، ما كتبه بعض الكتاب:

فى (7 - 8 - 1996) فى مجلة «آخر ساعة»، كتب الكاتب حلمى سلام معلقاً على حوار السفير محمد وفاء حجازى مع إيريك رولو:

(بهذا الصحفى الكبير، التقت مجلة «الدبلوماسى»، وهى مجلة فصلية، يصدرها النادى الدبلوماسى المصرى.. راقية رقى الدبلوماسية المصرية، شفافة شفافيتها، شجاعة شجاعتها، ويرأس تحريرها الكاتب الصحفى السفير محمد وفاء حجازى، الذى عصر (رولو) عصراً، وأخذه وطوف به حول كل قضايا الشرق الأوسط وأزماته، ومعضلاته التى تتصدرها الآن (معضلة السلام). ولأن رولو فى الأساس مواطن مصرى ولد بمصر وعاش فيها طفولته، فلقد رأى السفير وفاء حجازى أن يبدأ معه الحوار من هنا، من مصر).

وفى (24 - 1 - 1998) كتب الكاتب منير عامر فى جريدة «العالم اليوم» تحت عنوان (مجلة الدبلوماسى):

(وقع فى يدى ثلاثة أعداد من مجلة الدبلوماسيين التى يصدرها النادى الدبلوماسى، ويرأس تحريرها السفير محمد وفاء حجازى.

تلك المجلة يحتاجها، كل من يعمل فى العمل العام سواء رجال أعمال أو سياسة، خصوصاً وأن أذن الوزير المقتدر عمرو موسى، بتحويلها إلى مجلة تعرض الخبرات التطبيقية فى الدبلوماسية المصرية، وطاقم تحرير المجلة قادر على ذلك).

وفى (15-7-1998) كتب الكاتب محمد العزبى فى جريدة «الجمهورية»، تحت عنوان (الدبلوماسى الفصيح):

(أعادت مجلة «الدبلوماسى» الاعتبار لنا ولفلسطين وللعرب فى

السفير مصطفى العيسوى

السفير محمد وفاء حجازى

السفير محمد سعيد السيد

عددهـــا الأخير، الـــذى تصدرته على الغلاف لوحة معبـــرة للفنان الواعى الأصيل (حلمى التونى)، قدم فيها فتاة فى عيونها حزن وأمـــل، فى انتظار صلاح الدين.

تحس أن وراء مجلة «الدبلوماسى»، فكراً وهدفاً وأنها تتطور شـــهراً بعد شـــهر، حتى كان عددها الأخير الذى استحق الاحترام والإشادة وهو شهادة للدبلوماســـى المصرى، الذى يتمتع بالعلم والدراســـة وبالعمل والاجتهاد إلى جانب الحماس الوطنى والانطلاقة القومية).

وفى (14 - 7 - 1999) كتب الكاتب محمد العزبى فى جريدة «الجمهورية» تحت عنوان (دبلوماسيون وفنانون):

(لو أنك تقرأ مجلة «الدبلوماسى»، لعرفت أن السفراء شـــعراء وأن من بينهم من يمســـك بالقلم ويبدع، ليس فقط فى كتابـــة المقالات، والتحليلات السياسية، أو نشر الذكريات وإنما فى الرواية والأدب.

ويصعب حصر الدبلوماســـيين الذين يجيدون الكتابة أو الرســـم أو التصوير وباقى الفنون).

وفـــى (22 - 9 - 1999) كتبت الكاتبـــة مها عبد الفتـــاح فى جريدة «الأخبار» تحت عنوان (عندما يشتغل السفراء بالصحافة):

(دهشـــنى هؤلاء السفراء من هواة الصحافة ومجلتهم الشهرية المسماة «الدبلوماســـى»، فقـــد جعلتنى أعيد النظر فـــى متطلبـــات المهنة، مهنة الصحفيين المحترفين.

فـــإذا كان بإمـــكان مجموعـــة دبلوماســـيين عاشوا حياة دبلوماسية كاملـــة، أن يصدروا مجلـــة على هذا المســـتوى عندما تفرغوا لشـــئون حياتهـــم، مجلة شـــيقة مقـــروءة، فيها سياســـة وثقافة وفن تشـــكيلى ومعلومات ومعارف شيقة، وتبقى بين الأيدى لساعات متصلة...

عـــاودت مراجعة بعـــض الأعداد الأخيرة (تصدر شهرية) فوجدتها ذات منهج، تقدم ثقافة عامـــة للمواطن، رؤية شـــبه متكاملة لنـــواح متعددة فـــى الحياة، تحليلات فى السياســـة الخارجية، تحقيقات من داخل البلاد، مقتطفات مـــن تاريخ مصر الحديث، السياسى والدبلوماسى من شخصيات وأحداث ذات دلالـــة فى قالب روايات وحكايات ذات معنى).

وفـــى (11 - 12 - 2001) كتبت الكاتبة ســـناء فتح اللـــه فى جريدة «الأهرام» تحت عنوان (زهور فى بلاط الصحافة):

(مجلة «الدبلوماســـى» رسخت أقدامها بقـــوة الأداء النوعى المتميز والمســـتنير، ويضم كتابها مجموعة من كبار الدبلوماســـيين، فى شـــتى النواحى المهنية، لتضئ مفهوم العمل الدبلوماسى).

وفـــى (25 - 12 - 2018) كتب د.مصطفـــى الفقى فـــى «المصرى اليوم»:

(تصدر مجلة «الدبلوماســـى» عن نادى الدبلوماســـيين متواصلة على امتداد ســـبعة وعشـــرين عاماً الآن. ويشترك فى تحريرها كتاب مرموقون من أعضاء السلك الدبلوماسى وذوى التخصصات المختلفة من الخارجية).

واعتباراً من هذا العدد يناير 2019 تواصل المجلة أداء رسالتها بمجلس تحرير جديد خلفاً لمجلس تحرير أدار مهمتـــه التطوعية بكل مهنية وحرفية وتجرد واقتدار. حيث وصلنى خطاب من الســـفير الجليل خالد طه رئيس مجلـــس إدارة النادى الدبلوماســـى يخطرنى فيه بصـــدور قرار مجلس الإدارة باختيـــارى لتولى مســـئولية رئاســـة تحرير مجلة «الدبلوماسى» معرباً عن أمله فى أن تســـتمر المجلة فى عطائها لصالح أسرة الدبلوماسية المصرية ومنبراً لنشر خبرات وتجارب أعضائها. وقد تلقيـــت هذا الخطاب بمزيج من مشـــاعر السعادة والزهو لهذه الثقة الغالية التى أعتز بها يقيناً وأملاً أن أكون بإذن الله عند حســـن الظن بـــى، مثلما حاولت وســـعيت وعملـــت دائماً طوال فتـــرة خدمتى بوزارة الخارجيـــة المصرية العريقة على مدار قرابـــة 35 عاماً، متنقلاً ما بين الديوان العام وســـفارات مصر وقنصلياتها العامة. ومشاعر الإحساس العالى بالمسئولية فى خلافة أساتذتى وأســـاتذة الأجيال من السفراء الرواد العظام، ابتداء من الســـفير المؤسس للمجلـــة مصطفى العيســـوى مروراً بالسفراء محمد وفاء حجازى- محمد سعيد الســـيد- د.محمد الضرغامى وانتهاء بالسفير سعد الفرارجى الذى شرفت والسفيران عبد الفتاح عز الدين وهشـــام الزميتى بالعمـــل معه نواباً لرئيس التحرير خلال الفترة من يناير 2016 حتى ديسمبر 2018.

ويطيـــب لى أن أســـجل فى هذا المقام كل الشـــكر للســـفير ســـعد الفرارجى الذى-رغم مشاغله العديدة- لم يدخر وقتاً أو جهداً أو علماً أو خبرة من أجل سمو مجلة «الدبلوماسى» إلى موقع متميز، متمنيـــاً له كل التوفيق والنجاح فى مهمته الســـامية «مقرر الأمم المتحدة الخاص المعنى بالحق فى التنمية»، كما أسجل شكراً مستحقاً لكل من السفير عبد الفتاح عز الدين والسفير هشام الزميتى لكل ما بذلاه من جهد مخلص ومقدر وكل ما أبدياه من تعاون وما قدماه من أفكار ورؤى من أجل الوصـــول بالمجلة إلى هذا المســـتوى القابل للمنافسة والقادر عليها.

وأود بهذه المناسبة التأكيد على عدد من الثوابت والمحددات:

أولها: أن مجلة «الدبلوماســـى» ســـتظل - كالعهد بهـــا دائماً - منبـــراً رصينـــاً وجاداً لـــكل أجيال الدبلوماســـية المصرية يعكس ثوابت

السفير د محمد الضرغامى

مصر الوطنية والأمن القومى العربى والدوائر التقليدية والمستجدة للدبلوماسية المصرية على المستويات الثنائية والإقليمية والمتعددة الأطراف وتطورات وتأثيرات الثورة الرابعة المرتبطة بتكنولوجيا المعلومات والاتصالات.

ثانياً: أن التعريف بمصر المكان والإنسان والمكانة والتاريخ وما تمتلكه من تراث حضارى وإنسانى وقوة ناعمة سيظل حاضراً فى ما تنشره المجلة فى أعدادها المتوالية.

ثالثها: الانفتاح على التجارب التنموية المختلفة ارتباطاً بأهداف التنمية المستدامة اقتصادياً واجتماعياً وثقافياً وما يمكن الاسترشاد به فى مصر وهى فى سبيل عمليات الإصلاح الاقتصادى وإنجاز رؤية مصر 2030 وصولاً إلى تحقيق نهضة حقيقية تليق بتاريخها وشعبها، وارتباطاً بذلك أدعو كل الزميلات والزملاء من كل الأعمار والأجيال أن يساهموا بكتاباتهم حول أهم مشاهداتهم من تجارب وخبرات تنموية يمكن أن تفيد القارىء وتعرض بدائل أمام صانعى القرار.

رابعها: أن مجلة «الدبلوماسى» تعد بمثابة نافذة للدبلوماسية المصرية على الرأى العام وقد يكون من المناسب تسليط الضوء على جانب مما تحققه بعثاتنا الدبلوماسية والقنصلية من إنجازات ذات بعد تنموى اقتصادياً أو اجتماعياً أو ثقافياً أو قنصلياً، ويرحب مجلس تحرير المجلة بنشر إسهامات سفرائنا وسفاراتنا وقنصلياتنا العامة فى هذا الشأن بما لا يتعارض وأمن المعلومات واعتبارات الأمن القومى.

خامسها: أن القارة الإفريقية بما تمثله من مجال حيوى وأهمية جيواستراتيجية، وبما تشهده من تحولات كبرى فى مجالات التنمية المختلفة ومقتضيات دخول دولها البازغة فى شراكات إقليمية ودولية مختلفة من أجل تحقيق أهداف وغايات التنمية المستدامة ورؤية 2063 وتأثيرات ذلك على طبيعة ومسار علاقاتنا بدول القارة سوف ينعكس بالضرورة على اهتمامات وتغطيات مجلة «الدبلوماسى» ليس فقط بحكم الاعتبارات السابقة أو بحكم خصوصية العلاقات المصرية الإفريقية، ولكن أيضاً بحكم تولى مصر رئاسة الاتحاد الإفريقى خلال عام 2019.

مع كل الأمل والثقة أن تشهد قارتنا الإفريقية خلال هذا العام وثبات ذات مغزى على طريق التنمية والتقدم والازدهار وأن تشهد العلاقات المصرية الإفريقية مزيداً من التطور وتفعيل كافة مجالات التعاون الممكنة بين الجانبين، يرشحها لذلك أساس تاريخى صلب وحاضر يشهد إرادة مصرية قوية للارتقاء بهذه العلاقات إلى أفق أرحب ومجالات أشمل.

ويمكن فى هذا السياق الإشارة إلى نشاط دبلوماسية القمة والزيارات الرئاسية الثنائية العديدة لدول القارة الإفريقية واستقبال العديد من القادة الأفارقة فى مصر، ونجاح مصر فى استضافة وتنظيم العديد من المؤتمرات والفعاليات ذات البعد الإفريقى مثل منتدى إفريقيا 2018 والذى عقد فى شرم الشيخ يومى 9 - 10 ديسمبر والمعرض الأول للتجارة البينية الإفريقية من 11 - 17 ديسمبر 2018 والذى يُعد بالفعل خطوة أساسية لدعم التكامل الاقتصادى بين دول القارة والذى توليه مصر أهمية خاصة فى ضوء إنجاز اتفاقية التجارة الحرة القارية الإفريقية المقرر أن تدخل حيز النفاذ فى القريب العاجل، كما أن ارتفاع حجم الاستثمارات المصرية فى إفريقيا إلى حوالى ثمانية مليارات دولار يؤكد سلامة وجدية التوجه المصرى نحو عمقنا الإفريقى.

السفير سعد الفرارجى

وفى هذا الإطار فإن مجلس تحرير المجلة عازم على أن يحظى الشأن الإفريقى بنصيب وافر ومساحة تليق بحجم وطبيعة العلاقات المصرية - الإفريقية وما تشهده القارة من تطورات.

ختاماً، أتوجه باسم مجلس تحرير مجلة «الدبلوماسى» للقارئ العزيز بأصدق التهانى بمناسبة العام الميلادى 2019، داعياً الله العلى القدير أن يحمل العام الجديد لمصرنا الحبيبة كل بشائر الخير والنماء ولوطننا العربى الأمن والاستقرار ووحدة الكلمة، وأن يسود السلام فى كل أنحاء المعمورة.

حقيبة الوزير

تضمنت حقيبة السيد سامح شكرى وزير الخارجية نشاطا مكثفا منه:

الكويت

التقى وزير الخارجية سامح شكرى، الشيخ صباح الأحمد الجابر الصباح أمير دولة الكويت، وذلك فى مستهل زيارته للعاصمة الكويتية لترأس أعمال الدورة الثانية عشرة للجنة المصرية الكويتية المشتركة برئاسة وزيرى خارجية البلدين.

وقال المستشار أحمد حافظ المتحدث الرسمى باسم وزارة الخارجية، إن الوزير شكرى حرص فى بداية اللقاء على نقل تحيات رئيس الجمهورية عبد الفتاح السيسى إلى الشيخ صباح الأحمد الجابر الصباح، مؤكداً اعتزاز مصر الكامل بالروابط الوثيقة والأخوية التى تجمع بين البلدين والشعبين الشقيقين، والتى تستمد قوتها ورسوخها من العلاقات التاريخية التى دائماً ما جمعت بين البلدين وإيمانهما بوحدة الهدف والمصير، ومعرباً فى ذات السياق عن تقدير مصر للجهود التى تقوم بها الكويت على الساحة العربية، والدور المهم الإيجابى الذى يقوم به أمير الكويت تعزيزاً لمسار التضامن والعمل العربى المشترك، وعلى نحو يرسخ من دعائم السلم والأمن الإقليمى والدولى.

شكرى يبحث آفاق العلاقات المصرية السعودية المُشتركة مع رئيس مجلس الشورى السعودى

استقبل السيد سامح شكرى وزير الخارجية، يوم 26 ديسمبر معالى الشيخ عبد الله بن محمد آل شيخ رئيس مجلس الشورى السعودى، وذلك أثناء زيارته إلى القاهرة، حيث تناول اللقاء سبل تطوير آفاق العلاقات المشتركة والقضايا الإقليمية ذات الاهتمام المشترك. وصرح المُستشار أحمد حافظ المُتحدث الرسمى باسم وزارة الخارجية، بأن الوزير شكرى ثمّن فى بداية اللقاء عمق ومتانة العلاقات المصرية السعودية، والتى تعد امتداداً للروابط التاريخية وقيم التآخى التى دائماً ما جمعت بين البلدين والشعبين الشقيقين، ومشيداً بالمستويات المتميزة التى وصلت إليها العلاقات الثنائية فى شتى المجالات فى ظل حرص الجانبين على ترسيخ أطر الشراكة بينهما على المستويين الشعبى والرسمى.

وأضاف المُتحدث الرسمى للخارجية، أن الوزير شكرى أعرب أيضاً عن تقديره لمستوى التعاون القائم بين البرلمانين المصرى والسعودى، حيث تم تناول أهمية الدبلوماسية البرلمانية ودور ذلك فى طرح الموضوعات المختلفة وتأثيرها الإيجابى فى تعزيز مسار التعاون الثنائى على كافة الأصعدة، ولما فيه خير ومصلحة الشعبين الشقيقين.

وذكر حافظ، أن اللقاء تناول أيضاً مُجمل القضايا الإقليمية ذات الاهتمام المشترك، حيث عكست المناقشات بين الجانبين إدراكاً مشتركاً لحجم التحديات التى تُواجه المنطقة العربية، وبرُز توافق فى الرؤى فى شأن ضرورة الدفع بمسار التضامن والعمل العربى المشترك فى مواجهة كافة التحديات بما يرسخ من دعائم الأمن والاستقرار فى المنطقة. كما أكد الوزير شكرى خلال اللقاء على دعم مصر الكامل للأشقاء فى السعودية، ووقوفها مع المملكة فى كل ما تتخذه لضمان أمنها واستقرارها.

شكرى يلتقى رئيس هيئة قضايا الدولة

استقبل السيد سامح شكرى، يوم 25 ديسمبر، السيد المستشار حسين حمزة رئيس هيئة قضايا الدولة. وصرح المُستشار أحمد حافظ المُتحدث الرسمى باسم وزارة الخارجية، بأن اللقاء جاء على ضوء حرص الجانبين على التشاور المستمر وتعزيز أطر التعاون بين مؤسسات الدولة على كافة الأصعدة تحقيقاً للصالح العام. وأضاف المُتحدث الرسمى للخارجية، أن الوزير شكرى أعرب خلال اللقاء عن تقديره للدور المحورى الذى تضطلع به هيئة قضايا الدولة بكل حيادية وتجرد من أجل الحفاظ على المصلحة العامة، منوهاً بحرص وزارة الخارجية على التواصل الدائم مع الهيئة فى شأن كافة القضايا ذات الاهتمام المشترك.

هذا، وقد قام المستشار حسين حمزة فى نهاية اللقاء بتسليم الوزير شكرى درعاً تكريماً له، وانعكاساً للتعاون المثمر بين الجانبين.

جدير بالذكر، أنه قد رافق رئيس هيئة قضايا الدولة فى اللقاء كل من المستشار محمد عبد اللطيف الأمين العام لهيئة قضايا الدولة، والمستشار بدرى مجلى رئيس المكتب الفنى، والمستشار يسرى مدنى الأمين العام المساعد للهيئة.

شكرى يلتقى نظيره التونسى فى القاهرة

التقى السيد سامح شكرى وزير الخارجية، يوم 5 يناير الجارى، السيد خميس الجهيناوى وزير الشئون الخارجية التونسى، حيث تناول الوزيران أوجه تعزيز العلاقات الثنائية ومجمل وتطورات القضايا الإقليمية محل اهتمام البلدين، وذلك أثناء زيارة الوزير الجهيناوى إلى القاهرة بصفته مبعوث رئيس الجمهورية التونسية لتسليم السيد رئيس الجمهورية عبدالفتاح السيسى الدعوة لحضور القمة العربية المقبلة فى تونس.

وصرح المُستشار أحمد حافظ المُتحدث الرسمى باسم وزارة الخارجية، بأن اللقاء يأتى على ضوء حرص الجانبين على استمرار قنوات التواصل والتشاور فى شأن تطورات قضايا المنطقة، وفى مقدمتها تطورات الأوضاع فى ليبيا، حيث أكد الوزيران على الالتزام الكامل بدعم الأشقاء فى ليبيا على كافة الأصعدة، واستمرار التنسيق من أجل الدفع بالحل السياسى فى إطار حوار ليبى ليبى ووفقاً للاتفاق السياسى الليبى، وبما يسمح باستعادة الأمن والاستقرار فى البلاد.

ومن جانبه، أعرب الوزير الجهيناوى عن اعتزاز بلاده بالعلاقات المتميزة والأخوية مع مصر، وسعيها إلى دفع وتعزيز تلك العلاقات، مؤكداً حرص تونس على التنسيق والتشاور مع القاهرة تجاه القضايا المختلفة.

كما حرص الوزير الجهيناوى خلال اللقاء على إطلاع الوزير شكرى على الترتيبات الجارية التى يقوم بها الجانب التونسى لاستضافة أعمال القمة العربية المقبلة فى مارس القادم، مشيراً إلى تطلعهم لإنجاح القمة فى إطار المزيد من تعزيز التعاون والتضامن والعمل العربى المشترك.وذكر حافظ فى ختام تصريحاته، أن وزير الخارجية شكرى أعرب عن تطلعه للتشاور وتنسيق المواقف مع تونس خلال الفترة المقبلة فى شأن مجمل القضايا المطروحة على جدول أعمال القمة.

وزير الخارجية يشارك فى مبادرة «100 مليون صحة»

شارك سامح شكرى وزير الخارجية يوم 24 ديسمبر فى مبادرة السيد رئيس الجمهورية «100 مليون صحة»، والتى تهدف إلى القضاء على فيروس «سى» والكشف عن الأمراض غير السارية.

وصرح المستشار أحمد حافظ المتحدث الرسمى باسم وزارة الخارجية، بأن سامح شكرى وزير الخارجية حرص على المشاركة فى المبادرة على ضوء أهميتها من خلال إجراء الفحوصات اللازمة، فضلاً عن تفقد الترتيبات التى تم اتخاذها للكشف على أعضاء الوزارة.

وأكد الوزير شكرى أن المبادرة تعكس اهتمام السيد رئيس الجمهورية بصحة المواطنين المصريين فى إطار السعى لتحقيق التنمية الشاملة فى كافة القطاعات وعلى رأسها قطاع الصحة، منوهاً بأن توفير المستوى اللائق للرعاية الصحية للمواطنين وبناء الإنسان المصرى يعد أحد أهم أولويات الحكومة. وأشار المتحدث باسم الخارجية إلى أن مبادرة «100 مليون صحة» استمرت على مدار أسبوع كامل بوزارة الخارجية من أجل إجراء الكشوفات والفحوصات اللازمة لأعضاء الوزارة، مؤكداً اهتمام الوزارة بحث الأعضاء على المشاركة فى المبادرة.

الخرطوم تستضيف اجتماعاً رباعياً لوزيرى الخارجية ورئيسى المخابرات

يتوجه السيد سامح شكرى وزير الخارجية والسيد اللواء عباس كامل رئيس جهاز المخابرات العامة إلى العاصمة السودانية الخرطوم للمشاركة فى الاجتماع الرباعى الثانى على مستوى وزيرى الخارجية ورئيسى جهازى المخابرات بمصر والسودان. وصرح المستشار أحمد حافظ المتحدث الرسمى باسم وزارة الخارجية، بأنه من المنتظر أن تشهد الزيارة أيضاً عقد اجتماع ثنائى بين وزيرى خارجية البلدين، مشيراً إلى أن تلك الاجتماعات تأتى فى إطار التواصل الدائم بين الجانبين على كافة المستويات، وفى ضوء توجيهات قيادتى البلدين نحو دعم العلاقات الثنائية وتطويرها فى كافة المجالات. ونوه المتحدث باسم الخارجية إلى أن الاجتماعات سوف تتناول كافة جوانب التعاون المشترك بين البلدين، ومتابعة تنفيذ نتائج اللجنة الرئاسية المصرية السودانية المشتركة فى العاصمة السودانية الخرطوم برئاسة الرئيس عبد الفتاح السيسى والرئيس السودانى عمر البشير فى أكتوبر 2018، من أجل تعزيز العلاقات الثنائية بين البلدين لآفاق أرحب بما يرقى لتطلعات شعبى البلدين الشقيقين.

تهنئة عيد الميلاد المجيد

يتقدم السفير رضا الطايفى وأســـرة مجلة «الدبلوماسى» بتهنئة الأخوة الأقباط بعيد الميلاد المجيد وبداية عام ميلادى يحمل كل الخير والأمانى الطيبة لمصر الغالية.

وما يســـعد كل المصريين أن يتزامن عيد الميلاد المجيد مع افتتاح مســـجد «الفتاح العليم» وكاتدرائية «ميلاد السيد المسيح» فى العاصمة الإدارية الجديدة.

وحرص رئيس الجمهورية الســـيد عبد الفتاح السيسى على حضور قداس العيد وسط أبنائه ومشاركتهم فرحتهم، وأقيم الاحتفال بحضور الرئيس الفلسطينى محمود عباس أبو مازن، والبابا تواضروس الثانى بابا الإسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية. والدكتور أحمد الطيب شيخ الأزهر الشريف، ومفتى الجمهورية، وعدد من ممثلى الدول العربية والأجنبية وكبار رجال الدولة.

أكد الرئيس السيسى أن شـــجرة المحبة التى تم غرسها ستخرج من مصر المحبة والتسامح والمودة والتآخى لدول العالم.

وزير الشباب والرياضة يلتقى مساعد وزير الخارجية للشئون الثقافية

التقى الدكتور أشـــرف صبحى وزير الشـــباب والرياضة، السفير محمود طلعت مساعد وزير الخارجية للشئون الثقافية، وذلك لبحث سبل التعاون بين الوزارتين والخاص بقطاعى الشباب والرياضة، وذلك على المستوى العربى والإفريقى.

تناول الاجتمـــاع تحديد أطر عمل خاصة للتعاون مع الدول الإفريقية والعربية، من خلال الاتحادات الإفريقية المتواجدة بالقاهرة، وكذلك إدماج طلاب البعثات الإفريقية فى أنشـــطة وزارة الشباب والرياضة.

وفى هذا الصدد قال وزير الشـــباب والرياضة، إن الوزارة لديها خطة متكاملة قائمة على عدد من البرامج التى تستهدف جميع شباب البعثات الإفريقية والعربية، وإشراكهم فى أنشطة وزارة الشـــباب والرياضة، بهدف توطيد أواصر التعاون، وتبادل الخبرات، والتأكيد على أن مصر دورها فعال علـــى جميع الأصعدة والمجالات مع الدول الإفريقية الصديقة والأشـــقاء العرب. حضر الاجتماع محمد خشاب المدير التنفيذى لوزارة الشباب والرياضة، السفير ماجد نافع نائب مساعد وزير الخارجية للشـــئون الثقافية، وشيماء أبو عبلة مساعد وزير الشباب والرياضة للعلاقات الخارجية، د.أحمد الشـــيخ وكيل وزارة رئيس الإدارة المركزية لشـــئون مكتب الوزير، محمد نصر المستشار المالى لوزير الشباب والرياضة.

نشاط مكثف للجنة الدائمة لمتابعة العلاقات المصرية الأفريقية

السفير حمدى سند لوزا

صرح المستشـــار أحمد حافظ المتحدث الرسمى باســـم وزارة الخارجية، بأن اللجنة الدائمة لمتابعة العلاقات المصرية الأفريقية تشـــهد نشـــاطاً مكثفاً خلال الفترة الحالية بهدف تحقيـــق مقاربة جديـــدة فى العمل المصـــرى الأفريقى خاصة مـــع قرب بدء الرئاسة المصرية للاتحاد الأفريقى فى مطلع عام 2019.

وأضاف حافظ أن اللجنة المشكلة برئاسة السفير حمدى سند لوزا نائب وزير الخارجية للشـــئون الإفريقية، كانت قـــد نظمت عدّة اجتماعات ضمت مختلف الوزارات والهيئات الحكومية أعضاء اللجنة للتباحث حول سبل تعزيز الدور المصرى فى الدول الإفريقية فى مختلف المجالات، وتقوم حالياً مختلف جهات الدولة بوضع رؤيتها فـــى هذا الإطار تمهيداً لصياغة مشـــروع موحد لتعزيـــز التواصل المصرى مع الدول الإفريقية الشقيقة.

كما حرصت اللجنة على تنظيم اجتماعات مع ممثلى كبريات شـــركات القطاع الخاص المصرية العاملة فـــى أفريقيا للتعرف على رؤيتهم حول التحديات التى تواجه الشركات المصرية، وكذا أهم المقترحات لتعزيز تواجد تلك الشركات وخدمة أهداف الدولة المصرية فى قارتها الإفريقية.

نشاط السفارات بالخارج

القدس

بدأ الســـفير المصرى الجديد فى تل أبيب، خالد عزمى، أنشطته بزيارة الكنيسة القبطية المصرية فى القدس وبصحبته وفد من السفارة المصرية. وأشارت وزارة الخارجية فى بيان رسمى أن ذلك غداة وصوله وفور تقديم صورة من أوراق اعتماده. وكان على رأس مستقبليه بمقر الكنيسة نيافة الأنبا أنطونيوس مطران الكرسى الأورشليمى والشرق الأدنى.

وقدّم عزمى تعازيه فى شهداء العمل الإرهابى الذى استهدف أبرياء المنيا المصريين، مؤكداً «أن الإرهاب لن ينجح فى شق الصف المصرى، وأن أبناء مصر يقفون بالمرصاد فى مواجهة كل ما يحاك لضرب النسيج الوطنى واستقرار مصر».

من جانبه، أطلع نيافة الأنبا انطونيوس السفير عزمى على أنشطة الكنيسة والمدرسة التابعة لها والخدمات التى تقدمها للمصريين، مشيراً إلى أنها المؤسسة الوطنية المصرية التى لم تنقطع عن القدس على مر العصور.

بلجـــــراد

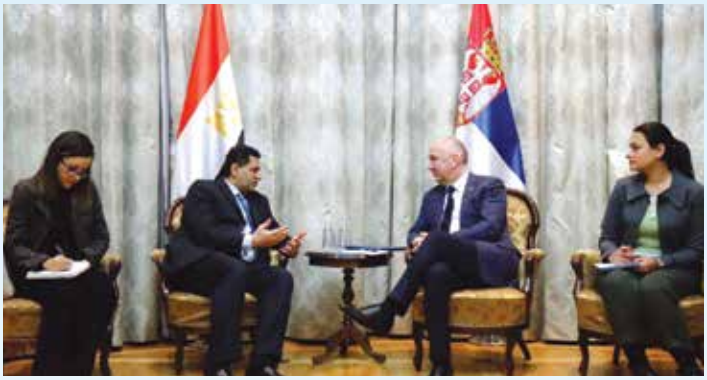

اختتمت سفارة مصر فى بلجراد الموسم الثقافى الســنوى بالمشــاركة بجناح موسع فى بــازار أعياد الميلاد الخيرى حيث شــمل المنتجات اليدويــة التقليديــة، والتذكارات من مستنســخات الآثار الفرعونية، والأكلات الشعبية، التى لاقت إقبالاً كبيراً من الزائرين.

وجاءت المشــاركة فى البازار الذى نظمه نادى السيدات الدولى بعضوية السيدة حنان دويدار حرم سفير مصر لدى صربيا، ومساهمة تطوعية من جميع أعضاء الســفارة لترســخ انخراط الجالية المصرية ككل فى الأنشــطة الخيرية، حيث كانت ثالث مشاركة خلال العام فى بازارات خيرية بإمكانات ذاتية، لتخصيص العائد إلى الأنشطة الاجتماعية ذات الصلة.

وصرح ســفير مصر فى صربيا «عمرو الجويلى» بأن الســفارة اغتنمت تلك الفرصة للإعلان عن مبادرة لتنظيــم «بازار رمضان» فى مايــو المقبل، بما يحيى أيضــاً العادات الرمضانية التقليدية المرتبطة بالعمل الخيرى، ويســاهم فى التواصل مع مختلف الشرائح الاجتماعية فى صربيا.

- كما صرح السفير عمرو الجويلى بأن شركة الطيران الصربية الوطنية التى وصلت شرم الشــيخ يوم 29 ديســمبر 2018 هى الأولى منذ أكثر من ست سنوات، وتأتى متابعة لاســتئناف رحلات الطيران العارض للشركة لتســيير رحلات إلى الغردقة خلال موســم الصيف بعد توقف أكثر من أربع ســنوات. و الطائرة من طراز إيرباص A319، بسعة 144 مقعدًا، لمجموعة ســياحية قادمة من بلجراد لقضاء عطلة رأس الســنة عائدة فى 4 يناير 2019، بما يعنى أن شركة الطيران الصربية أصبحت تســير رحلات لأهم وجهتى السياحة الشاطئية الشتوية فى مصر.

وأوضح الســفير عمرو الجويلى أن لقاءه مع قيادات شــركة «إير صربيا» بما فى ذلك العضو المنتدب «دنكان نايمسيث برانسيلاف مالوفيتــش» المديــر التنفيــذى للعلاقات الحكومية وأعلى مسئول صربى بالشركة، قد تناول أيضاً إمكانات تســيير رحلات طيران مباشــرة بين العاصمتين، بلجراد والقاهرة، للاســتفادة من كونهما مركزيــن إقليميين فى إفريقيــا والعالم العربــى، والبلقان على التوالــى. - التقــى كذلك الســفير عمرو الجويلى مع الدكتــور نينادبوبوفيتش وزير الابتكار والتنمية التكنولوجية الصربى لبحث أوجه التعاون الثنائى فــى مجال تكنولوجيا المعلومــات والاتصالات، حيث اســتعرض الجويلى المؤشــرات الإيجابيــة لنمو القطاع فى مصــر، والحوافز المقدمــة لدعم القدرة التنافسية، وعناصر إســتراتيجية تكنولوجيا المعلومات والاتصــالات (2018 - 2022) المعنونة «التحول الرقمى والدمج». كما أبرز الجويلى أنشطة برامج الابتكار وريادة الأعمال عبر مركز الإبداع التكنولوجى وريادة الأعمال.

ومن جانبه، عبر وزيــر الابتكار والتنمية التكنولوجيــة الصربــى عن تطلعه لإنشــاء مجموعة عمل معنية بالابتكار والتطور الرقمى منبثقة عن اللجنة الاقتصادية المشتركة.

وأضاف الجويلى أن اللقــاء تناول أيضاً تجربة مصر الحالية فى إنشاء مدينة المعرفة فى العاصمــة الإدارية الجديــدة والمناطق التكنولوجيــة المتكاملــة فى ســائر أنحاء الجمهورية، لتبادل الخبرات فى مجال المدن الذكية.

*وقد شارك الســفير عمرو الجويلى فى الاحتفال باليوم العالمــى للغة العربية، الذى نظمــه لأول مرة مجلس الســفراء العرب فى بلجراد مــع مركز الثقافــة العربية بالمكتبة القوميــة لصربيا، وشــمل كلمــة نيابة عن الحكومة الصربية ألقتها «آسيا دراشامونتيان» مساعدة وزير الثقافة للشئون الدولية أبرزت فيها المكانة الدولية المستحقة للغة العربية، وكلمة لسفير فلســطين بصفته عميد السلك الدبلوماســى عرض فيها لأنشــطة مجلس الســفراء الجماعيــة فى المجــال الثقافى، وعروض قدمها دارسو اللغة العربية للأدبيات والبرامج الدراسية بالجامعات، فضلاً عن إلقاء لقصائد الشعر للأدباء المعروفين من مختلف أنحاء العالم العربى.

* التقى «عمرو الجويلى» سفير مصر فى صربيا وزيــر الزراعة والغابات وإدارة المياه الصربى «برانسيلاف نيدموفتش» قبيل زيارته إلى مصر التــى بدأت 9 يناير واســتغرقت يومين، وذلك اتصالاً بمشاركة الوزير الصربى فى اللقاء الذى عقده الســيد ســامح شكرى وزير الخارجية مع رئيســة وزراء صربيا يوم ٢٨ نوفمبر الماضى، والذى تناول سبل تعزيز التعاون بين البلدين فى مجال الزراعة.

وأبرز «الجويلى» خلال اللقاء النجاحات التى حققتها الصــادرات الزراعية المصرية مؤخراً إلى عدد من الأســواق بمــا فى ذلك أســواق جديدة بعد أن تم الاتفاق على شروط التصدير الخاصة بالصحة النباتية، أخذاً فى الاعتبار تطبيق المعايير فــى مراحل الإنتاج والتصدير. مشــدداً على أهمية إتاحة الفرصة لتلك الصادرات للولوج إلى الســوق الصربى كى يتمتع المواطن بجودة المنتجات المصرية الزراعية. كما اســتعرض ســفير مصر فى بلجراد المنح التــى يقدمها المركز المصرى الدولى للزراعة، مشــجعاً مشاركة خبراء من صربيا فى هذه الدورات لما توفره من فرصة التواصل المباشــر بيــن الوزارتين وتبادل الخبرات الفنية.

من جانبه، عبّر وزيــر الزراعة والغابات وإدارة المياه الصربى عــن اهتمامه بإتمام زيارته الأولى من نوعها إلى مصر.

بـــوروندى

نظمت السفيرة د. عبير بسيونى رضوان، سفيرة مصر لدى بوروندى، عدة فعاليات اجتماعية وخيرية واحتفالات ثقافية بمناسبة بدء العام الـ 55 على إقامة السفارة المصرية فى بوجمبورا وتدشين العلاقات المصرية - البوروندية. تضمنت الفعاليات المتنوعة: تنظيم أمسية مصرية فى شكل حفل ثقافى فنى ضخم بمسرح جامعة بوروندى بالتنسيق مع وزارة الثقافة والرياضة البوروندية (وهو اليوم الموافق لتأسيس السفارة المصرية فى بوجمبورا التى أنشئت فى 8 ديسمبر 1964)، وكذا تم التعاون مع التليفزيون الوطنى البوروندى RTNB لإقامة أسبوع للسينما المصرية يشمل عرض أفلام مصرية مترجمة للغة الفرنسية والتعاون مع مركز شباب كامنجى CJK (Centre Jeunes Kamenge) الذى أقام أيضاً أسبوعاً للسينما المصرية تضمن عرض مجموعة من الأفلام المصرية المترجمة للغة الفرنسية. وكذلك التنسيق مع جمعية الصداقة البوروندية المصرية (BEFA) Burundi) Egypt Friendship Association - لتنظيم برنامج اجتماعى وخيرى كبير - بمساهمات طوعية - لعلاج 100 طالب بوروندى بتقديم الأطباء المصريين المتواجدين فى بوروندى لكشوفات طبية مجانية فى تخصصات الأمراض الباطنة والقلب والرمد وجراحة العظام والأسنان - وجميعهم خبراء سابقون للوكالة المصرية للشراكة من أجل التنمية استقروا فى بوروندى - كمساهمة منهم فى هذه المناسبة التاريخية، وكذا توزيع لجوائز تعليمية وثقافية - سحب تامبولا - لعدد أكثر من 25 من الحضور والطلبة من الأرقام الفائزة بجوائز رمزية.بدت الأمسية الثقافية والخيرية كتظاهرة من البوروندين فى حب وصداقة مصر، حيث تمت دعوة أكثر من 500 بوروندى بما فى ذلك جميع الوزراء والمسئولين على رأسهم السيدة المحترمة Honorable EvelyneButoyi وزيرة الشباب والبريد وتكنولوجيا المعلومات البوروندية والسيد/ Emmanuel Ntahomvukiye وزير الدفاع والمحاربين القدامى، وأعضاء البرلمان بغرفتيه والشخصيات العسكرية والعمد والمحافظين ورؤساء الأطياف والجاليات الدينية المختلفة وكذا سفراء ورؤساء البعثات الدبلوماسية والمنظمات الدولية المعتمدة لدى بوروندى إضافة إلى أساتذة وطلبة جامعة بوروندى.وبدأت الأمسية بعروض فلكلورية للطبول البوروندية الشهيرة قدمتها السيدة PelateNiyonkuru وزيرة الثقافة والرياضة البوروندية التى افتتحت الأمسية مع السفيرة المصرية د. عبير بسيونى رضوان.

- كما قامت السفارة بتسليم ثلاث حاويات من الصاج المعرج المقدم من مصر لبوروندى عبر الوكالة المصرية للشراكة من أجل التنمية حيث تحتوى الحاويات على ٧٢ طناً من الصاج المعرج ذى السمك ٠.٥ مم بقيمة تتخطى المليونى جنيه مصرى. وتعتبر هذه الشحنة هى الشحنة الثانية من أصل أربع شحنات تقدمها مصر إلى بوروندى ليصل إجمالى الشحنات المقدمة من مصر إلى ١٥٠٠٠ قطعة صاج معرج بوزن إجمالى ٢١٠ طن. ستستخدم تلك الشحنات المهداة من مصر من الصاج المعرج فى إقامة العديد من المشاريع التنموية فى بوروندى لاسيما المدارس والمستشفيات فى إطار دعم مصر للخطة القومية للتنمية فى بوروندى.

فـيـيـنـا

نقلت السفارة المصرية فى فيينا، تهنئة الرئيس عبد الفتاح السيسى، للمصريين فى النمسا بمناسبة العام الميلادى الجديد. وقال الرئيس السيسى - فى برقية التهنئة التى وزعتها السفارة - «يسعدنى أن أبعث إليكم بخالص التهانى وأطيب التمنيات بمناسبة العام الميلادى الجديد متمنيًا لكم النجاح والتوفيق وأن يأتى العام الجديد محققاً لآمالكم وطموحاتكم وأن يحمل لمصر مزيداً من الرخاء والتقدم والازدهار».

تقرير إخبارى

أهم إنجازات الدبلوماسية المصرية عام 2018 وأهدفها 2019

الخارجية تواصل جهود دعم القضية الفلسطينية.. تتحرك لوقف إطلاق النار بسوريا.. رعاية مسار توحيد المؤسسة العسكرية الليبية.. وتكشف إستراتيجيتها لتطوير العلاقات مع كافة الشركاء.

نشرت وزارة الخارجية المصرية فى بيان لها، أبرز إنجازات الدبلوماسية المصرية خلال عام 2018 وأهدافها خلال عام 2019.

وقالت وزارة الخارجية إن الدبلوماسية المصرية عام 2019 تتطلع لاستكمال مسيرتها فى الدفاع عن المصالح الوطنية المصرية فى الخارج من خلال عملية مراجعة دقيقة لجهودها وخطط العمل والأهداف التى سعت لتحقيقها على مدار عام 2018، وتحديد الأهداف التى سوف تحرص على تحقيقها خلال عام 2019، وذلك فى ظل رؤية وإستراتيجية شاملة تضع ملامحها الحكومة وتقرها القيادة السياسية لكافة أجهزة ومؤسسات الدولة.

ويأتى تحرك الدبلوماسية المصرية فى الخارج انطلاقاً من تطورات الأوضاع الداخلية فى البلاد وأولويات برنامج عمل الحكومة خلال الفترة من 2018 - 2022، والتى يأتى على رأسها تحقيق التنمية الشاملة من خلال زيادة معدلات نمو الاقتصاد، وجذب المزيد من الاستثمارات الأجنبية المباشرة، وتخفيض البطالة، فضلاً عن تطوير أداء كافة القطاعات والمؤسسات بالدولة.

ومن هذا المنطلق، فقد شهد عام 2018 استمراراً لجهود وزارة الخارجية فى تأمين المصالح والأهداف الوطنية فى دوائر السياسة الخارجية المصرية العربية والإفريقية والإسلامية، فضلاً عن باقى الدوائر الجغرافية الأخرى، والمحافل الإقليمية والدولية التى تنشط فيها مصر، بما يخدم تنفيذ برنامج عمل الحكومة وتحقيق أهدافه، وذلك على النحو التالى:

أولاً: العلاقات المصرية العربية:

* فلسطين:

تستمر وزارة الخارجية فى إبراز الموقف المصرى الثابت من القضية الفلسطينية، ودعم كافة الحقوق المشروعة للشعب الفلسطينى الشقيق، وذلك من خلال اللقاءات مع الأطراف والقوى الفلسطينية والإقليمية والدولية، وكذا عبر المحافل الدولية استناداً إلى القرارات الأممية والمرجعيات الدولية ذات الصلة. مواصلة إبراز الجهود المصرية المُستمرة من أجل الدفع قُدماً بتحقيق المُصالحة الوطنية وتوحيد الصف الفلسطينى، وكذا الحفاظ على الهدوء فى الأراضى الفلسطينية واحتواء الأوضاع، وتهدف الدبلوماسية المصرية إلى خلق المناخ الملائم والأرضية المناسبة بُغية الدفع بإعادة إحياء عملية السلام وتحقيق حل الدولتين على أُسس عادلة، وصولاً إلى استعادة الحقوق التاريخية والمشروعة للفلسطينيين، وعلى رأسها إقامة دولة فلسطينية مُستقلة على حدود 1967 وعاصمتها القدس الشرقية.

*سوريا:

حرصت وزارة الخارجية على إبراز ثوابت الموقف المصرى المتوازن إزاء الأزمة السورية، وهو ما حظى بتقدير المجتمع الدولى، خاصة وأنه موقف مبنى على مجموعة من المبادئ التى تصبو لتحقيق الاستقرار والحفاظ على الدولة الوطنية فى سوريا.

مشاركة مصر فى اجتماعات اللجنة المصغرة الدولية على المستويين الوزارى وكبار المسئولين، وذلك تقديراً للدور الخاص الذى تمارسه القاهرة منذ بداية الأزمة، ومواصلة العمل على حث الأطراف الدولية والمعارضة على دفع المسار السياسى على أساس عملية جنيف، مع ضرورة الانتهاء من الإجراءات الرامية لبدء عمل اللجنة الدستورية، والتى ستعد المحطة الأولى على مسار التسوية السياسية للأزمة.

مواصلة التحركات المصرية – بالتنسيق مع الأطراف الدولية الفاعلة فى الأزمة السورية – لتعضيد عملية توحيد المعارضة السورية تحت مظلة هيئة التفاوض للمعارضة السورية.

*العراق:

تنظيم زيارة لوفد مصرى رفيع المستوى برئاسة مساعد رئيس الجمهورية السابق للمشروعات القومية والإستراتيجية إلى العراق فى يناير 2018، شملت كلاً من بغداد والموصل، لمناقشة سبل تعزيز التعاون بين البلدين، خاصة فى مجالات التجارة، والإسكان، والصحة، والقوى العاملة، والكهرباء، والمواصلات، فضلاً عن مساهمة شركات القطاع الخاص والعام المصريين فى عملية إعادة الإعمار فى العراق. المشاركة فى مؤتمر إعادة إعمار العراق الذى عقد بالكويت فى فبراير 2018 والذى قدمت خلاله سلة من التعهدات الدولية للشعب العراقى الشقيق فى مجالات الصحة والتعليم العالى، وكذلك فى المجال الثقافى.

*ليبيا:

استضافة وعقد العديد من الاجتماعات مع مختلف الأطراف الليبية والإقليمية والدولية المعنية بالأزمة فى ليبيا، بهدف كسر الجمود السياسى ودفع جهود التوصل لحل شامل للأزمة، فضلاً عن المشاركة بالمؤتمرات الإقليمية والدولية حول ليبيا، وعقد العديد من المشاورات الثنائية مع الدول المعنية بالشأن الليبى، بهدف تبادل وجهات النظر حول آخر تطورات الأزمة الليبية، واستعراض الجهود المصرية الرامية لحلحلة الأزمة. توفير الدعم للجهد المصرى الرئيسى فى رعاية مسار توحيد المؤسسة العسكرية الليبية، حيث استضافت القاهرة ست جولات من المفاوضات بين أفراد الجهات العسكرية من الشرق والغرب الليبى، وجارى استكمال تلك الجهود حتى تحقيق الهدف بتوحيد المؤسسة العسكرية الليبية.

* السودان:

جاء انعقاد اللجنة الرئاسية المصرية السودانية المشتركة فى الخرطوم برئاسة السيد الرئيس عبد الفتاح السيسى والرئيس السودانى عمر البشير فى أكتوبر 2018، ليتوج ما شهدته علاقات البلدين الشقيقين من زخم خلال العام الحالى، وتحديداً منذ لقاء الرئيسين بأديس أبابا فى 29 يناير 2018 على هامش اجتماعات قمة الاتحاد الإفريقى، والذى أعقبه زيارة الرئيس السودانى إلى مصر فى 19 مارس 2018. كما زار السيد الرئيس عبد الفتاح السيسى الخرطوم يومى 28 و29 يوليو 2018، ثم شارك الرئيس السودانى فى ختام منتدى شباب العالم فى شرم الشيخ فى 6 نوفمبر 2018. تمثلت أهم نتائج اللجنة الرئاسية المصرية السودانية المشتركة فى رفع الجانب السودانى للحظر

الذى كان يفرضه على الصادرات المصرية من السلع الزراعية والمنتجات الغذائية، كما وقع الجانبان (14) مذكرة تفاهم وبرنامجاً تنفيذياً فى مجالات الصحة، والزراعة، والتعليم العالى، والإعلام، والتجارة، والشباب، والرياضة، والهجرة، والتعاون بين معهد الدراسات الدبلوماسية المصرى ونظيره السودانى. تجدر الإشارة إلى أنه تُعقد بشكل شهرى بالتناوب بين البلدين اجتماعات آلية التشاور السياسى برئاسة وزيرى خارجية البلدين، كما استضافت القاهرة فى فبراير 2018 الاجتماع الرباعى بمشاركة وزيرى الخارجية ورئيسى المخابرات فى البلدين.

❋ الجزائر:

التنسيق والتحضير لزيارة المناضلة «جميلة بوحريد» إلى مصر فى 18 فبراير 2018، حيث التقت بكل من وزير الخارجية ورئيسة المجلس القومى للمرأة، مما كان له أثر طيب على المستوى الشعبى بين البلدين.

❋موريتانيا:

عقد جولة المشاورات السياسية مع موريتانيا بالقاهرة فى 23 سبتمبر 2018 برئاسة كل من السادة مساعدى وزيرى الخارجية من البلدين، تمهيداً لعقد اللجنة الوزارية المشتركة خلال عام 2019.

❋اليمن:

نجاح جهود التنسيق مع الجهات المعنية بالدولة فى تقديم شحنة المساعدات الإنسانية الثانية لليمن فى أبريل 2018، والمكونة من 10 أطنان من الأدوات الطبية بالتعاون مع مركز الملك سلمان للإغاثة، بالإضافة إلى التنسيق مع وزارة الصحة المصرية لمضاعفة عدد المنح العلاجية المقدمة لليمنيين.

❋البحرين:

عُقدت الدورة العاشرة من اللجنة المشتركة المصرية- البحرينية بالمنامة فى نوفمبر 2018، حيث تم التوقيع على ثمانى اتفاقيات ومذكرات تفاهم وبرامج تنفيذية تشمل عدداً من مجالات التعاون الثنائى بين البلدين، من بينها: الكهرباء والطاقة، والتجارة والصناعة، والثقافة، والجمارك، والزراعة، بالإضافة إلى اتفاق تأسيس لجنة قنصلية مشتركة.

❋ الإمارات:

عُقدت الجولة الثالثة من آلية المشاورات السياسية بين البلدين خلال شهر أكتوبر 2018 على مستوى مُساعدى وزيرى الخارجية، حيث تم بحث أهم آفاق التعاون الثنائى، بالإضافة إلى أهم الموضوعات الإقليمية ذات الاهتمام المشترك.

❋ الكويت:

عقد الدورة الثانية عشرة للجنة المشتركة المصرية- الكويتية بالكويت خلال شهر ديسمبر 2018، والتى تناولت أهم محاور العلاقات الثنائية بين البلدين، وتم خلالها التوقيع على ثمانى مذكرات تفاهم وبرامج تنفيذية تشمل عدداً من مجالات التعاون الثنائى بين البلدين، من بينها: المجال الأمنى، والقوى العاملة، والتربية والتعليم، والتعليم العالى، والثقافة، والإعلام.

❋جامعة الدول العربية:

شاركت مصر فى إطار عضويتها فى جامعة الدول العربية فى العديد من القمم والاجتماعات الوزارية والفعاليات سواء فى الإطار العربى، أو فى أطر عربية مع أطراف إقليمية ودولية، وذلك بهدف تعزيز مكانة مصر، وتفعيل اتصالاتها الإقليمية والدولية وبما يحقق المصالح المصرية والعربية. سعت مصر لدعم المنظومة الأمنية العربية عبر تحديث التشريعات العربية لمكافحة الإرهاب واستصدار قرار مصرى من قمة الظهران بشأن تحديث المنظومة العربية لمكافحة الإرهاب. المشاركة فى منتديات التعاون العربى الوزارية مع كل من الصين، واليابان، والهند، وأذربيجان، ودول آسيا الوسطى، والاتحاد الأوروبى.

ثانياً: العلاقات المصرية الإفريقية:

عملت وزارة الخارجية على تطوير التعاون مع الأشقاء الأفارقة واستعادة الدور المصرى الرائد فى إفريقيا فى إطار الإستراتيجية التى تتبناها الحكومة نحو الانخراط الكامل والتعاون مع الدول الإفريقية، وذلك لما تمثله العلاقات المصرية الإفريقية من أهمية للأمن القومى المصرى. ركزت وزارة الخارجية على تعزيز العلاقات الثنائية بين مصر وكافة الدول الإفريقية، خاصة دول حوض النيل ومنطقة القرن الإفريقى. كما تتابع وزارة الخارجية عن كثب كافة التطورات بالقارة الإفريقية، وكذا دراسة تداعياتها على الأمن القومى المصرى والمصالح المصرية بصفة عامة. فى ضوء ما تقدم، قامت وزارة الخارجية بالإعداد لمشاركات السيد رئيس الجمهورية فى الفعاليات الدولية والقارية، ومقابلات الرئيس الثنائية مع القادة والزعماء الأفارقة، وأبرزها زيارة رئيس الوزراء الإثيوبى للقاهرة، وزيارة الرئيس السيسى إلى كل من تشاد والجابون، ومقابلات السيد الرئيس مع العديد من القادة والزعماء على هامش اجتماعات الجمعية العامة للأمم المتحدة، ومنتدى الصين إفريقيا. قامت الوزارة بالتحضير لمشاركات الوزير فى الفعاليات الإفريقية والدولية خلال العام، وكذا زيارات سيادته للعديد من الدول الإفريقية وأبرزها زيارات السيد الوزير لكل من إثيوبيا وإريتريا وبوروندى، مما كان له أثر كبير على دفع العلاقات المصرية مع تلك الدول خاصة فى ظل تطورات الأوضاع فى المنطقة، وما تمثله من أثر على الأمن القومى المصرى. قامت الوزارة بالترتيب للعديد من الزيارات والمشاركات على المستويين الوزارى والرسمى بالتعاون والتنسيق مع الجهات الوطنية المعنية، بهدف تعزيز وتنويع مجالات التعاون مع الدول الإفريقية، حيث تمت خلال العام الترتيب لزيارات عديد من الوفود الفنية وكبار المسئولين، مما ساهم بشكل رئيسى فى تعزيز آفاق التعاون مع الدول الإفريقية فى شتى المجالات، وتوجت تلك الزيارات بالتوقيع على عدد من مذكرات التفاهم والاتفاقيات الثنائية بين مصر والدول الإفريقية محل الاهتمام. فيما يتعلق بملف مياه النيل والأمن المائى المصرى، تقوم الوزارة بمتابعة ملف سد النهضة، والمشاركة فى اجتماعات المجموعة الفنية المستقلة المعنية بالسد، بالإضافة إلى المشاركة فى اللجنة الوطنية الثلاثية المعنية بمتابعة الدراسات الفنية الخاصة بالسد. كما تشارك فى المنتديات التى تتناول موضوعات المياه على المستويات الأوروبية والعربية والإفريقية. فى إطار حرص السياسة الخارجية المصرية على تعزيز التبادل التجارى مع الدول الإفريقية، وتشجيع رجال الأعمال والقطاع الخاص على الاستفادة من الفرص التجارية والاستثمارية المتاحة فى إفريقيا، فقد قامت وزارة الخارجية بالتنسيق مع وزارة التجارة والصناعة بالتواصل مع ودعم العديد من رجال الأعمال المصريين والتعريف بالفرص الواعدة للتجارة مع الدول الإفريقية.

ثالثاً: دور مصر الريادى فى إطار المنظمات والتجمعات الإفريقية:

توجت جهود وزارة الخارجية لاستعادة الدور المصرى الرائد فى إفريقيا باختيار مصر من قبل الأشقاء الأفارقة لتولى رئاسة الاتحاد الإفريقى خلال عام 2019، وهو القرار الذى تم اعتماده فى قمة الاتحاد الإفريقى فى يناير 2018، حيث تقوم الوزارة بالإعداد والتحضير لرئاسة مصر للاتحاد بالتنسيق مع الجهات الوطنية المعنية.

إيدكس معرض الدفاع الدولى

افتتح السيد الرئيس عبدالفتاح السيسى معرض الدفاع والتسليح (إيديكس 2018) يوم 3 ديسمبر، والذى يعد الأول فى منطقة شمال ووسط إفريقيا .

واستمر المعرض حتى 5 ديسمبر بمركز مصر للمعارض الدولية، بالتعاون مع شركة (كلاريون) المتخصصة فى مجال الدفاع والأمن حول العالم، بالإضافة إلى كبرى المعارض والشركات الدولية المتخصصة فى الصناعات الدفاعية.

وإقامة المعرض بمصر يؤكد أهميتها، كدولة رائدة، فى تنظيم مثل تلك الفعاليات العسكرية الدولية الرفيعة، ويعتبر المعرض فرصة عظيمة لمصر، لعرض إنتاجها من الأسلحة والمنتجات العسكرية، التى تنتجها مصانعها الحربية، سواء التابعة لوزارة الإنتاج الحربى أو التابعة للهيئة العربية للتصنيع، بالإضافة إلى الفوائد التى تعود على الضباط المصريين، للتعرف على أحدث التكنولوجيا والنظم العالمية الجديدة، فى مجال التسليح فى العالم.

جذب معرض إيديكس جمهوراً غفيراً من المهتمين بشئون التسليح والأمن القومى، بالإضافة لممثلين لأكثر من 376 شركة و(41) دولة، وتميز المعرض بالدقة والتنظيم

وبعـــرض لبعـــض منتجـــات قلاع الصناعة المصرية الوطنية فى مصر، وانبهـــر الحضور بمـــا قدمته الأيدى المصرية الماهرة والمبدعة فى صناعة سيارة (هايدى ميد) و(كليوباترا) أو (نفرتيتى)، تعمل بالبنزين والكهرباء وتدور أتوماتيكياً والموديل يعود إلى سنة (1932).

معرض السلاح
إيديكس 2018

عدسة: محمد عمر

مصـــر وإفـريقـــيا
عـطاء ووفـــاء

أبدأ هذا المقال بأن أحيى مَقدم الأخ العزيز الســـفير/ رضا الطايفى رئيساً لتحرير مجلتنا العتيدة «الدبلوماســـى» فيكون خير خلف لخير سلف، أى للأخ العزيز السفير/ سعد الفرارجى، والذى كان من حظى أنه الذى خلفنى مندوباً دائماً لمصر لـــدى الأمم المتحدة بجنيف عام 1983، وهو المنصب الذى أدى من خلاله ومازال يـــؤدى أدواراً مهمة فى تمثيل مصر ثم فى تمثيل الـــدول العربية وغير ذلك من الأدوار المتصلة بالأمم المتحدة ومسيرتها الاقتصادية. فضلاً عن أن السفير/ الفرارجى هو زميل جيل ورأينا معاً الخارجية المصرية فى محطات مفصلية فى رحلتها بدءاً من خمســـينات القرن الماضى، واليوم يغادر السفير/ الفرارجى منصبه فى «الدبلوماسى» تاركاً وراءه بصمة مهمة فى الفكر وعلوم الدبلوماسية، وفنونها الصحفية، أثق فى قدراته فى مواصلة مهامه، بالتوفيق يا أخى العزيز.

أما السفير/ رضا فهو أخى الذى منحنى الله زمالتـــه طوال أعوام أعتز بها فى مســـيرة فكرية وثقافية تجمع بيننا، وتقيم بيننا من جســـور الأخوة والتقدير، وهى مسيرة «مكتبات مصر العامة» التى يقـــوم فيها بدور عظيم. أهنئ الســـفير/ رضا كما أهنئ أيضاً مجتمع الخارجية المصرية على أنه قد أصبح رئيساً لتحرير مجلتنا العريقة «الدبلوماسى». وأقول له على بركة الله يا أخى فى مهمة فكرية ودبلوماســـية جديدة ســـتبدع فيها وســـتتألق إن شـــاء الله، كما أبدعت وكما تألقت فى مناصبك الدبلوماســـية فـــى الداخل والخارج والعمل الثقافى وفى مسيرة «مكتبات مصر العامة» التى تشهد لك شمالاً وجنوباً وشرقاً وغرباً.

اختـــرت هـــذا العنـــوان «مصر وأفريقيا... عطاء ووفاء» لأتحدث عن هذه العلاقة الأزلية بين مصر وأفريقيا. وسأكتب من وحى ما عشته فى تجربة العمل الدبلوماســـى مستشرفاً الدور الكبير الذى ينتظر مصر فى رئاستها للاتحاد الأفريقى فى عام 2019، مائة عام بعد انطلاق أول ثورة تحرير فى أفريقيا وأعنى بها ثـــورة 1919 فى مصر بما يجعلها أم ثـــورات التحرر الوطنى فى أفريقيا ورائدتها.

سفير عبد الرءوف الريدى

aelreedy2011@gmail.com

كان مـــن نصيبى أننـــى التحقت بالعمل الدبلوماسى بعد عشرة أعوام من توقيع ميثاق الأمـــم المتحدة فى أكتوبر 1945، سواءً فى مرحلة وضع الميثاق فى ســـان فرانسيسكو أو فى أعوام المنظمة الأولى، وبتأسيسها ألقى على مصر عبء الدفاع عن الشـــعوب الإفريقية التى كان أغلبها مازال يخضع للاســـتعمار ســـواءً كان إنجليزياً أم فرنسياً أم برتغالياً. ولم يكن بالمنظمة من دول إفريقية سوى مصر وأثيوبيا ثم لحقت بهما ليبيريا، وكانت مصر فى الأســـاس هى الدولة الإفريقية المعنية بهذا الدور، حيـــث كانت أثيوبيا آنذاك الدولة المســـتقلة الثانية فى المنظمة الدولية الوليدة مشـــغولة باشتباكها مع المنظمة فـــى القضايا التى خلفها الاســـتعمار الإيطالى فى بلدان القرن الأفريقى المجاور لأثيوبيا أى الصومال وأريتريا فى وقت كان العالم وبالتالى فى الأمم المتحدة متعاطفاً مع أثيوبيا وإمبراطورهـــا هيلاسيلاســـى، الذى تعرض وبلاده لواحدة من أكبر الحروب المأســـاوية، وأعنى الحرب الإيطالية الغاشـــمة على أثيوبيا فى الثلاثينات الســـابقة على اندلاع الحرب العالمية الثانيـــة. وبهزيمة إيطاليـــا انعكس التعاطـــف العالمى مـــع أثيوبيا فيما اتخذته المنظمة من قرارات سواء عن الصومال أو عن أريتريا التى ضغطت الدول الكبرى وخاصة انجلترا من أجل ضمها إلـــى أثيوبيا فى اتحاد فيدرالى بدلاً من حصولها على الاستقلال، كما أنشأت للصومال مجلســـاً استشارياً كانت مصر عضواً فيه حيث وقع على عاتقها عبء الدفاع عن مصالح الشعب الصومالـــى؛ وكان يمثـــل مصر فيه آنذاك الدبلوماســـى المصرى العظيم كمال الدين صلاح الـــذى وقفت وراء اغتياله قوى اســـتعمارية واحتكارية فاغتالته وهو فى ذروة تألقه فى مهمته الدبلوماسية التى أداها على خير وجه، وبوفاته أصبح كمال الدين صلاح هو أول شهيد للدبلوماسية المصرية.

التحقت بالخارجية المصرية فى هذا العام الذى أعتبره العام الذى بدأت

كمال الدين صلاح
أول شهيد للدبلوماسية المصرية

توقيع اتفاقية الجلاء عام 1954

فيه السياسة الخارجية المصرية أى عام 1955 فى التبلور، بعد أن عقدت مصر مع بريطانيا اتفاقاً لجلاء القوات البريطانية عن الأراضى المصرية عام 54 وقبله اتفاق آخر يقضى بمنح حق تقرير المصير للسودان عام 53 واختياره للاستقلال بدلاً من الوحدة، وبعد خمسة شهور من تسلمى العمل ملحقاً دبلوماسياً بوزارة الخارجية فى أبريل 1955 صدر القرار بنقلى وزميلى يوسف شرارة إلى بعثة مصر لدى الأمم المتحدة بنيويورك فسافرنا وتسلمنا العمل فى 27 سبتمبر 1955.

كان الحدث الدولى الأهم فى سياسة مصر الخارجية فى عام 1955 هو مؤتمر التضامن الآسيوى الأفريقى الذى انعقد فى باندونج فى أندونيسيا الذى شهد أول حضور دولى لزعيم مصر الشاب جمال عبد الناصر.

منذ اليوم الأول وجدت نفسى وأنا فى البعثة المصرية لدى الأمم المتحدة فى أجواء الدبلوماسية المصرية العاملة على دعم حركة التحرر الأفريقى، فقد صادف وصولنا لنيويورك احتفال وزير الخارجية وأبو الدبلوماسية المصرية الدكتور محمود فوزى بالنجاح فى إدراج القضية الجزائرية فى جدول أعمال الدورة العاشرة للجمعية العامة للأمم المتحدة فى حفل استقبال كبير فى البعثة، وكانت تلك أول مرة ألتقى فيها مع دكتور فوزى أيقونة الدبلوماسية المصرية ورائدها، وكانت قضية الجزائر هى قضية تحرر أفريقيا بامتياز، وكان مجرد إدراج القضية على جدول الأعمال إنجازاً كبيراً.

كان من حظى وحظ زميلى يوسف شرارة أيضاً أننا عملنا مع هذه المجموعة الممتازة من الدبلوماسيين المصريين بقيادة السفير العظيم عمر لطفى ومع مجموعة الدبلوماسيين الشبان الذين سبقونا، والذين لمعوا بعد ذلك فى مناصب قيادية فى مسيرة الدبلوماسية المصرية... إسماعيل فهمى وزيراً للخارجية ومحمد رياض وزير دولة للشئون الخارجية وغيرهما... عبدالحميد عبدالغنى وأحمد المسيرى وصلاح أبوجبل وأحمد عثمان والذين احتضنوا هذين الملحقين فى خطواتهما الأولى، ولم يدخروا جهداً فى تدريبنا على العمل الدبلوماسى. أذكر تحديداً السكرتير ثانى د. أحمد عثمان الذى كان يعالج ملف قضايا الاستعمار ويحضر اجتماعات اللجنة الرابعة للجمعية العامة والمختصة بقضايا الاستعمار والتحرر، وكذلك اجتماعات مجلس الوصاية الخاصة المختص بنفس الموضوعات، وأذكر ما قاله عن أريتريا آنذاك عن أن ما جرى لشعب أريتريا بحرمانه من الاستقلال وتقرير مصيره إنما هو ظلم تاريخى. وقد عاد هذا الظلم بعدها بثلاثين عاماً ليوقد ثورة الشعب الأريترى ضد الحكم الإمبراطورى ثم حكم منجستو فى أثيوبيا، حيث تحالف الجيش الشعبى الأريترى مع المعارضة الأثيوبية لإسقاط حكم منجستو، بما أدى بعد ذلك إلى استقلال أريتريا عن أثيوبيا نهائياً وهى تحتل موقعها المهم على البحر الأحمر والقرن الأفريقى.

والواقع أن دفاع مصر عن حركات التحرر الوطنى فى أفريقيا والتمسك بحقها فى تقرير مصيرها هو موقف ثابت لمصر منذ إنشاء الأمم المتحدة، وإن كان قد اكتسب زخماً بقيام ثورة 1952 التى وافقت على إعمال مبدأ تقرير المصير على السودان، بعد أن كان الموقف المصرى من قبل هو أن مصر والسودان بلد واحد وملك واحد. ثم تجلى الموقف المصرى أكثر وأكثر فى دعم مصر لحركات التحرر فى شمال أفريقيا فى المغرب

مصـــر وأفـريقـــيا
عطاء ووفـــاء

والجزائر وتونـــس، وكان دعم مصر لثورة المليون شهيد فى الجزائر عاملاً رئيسياً فى انضمام فرنسا إلى كل من إنجلترا وإسرائيل فى العدوان الثلاثى على مصر عام 56.

وقد احتفلنا منذ أيام بعيد النصر الذى تجلى فى إرغام انجلترا وفرنسا على الانسحاب من الأراضى المصرية (بورسعيد وغيرها من أراضى منطقة قناة الســـويس) فى ديسمبر 1956، بينما انسحبت الدولة المعتدية الثالثة أى إســـرائيل من ســـيناء فى مارس 1957، وليس من شك فى أن انتصار مصر فـــى معركة العـــدوان الثلاثى يمثل الانتصار الأكبر على الاســـتعمار مجتمعاً، والذى يمثـــل الحد الفاصل الذى انتهت عنده الحقبة الاستعمارية فى أفريقيا بل والعالـــم، وعلى إثرها تدفقت حـــركات التحرر الوطنى التى اكتسبت قوة دفع كبرى بتلك الهزيمة المدوية للاستعمار.

وباكتساب حركة التحرر الوطنى فى أفريقيا هـــذا النصر وما ولده من زخم انعقدت الجمعيـــة العامة للأمم المتحدة على مســـتوى الرؤساء عام 1960 (أى الدورة الخامســـة عشرة للجمعيـــة العامـــة)، وكان طبيعيـــاً أن يحضرهـــا ويتألق فيهـــا الرئيس جمـــال عبدالناصـــر حيـــث التقى بالرئيـــس أيزنهاور وســـكرتير عام الحزب الشـــيوعى للاتحاد السوفييتى خروشـــوف وغيرهما من قادة العالم، وكانت تلك إحدى اللحظات الزاهية فى مسيرة الرئيس عبد الناصر.

وقد أصـــدرت الجمعيـــة العامة فى هذه الدورة إعـــلان الأمم المتحدة لتصفية الاستعمار (قرار رقم 1514) الذى يعتبر الوثيقة القانونية الأساسية لتصفية الاستعمار. ويظل هذا الإعلان

ناصر يرفع العلم المصرى على قناة السويس بمناسبة الاحتفال بالانسحاب العسكرى البريطانى من البلاد، يونيو 1956

بمثابة المرجعية الأساســـية المكملة لأحكام الميثاق تعبيراً عن حق الشعوب فى الحرية والاستقلال وتقرير المصير.

ويعتبر صدور إعلان الأمم المتحدة نقلة نوعية فى الكفاح السياســـى ضد الاستعمار، الذى كانت مصر تتصدره كدولةإفريقية مســـتقلة تبنت قضية مكافحة الاســـتعمار كمحور مهم فى سياستها الخارجية.

لم يتوقف الدور السياسى لمصر عند نشاطها فى الأمم المتحدة وغيرها مـــن المنتديـــات الدوليـــة مثل عدم الانحياز والتضامن الإفريقى الآسيوى، ثم بدأ العمـــل على إيجاد تنظيم دولى يجمـــع دول القارة، وهو مـــا أن بدأ فى منظمة الـــدار البيضاء التى قامت عام 1961 وجمعـــت مصر والمغرب ومالى وغينيا فـــى تنظيم واحد، وقد شـــاركت فى الوفد الذى قاده السيد محمود رياض المستشـــار السياسى للرئيس عبدالناصر آنذاك فى اجتماع لوضع لوائح الإجراءات لهذه المنظمة الوليدة، وختم هذا الوفد أيضاً الســـيد إســـماعيل فهمى وزير الخارجية فيما بعد والمستشار سمير صفوت سفيرنا بباريس فيما بعد.

وقد تطورت منظمة الدار البيضاء بعد ذلك إلى تنظيم أشمل فى منظمة الوحدة الإفريقيـــة التى ضمت الدول الإفريقية التى اكتسبت استقلاليتها فى أعقاب قرار تصفية الاستعمار 1514 ثم جاء بعد ذلك التطور الثانى بإنشاء الاتحاد الأفريقى.

فى أوائل الستينات انفجرت الثورة الكونغولية ضد الاســـتعمار البلجيكى وظهر الزعيم الشـــاب باتريس لومبا وقيادته التى التف فيها الشعب حوله، ثم المؤامرات الاستعمارية التى تعرض لها والتـــى انتهت باغتياله، ثم ما تبعه من حادث الطائرة الذى كان من تدبير القوى الاستعمارية والاحتكارية، والذى راح ضحيته الأمين العام للأمم المتحدة آنذاك داج همرشولد.

فى هذه الفترة أرسل عبدالناصر وكيـــل وزارة الخارجية الدكتور مراد غالب ســـفيراً بالكونغو ومعه العميد أحمد إســـماعيل كملحـــق حربى فى الوقت الذى تولى فيه العميد سعدالدين الشـــاذلى قيادة قوات الأمم المتحدة فى الكونغو، وكان للرجلين فيما بعد دورهما التاريخى فـــى قيادة العبور المصـــرى العظيم فى أكتوبر 73 على يد المشير أحمد إسماعيل وزير الدفاع والفريق الشاذلى رئيس الأركان.

محمود فوزى

اسماعيل فهمى

مراد غالب

لا شك أن الانقلاب الذى تم تدبيره بواسطة القوى الاستعمارية الاحتكارية للإطاحة بقيادة لومبا فى الكونغو مثّل انتكاسة لحركة التحرر الوطنى فى الكونغو، ولكنه لم يمثل إيقافاً لتيار التحرر الوطنى الأفريقى الذى ظل يتدفق بسرعة ليصبح حركة سياسية لا يمكن إيقافها.

فى هذه الحقبة كانت القاهرة وجهة كل الحركات الأفريقية للتحرر الوطنى من الاستعمار البريطانى والفرنسى والبرتغالى، وكان الشاب المصرى الذى اختاره الرئيس عبدالناصر ليمثله فى هذه المعركة الكبرى هو الأستاذ محمد فايق الدبلوماسى المصرى، الذى مازال كل قواد أفريقيا حتى الآن يذكرونه وكان من بينهم نيلسون مانديلا الزعيم الإفريقى الأسطورى، والأستاذ محمد فايق مد الله فى عمره هو الآن رئيس المجلس القومى لحقوق الإنسان، وفى هذه الفترة التى قاد فيها محمد فايق دبلوماسية مصر فى المعركة الإفريقية كان مكتب الجمعية الأفريقية فى شارع أحمد حشمت بالزمالك هو بيت كل حركات التحرر الأفريقى، وأدعو القراء إلى قراءة كتابه المهم «عبدالناصر والثورة الإفريقية» والصادر عن دار المستقبل العربى.

وإذا كان محمد فايق قد مثّل الحقبة الناصرية فلقد كان الدكتور بطرس بطرس غالى هو الذى جسّد دور مصر الإفريقى فى حقبة الرئيسين السادات ومبارك. لم يترك بطرس غالى بلداً أفريقياً إلا وزاره أكثر من مرة، ولم يترك اجتماعاً أفريقياً دولياً إلا وحضره ومثل فيه مصر، وظل يقوم بهذا الدور إلى أن تم انتخابه أميناً عاماً للأمم المتحدة عام 1991.

يحلق فى مخيلتى أيضاً وأنا أكتب هذه السطور دور الدبلوماسى المصرى اللامع الأخ والصديق زميل الجيل المرحوم أحمد صدقى، الذى أعارته مصر لمنظمة الوحدة الإفريقية لدعم حركات التحرر الوطنى الإفريقى فى كفاحها الميدانى، التى كانت كلها على صلة بالسفير صدقى حيث كان يزور مواقعهم فى الأدغال. وقد توفى السفير صدقى وهو سفير لمصر فى باريس فى أوائل التسعينات، دخلت عليه سكرتيرته ظهر أحد الأيام فى مكتبه فوجدته مستلقياً على كرسى المكتب وقد فارق الحياة، وقد كتبت عنه فى أعقابها مقالاً بالأهرام.

ليس من شك أن الدبلوماسية المصرية لها دور رائع فى المسيرة المصرية الإفريقية كلها عطاء ووفاء.

فكما أعطت إفريقيا مصر بحيث أصبحت مصر هى هبة النهر الإفريقى الأكبر، أعطت مصر إفريقيا فى إطار «الوفاء والعطاء» عنوان هذا المقال.

لم يكن بعيداً عن ذلك كله ما قام به الرئيس عبدالناصر فى إنشاء منظمة الوحدة الإفريقية كأول تنظيم إفريقى يضم الدول الأفريقية المستقلة، ولهذه المنظمة دور رائد فى دعم حركات التحرر الإفريقية، وقد أسلمت أو تطورت وانتقلت من كونها مجرد منظمة للدول الإفريقية وتوسعت اختصاصاتها وتطورت آلياتها إلى أن أصبحت الاتحاد الأفريقى ويرأسها الرئيس عبدالفتاح السيسى لعام 2019.

شكل الموقف الذى اتخذته مصر فى دعم حركة التحرر الوطنى الإفريقية جزءاً من سياسة مصر العامة ورؤيتها للعالم، أصبح عبدالناصر واحداً من الثلاثة الكبار (ناصر وتيتو ونهرو) الذين أسسوا حركة عدم الانحياز والتضامن الإفريقى الآسيوى وغيرهما من المحافل، التى بنيت فى هذه الفترة المفصلية فى تاريخ أفريقيا

(ناصر وتيتو ونهرو)مؤسسى حركة عدم الانحياز والتضامن الإفريقى الأسيوى

مصـــر وأفـريقـــيا
عطاء ووفـــاء

وكفاح شـــعوب العالم ضد الاستعمار والعنصرية الـــذى دام لقرون، والتى ظهر فيها العالـــم الثالث كقوة داعمة للسلام والحرية، وظهر فى هذه الفترة أبطال مثل نيلسون مانديلا. وقد قدمت حركة عدم الانحياز دعماً كبيراً لحركة التحرير الوطنى الإفريقى، وقد تواكبت هذه الحقبة أيضاً مـــع حقبة النضال الـــذى خاضه الأمريكيـــون من أصل إفريقى فى أوائل الستينات وظهر فيها قواد كبار خاصة مارتن لوثر كينج الذى أصبحت أمريكا تحتفى به وتخصص له أجازة رسمية فى الولايات المتحدة، وآخرون مثـــل مالكولم اكس. ويوجد الآن حوالـــى ثلاثين عضواً أو أكثر فى الكونجرس من الأمريكيين السود هم «التجمع الأســـود» فى مجلس النواب فضلاً عـــن عدد من حكام الولايات من الأمريكيين من أصل إفريقى.

كان لا بد لهذه الأفكار أن تنعكس أيضاً على المنظومـــة القانونية التى كلفـــت بتطوير مبـــادئ ميثاق الأمم المتحـــدة. وقد صادفنـــى الحظ أن انشغلت بهذا الأمر طوال ثمانية أعوام مثلت فيها مصر فى هذه اللجنة التى ضمت عدداً محدوداً من الدول وبدأنا عملنـــا فى عـــام 1964، ونجحنا فى النهاية فى التوصل إلـــى إعلان مهم أقرته الجمعيـــة العامة للأمم المتحدة فى عيدها الفضـــى 1970، يمثل هذا الإعلان الوثيقـــة الوحيدة التى صدرت عن الأمم المتحـــدة متضمنة تطويراً لمبـــادئ ميثاق الأمـــم المتحدة. وقد طرحنـــا كمندوبى الـــدول الإفريقية وغيـــر المنحازة فـــى اللجنة ضرورة أن يتضمن الإعلان مبـــدأ حق تقرير المصير بالرغم من أن المبدأ ليس من المبادئ التى شـــملتها المادة الثانية مـــن الميثاق، واســـتندنا فى ذلك إلى أن الميثاق فـــى المادة الأولى الخاصة بأغراض الأمم المتحدة قد أشـــار إليه فى الفقرة الثانية مـــن المادة. رأس هذه اللجنة الدبلوماســـى المكسيكى جاونزالس جالفز وكنت نائب الرئيس، كما كان المقرر هانز بلكس القانونى الشهير والذى كان مديراً عاماً لمنظمة الأمم المتحدة للاســـتخدامات السلمية للطاقـــة النووية، وهو الذى كتب كتاباً فند فيه أكاذيـــب إدارة جورج بوش «الابن» والتى زعمت أن العراق كانت به أسلحة للدمار الشامل وذلك لتستخدم هذه الأكذوبة ذريعة فى جريمتها فى العدوان على العراق عام 2003، والتى تمثل صفحة عار فى التاريخ الأمريكى. وقد نجحنا فى النهاية فى اللجنة وبعد مناقشـــات مضنية فى تضمين مبدأ تقرير المصير فقـــرة تنص على حق الشعوب فى مقاومة أعمال القوة التى تمارس ضدها (Forcible action)، وأن مـــن حقها أن تتلقـــى المعونات وهى بصدد المقاومـــة التى تمارس طبقاً لميثاق الأمم المتحدة. وكان هذا إنجازاً كبيراً ســـاعد فى إعطاء أساس قانونى لحركات المقاومة الوطنية ضد ما يمارس ضدها من أعمال القوة، كما نص المبدأ على أن تقوم الدول بتحقيق نهاية سريعة للاستعمار.

ما حققته مصر فـــى هذه الفترة بالنســـبة لحركة التحريـــر الوطنى الإفريقية، أو ما يســـميه محمد فايق بالثورة الإفريقية، يعتبر طفرة تاريخية كبرى تحققت من خلال عمل سياسى وشعبى ودبلوماسى متكامل فى سبيل حرية الشعوب، وســـار فى تيار دافق حتى جاءت حرب 67 الفاجعة فكانت انتكاســـاً مرحلياً لهـــذه الحركة. وقد وقفت الدول الأفريقية فى هذه الأزمة داعمة لمصر فى عملها الدبلوماســـى الكبير لتحرير الأرض. وكنت أرى وأنا

المشير أحمد إسماعيل

محمد فايق

الرئيس عبد الفتاح السيسى

فى الأمم المتحدة أيام حرب أكتوبر المجيدة كيف كانت الدول الإفريقية تقطع علاقاتها الدبلوماسية مع إسرائيل واحدة بعد أخرى.

وهكذا فإن مصر من حقها أن تفخر بدورها الرائد فى تحقيق هذا الإنجاز الكبير الذى كان من قبيل الأحلام والذى كان بمثابة الرد التاريخى على عهد الاستعمار والعنصرية فى العالم، ومازال هذا الإنجاز الكبير ينتظر من يكتب عنه ويضعه فى موقعه من تاريخ نضال الشعوب من أجل الحرية وتقرير المصير.

والآن وقد تحقق للشعوب الإفريقية حلمها فى الحصول على الحرية والاستقلال فإنه يبقى أن تقوم بتحقيق النهضة الاقتصادية والتعاون الاقتصادى، فالدول الكبرى الآن تأتى إلى القارة الإفريقية وعيونها على ما تضمه القارة من إمكانات اقتصادية هائلة وخاصة فى مجال الطاقة، والشعوب الإفريقية أولى بها أن تكون جزءاً أصيلاً من حركة تستهدف إحداث طفرة اقتصادية كبرى حتى تحقق شعوبها المستوى الاقتصادى اللائق بها، وأعتقد أن مصر يجب أن تدير نظرها إلى إمكانات التعاون الاقتصادى مع إفريقيا وإعطاء الأولوية لدول حوض النيل والبحر الأحمر وفى ذلك كله يظهر السودان الشقيق كأهم دولة يتعين علينا أن نعمل على تعميق التعاون بل والتكامل معها.

من ناحية أخرى فإن المحور الثقافى والعلمى يبقى محوراً بالغ الأهمية فى دعم سياسة مصر فى إفريقيا. وهناك الكثير مما يقال ويجب أن يفعل فى هذا الشأن. ولدى مصر من إمكانات العمل الثقافى الكثير ويتعين أن نستكشف التراث الفكرى الأفريقى، وقد قامت اليونيسكو فى عهد مديرها السابق المفكر السنغالى الشهير آمبو بعمل كبير فى هذا الشأن بإصدار مجلدات عن التراث الفكرى والحضارى الأفريقى.

أدعو الفعاليات الثقافية الفكرية المصرية بما فى ذلك المجلس المصرى للشئون الخارجية إلى إطلاق مبادرة بدعوة المعاهد العلمية والبحثية العاملة فى مجال الدراسات الإفريقية، لوضع إستراتيجية مصرية تتقدم بها إلى الجهات المعنية بالدولة، لتفعيل الدور المصرى الإفريقى الثقافى والعلمى. وكلما دخلنا فى العمق الثقافى الأفريقى فإننا سنجد ما يفاجئنا من إمكانات التفاعل.

لقد فعلت مصر الكثير مما يحق لها أن تفخر به وفاءً وعطاءً مع قارتنا الإفريقية العظيمة واستشرافاً لعهد ينتقل فيه الكفاح من أجل الحرية والاستقلال وتقرير المصير إلى ثورة أخرى كبرى من أجل النمو الاقتصادى والعلمى والفكرى هدفه الرئيسى هو الإنسان الإفريقى. وفى إطار هذا تعرف مصر بدقة مصالحها الوطنية التى تقدم فيها أفريقيا واحدة من أكبر ساحات العمل المهمة من أجل المستقبل.

تأتى رئاسة مصر للاتحاد الإفريقى لعام 2019 والتى يقودها الرئيس عبدالفتاح السيسى لتقدم إنجازاتها الكبرى التى أثق فى أن كل الفعاليات المصرية بما فيها المجتمع المدنى ستعمل على مؤازرة الرئيس السيسى لتشكل علامة مهمة فى مسيرة الكفاح الإفريقى العظيم، وسيكون الرئيس السيسى هو رمز مصر إفريقيا عطاءً ووفاءً.

2019 عام انطلاق مصر إفريقيا

مع تسلم مصر لرئاسة الاتحاد الإفريقى مطلع يناير الحالى، فإن هناك فرصاً عديدة لتعزيز العلاقات الاقتصادية بين مصر والدول الإفريقية ليتحول عام 2019 لعام انطلاق مصر إفريقيا خاصة بعد الخطوات التى اتخذتها الحكومة المصرية لعودة العصر الذهبى للعلاقات المصرية الإفريقية التى عاشتها فى خمسينيات وستينيات القرن الماضى بفضل مساندة القاهرة لحركات التحرر الوطنى فى معظم دول القارة.

أحمد عبد السلام

باحث فى الشئون الاقتصادية فى الأهرام

ومن هذه الخطوات الرامية لإعادة هندسة العلاقات الاقتصادية مع إفريقيا دعم مصر لأهم اتفاق تجارى على المستوى الإفريقى شهده عام 2018 وهو اتفاقية التجارة الحرة القارية الإفريقية، التى وقعتها مصر مع 43 دولة إفريقية يبلغ عدد سكانها أكثر من مليار نسمة، وناتجها المحلى الإجمالى نحو 3.4 تريليون دولار، ومن المنتظر بدء سريانه فور تصديق السلطات التشريعية فى 22 دولة إفريقية بعد أن صدقت على الاتفاق 12 دولة أخرى بالفعل وحددت نهاية مارس المقبل موعداً لنهاية التصديق حيث ستكون تلك الدول نواة لإنشاء اتحاد جمركى إفريقى.

هذا الاتفاق يأتى تتويجاً لقرارات قمة شرم الشيخ التى جمعت عام 2015 الرئيس عبدالفتاح السيسى ورؤساء وقادة دول 3 تجمعات اقتصادية وهى الكوميسا والساداك وجماعة شرق إفريقيا والتى كان من أبرز نتائجها التوقيع على اتفاق لدمج تلك التجمعات الاقتصادية الثلاث لإنشاء أكبر منطقة للتجارة الحرة على مستوى العالم.

ومن الإجراءات التى شهدها العام الماضى وينتظر أن تلعب دوراً مهماً فى تعزيز العلاقات الاقتصادية بين مصر وأفريقيا خلال الفترة المقبلة اتفاق محافظى البنوك المركزية لدول تجمع الكوميسا على إنشاء آلية لتسوية التعاملات المالية وهو الاتفاق المنتظر تفعيله من يناير الحالى تمهيداً لتوسعته ليشمل كل الدول الإفريقية ناهيك عن الاتفاق مع بنك الاستيراد والتصدير الأفريقى لتخصيص خط ائتمانى بقيمة 500 مليون دولار لتمويل تجارة مصر إفريقيا ولاشك أن هذه الإجراءات المالية تبشر بتحقيق قفزة فى حجم التجارة البينية الإفريقية التى لا تزيد على 3٪ من حجم تجارة القارة الإفريقية مع دول العالم وهى نسبة ضئيلة للغاية خاصة وأن واردات إفريقيا تتجاوز الـ 540 مليار دولار سنوياً وتشمل مجموعة كبيرة من السلع الأساسية التى تنتجها بمصر.

أيضاً فإن عام 2019 سيجنى ثمار حل أهم مشكلة تقف وراء ضعف حركة التجارة بين مصر وإفريقيا وهى ارتفاع تكلفة الشحن وعدم وجود خطوط ملاحية مباشرة ومنتظمة تربط الموانئ المصرية بأهم الموانئ التجارية فى إفريقيا فبفضل مبادرة للقطاع الخاص المصرى تم العام الماضى تدشين أول خط ملاحى منتظم يربط ميناء العين السخنة بموانئ شرق إفريقيا وصولاً إلى كينيا وهو ما خفض تكلفة الشحن من نحو 3200 دولار للحاوية سعة 40 قدماً إلى نحو 1200 دولار فقط، إلى جانب إنشاء أول مركز لوجيستى لخدمة المنتجات المصرية فى نيروبى عاصمة كينيا، مع الإعلان عن خطة لإنشاء 11 مركزاً لوجيستياً آخرين فى عدد من أهم الدول الإفريقية من الناحية الاقتصادية.

ومع هذه الخطوات فإن الأرضية أصبحت جاهزة لتحقيق طفرة فى حجم التجارة المصرية لإفريقيا خاصة وأن القطاع التصديرى المصرى أدرك أهمية العمل على مسارين فبجانب الصادرات المصرية لإفريقيا لابد أن تكون هناك واردات لمصر من إفريقيا أيضاً وذلك أولاً لإيجاد مصلحة مباشرة للجانبين وثانياً لأن إفريقيا تعد مخزن العالم من المواد الخام والثروات الطبيعية كما أن كثيراً من تلك الثروات لاتزال بكراً لم تكتشف بعد.

ولا شك أن هذه الثروات الطبيعية ستخدم العديد من الصناعات المصرية التى بدأت بالفعل خطوات فى هذا الطريق مثلما أعلن مسئولو قطاع الأثاث عن دراسة التعاقد على استيراد أخشاب من دول إفريقية وجدوا أن إنتاجها يماثل الإنتاج الأوروبى ويزيد عليه من حيث انخفاض أسعاره أيضاً هناك اتجاه لتشجيع مصنعى الغزل والمنسوجات فى مصر لاستيراد أقطان قصيرة التيلة من إفريقيا ضمن رؤية جديدة لمزيد من التكامل الصناعى بين شمال وجنوب أفريقيا.

هذا الحراك من قبل القطاع الخاص والجهاز المصرفى لتعزيز علاقات مصر الإفريقية تحركه الفرص التصديرية المتاحة حالياً للمنتجات المصرية بالقارة السمراء حيث يقدر حجمها القطاع التصديرى بأكثر من 18 مليار دولار وهو ما يمثل أكثر من 5 مرات حجم صادراتنا الحالية للقارة والبالغة نحو 3.48 مليار دولار نحتل بها المركز 43 بين الدول المصدرة لإفريقيا وبنسبة 0.63٪ من واردات القارة من العالم والمقدرة بنحو 547.7 مليار دولار طبقا لإحصاءات عام 2015.

ومما يزيد من أهمية هذا التعاون مع إفريقيا أن كثيراً من دولها تعد الأسرع نمواً اقتصادياً فى العالم حالياً بجانب تمتع الصادرات المصرية باتفاقيات تجارية متنوعة تمنح منتجاتنا إعفاء جمركياً بنسبة 100٪ فى 13 دولة

إفريقية حالياً أعضاء بتجمع الكوميسا وإعفاءات بنسب أقل فى 12 دولة أخرى ومع التصديق على اتفاق التجارة الحرة القارية فإن هذا العدد سيتضاعف.

وحتى نضمن نجاح تلك الجهود فإنه على الدولة أن تستكمل تنفيذ إستراتيجية تنمية التجارة المصرية مع إفريقيا التى اعتمدتها الحكومة منذ عامين ووضعها ممثلون عن 5 مجالس تصديرية وتحت إشراف مسئولى وزارتى التجارة والصناعة والخارجية ورغم تنفيذ بعض توصياتها إلا أن هناك إجراءات دعت لها لكن لم تتخذ حتى الآن.

ومن تلك التوصيات المنتظرة مثلاً زيادة المشاركة المصرية فى المعارض الدولية وتكثيف إرسال البعثات الترويجية لأسواق 11 دولة رشحتها الإستراتيجية وهى كينيا – السودان – زامبيا - أوغندا– نيجيريا – تنزانيا– الكونغو الديمقراطية - جنوب أفريقيا– كوت ديفوار– أثيوبيا– غانا، وبدلاً من تكثيف المشاركة المصرية فى معارض تلك الدول فإن هناك تراجعاً فى مشاركة مصر فى المعارض الخارجية عموماً وبمعارض إفريقيا بوجه خاص مع انخفاض فى عدد الشركات المصرية المشاركة وهو ما يجب دراسة أسبابه.

أيضاً فإن الإستراتيجية تدعو للتركيز على 5 قطاعات مصرية هى الأكثر جاهزية للتصدير لإفريقيا وهى الصناعات الغذائية والدوائية والهندسية والكيماوية ومواد البناء ويمكن بسهولة زيادة صادرات القطاعات الخمس بنسبة 20٪ سنوياً، ولذا يطالب القطاع التصديرى المصرى بزيادة دور بنك تنمية الصادرات فى تمويل الصادرات المصرية عبر توفير برامج تمويلية خاصة للمصدرين بأسعار فائدة ميسرة، إلى جانب العمل على زيادة عدد المصدرين بجذب مصدرين جدد مع تبسيط وميكنة إجراءات صرف المساندة التصديرية، وتوفير إمكانيات البيع إلكترونياً للمشترين الأفراد بالأسواق الأفريقية وإنشاء (4) مقرات بيع دائم ومخازن لوجيستية تخدم الدول الحبيسة بأفريقيا على أن يتم توزيع هذه المراكز شرقاً بدولتى السودان وكينيا وغرباً فى السنغال وكوت ديفوار، ورغم إنشاء مركز لوجيستى بكينيا فإن المراكز الأخرى المقترحة لم تشهد خطوات جادة لإنشائها حتى الآن.

أيضاً تطالب الإستراتيجية المصدرين بوضع خطط تسويقية للصادرات المصرية تراعى حاجز اللغة بالدول الإفريقية التى لا تتحدث كلها الإنجليزية فبعضها يتحدث الفرنسية والبرتغالية خاصة بمناطق غرب ووسط أفريقيا ومن الجهاز المصرفى تطالب الإستراتيجية بتوفير معلومات ائتمانية وافية عن المستوردين الأفارقة وفتح فروع للبنوك المصرية فى الدول الأفريقية لمواجهة الصعوبات التى يواجها المصدر المصرى فى فتح الاعتمادات والتحويلات المالية فى إفريقيا وتطوير برامج المساندة التصديرية لمواجهة المنافسة الشرسة التى تواجهها الصادرات المصرية من دول شرق آسيا وخفض أسعار الفائدة البنكية على البرامج التمويلية الموجهة للعمليات التصديرية لدى بنك تنمية الصادرات، والشركة المصرية لضمان مخاطر الصادرات التابعة للبنك وبشركات تخصيم الأوراق التجارية عموما.

وبعيداً عن هذه الخطوات وما تدعو له إستراتيجية تنمية صادراتنا لإفريقيا فإن مصر مطالبة بالتعامل مع عدد من التغيرات العالمية لعل أبرزها إعلان الولايات المتحدة عن إستراتيجية جديدة للتعاون الاقتصادى مع إفريقيا ومع تضمنها لجوانب استثمارية قد تكون مهمة لتنمية اقتصاد أفريقيا إلا أنه يجب على مصر دراستها بعناية لضمان حسن الاستفادة منها وعدم الصدام معها أو أن تكون على حساب تعاون القارة اقتصادياً مع الصين أو الهند.

أما داخلياً فإن مصر مطالبة باستكمال إجراءات ترتيب البيت من الداخل خاصة ما يتعلق باستكمال الإصلاحات التشريعية لتحديث القوانين الحاكمة للنشاط الاقتصادى خاصة قوانين العمل والتأمينات الاجتماعية والتجارة الداخلية والجمارك لأن بعضها صدر منذ أكثر من 60 عاماً مثل قانون الجمارك وبعضها مثل قانون التجارة الداخلية يعود لأربعينيات القرن الماضى ولاشك أن هذه السنوات الطويلة شهدت متغيرات وتحديات كثيرة لابد أن تعالج تشريعياً حتى تصبح بيئة الأعمال فى مصر جاهزة وقادرة على تحقيق هذه القفزة الاقتصادية المنشودة.

أيضاً من التحديات التى يجب أن تتعامل معها مصر اختلاف مستوى تحرير التجارة بين دول التجمعات الإفريقية المختلفة بسبب عدم التزام بعض دولها بالاتفاقيات التجارية، ولذا فسوف تستمر تلك التجمعات من الناحية القانونية والتنظيمية رغم دمجها فى منطقة التجارة القارية.

مصر وإفريقيا
حكاية يرويها النيل

نهر النيل صانع الحضارات، ينبع من الجزء الشمالى الشرقى من قارة أفريقيا، ومصر بموقعها الجغرافى المتميز فى الجزء الشمالى الشـــرقى من القارة، جعل مصر قلب إفريقيا ورأســـها المطل على البحر الأبيض المتوســـط، مما يؤكد أن مصر هبـــة النيل، بل جعل ارتباط مصر بإفريقيا ارتباطاً عضويـــاً، ضارباً بجذوره فى أعماق التاريخ منذ القدم.

عادل عبدالصمـــد

adelabdelsamed@yahoo.com

يمر نهر النيل بعشر دول مختلفة، إلى جانب مروره بمصر والسودان، يمر بجنوب الســـودان وبوروندى ورواندا، بالإضافة إلى كل مـــن أوغندا وتنزانيا وكينيا، وجمهورية الكنغو الديمقراطية، وأخيراً دولة أثيوبيا، حيث يشكل بكل دولة يعبر منها مكوناً رئيسياً للاقتصاد والزراعة والثقافة.

والمصدر الرئيســـى لنهر النيل، بحيرة فيكتوريا، التى تقع على الحدود بين أوغندا وتنزانيا وكينيا، وإلى جانب تلك البحيـــرة هناك أربعـــة مصادر مختلفة يحصـــل نهر النيل على مياهه منها، تبدأ بما يسمى النيل الأزرق.ـ نهر السوباط ـ نهر عطبرة.ـ بحر الجبل.

ويؤكد نهر النيل صانع الحضارة، أن مصـــر وإفريقيا كيـــان لا ينفصل ويروى فصولها عبـــر الزمان، ويجدد ارتباطهـــا حضاريـــاً الذى جســـدته الجغرافيا والتاريخ والإرادة المشتركة ووحدة المصير، كمـــا عززته ودعمته المصالح المشـــتركة بين الشـــعوب الإفريقية.

ومن هنا اتجهت مصر بكل قوتها إلى قارتهـــا الإفريقية التى غابت عنها، فترة من الزمن، ولكن مازالت فى قلب كل مصرى، فالجذور ونيلها قادران على تجديد مياه الترابط والمشاركة الفعالة بين مصر وإفريقيا، والتوجه المصرى نحو إفريقيا يرتكز على مقتضيات الأمن القومى. تلك رؤية يدركها السيد الرئيس عبدالفتـــاح السيســـى باعتباره رجل إستراتيجية ملماً بكل قواعد ومقومات الأمن القومـــى المصرى. وشـــهدت العلاقات المصرية الإفريقية منذ تولى الرئيس السيسى رئاسة البلاد (2014) انتعاشاً ضخماً، حيث دعمت الزيارات الخارجية مركـــز مصر العالمى، وكان مـــن ثمارها اســـتعادة مصر عضوية الاتحـــاد الإفريقى، بعد (11) شـــهراً من تجميدها، ليشـــارك الوفد المصرى برئاسة الرئيس السيســـى فى أعمال الدورة الـ23 لقمـــة الاتحاد الإفريقى بعنـــوان (الزراعة والأمـــن الغذائى) بالقارة الإفريقية، بغينيا الاســـتوائية فـــى (26 يونيو 2014). وأكد الرئيس فـــى كلمته حرص مصـــر على تنمية التعاون مع دول القـــارة، وأعلن فيها عن إنشاء الوكالة المصرية للشراكة من أجل التنمية فى إفريقيا، لإعداد وتأهيل الكـــوادر الإفريقية، ودعـــم مبادرات جديدة لتنفيذ مشروعات تنموية رائدة بالقارة، وهو ما فتح المجال مرة أخرى أمام مصر للمســـاعدات فـــى برامج الاتحاد الإفريقى (الإغاثة وحفظ السلام الإفريقى ومكافحة السلاح).

وفـــى 26 يناير 2015 شـــارك الرئيس فى اجتماعات القمة الإفريقية فى دورتها الـ 24 فى أديس أبابا التى عقدت تحت شعار (عام تمكين المرأة والنهوض بها نحو أجندة 2063). وتلك هى الزيارة الأولى للرئيس السيسى إلى أثيوبيا لمدة ثلاثة أيام، وأجرى خلالها سلسلة من اللقاءات المكثفة مع نظرائه من قادة الدول الإفريقية. وتناول فيها سبل تعزيز العلاقات الثنائية، وتنسيق المواقف حيال المسائل المطروحة على جدول أعمال القمة الإفريقية.

كمـــا زار الرئيس (فـــى 30 يناير 2016) أديـــس أبابا لحضـــور القمة الإفريقيـــة الـ26، تحت شـــعار (عام 2016 عـــام حقـــوق الإنســـان) مع التركيز علـــى حقوق المـــرأة، وأكد الرئيس أن مصر ســـتواصل العمل مع الـــدول الإفريقية الشـــقيقة، لضمان توافر الموارد اللازمـــة لتنفيذ البرامج والمشروعات الاقتصادية والاجتماعية، وإنجاز رؤية إفريقيـــا 2063 كقارة مزدهرة تنعـــم بالأمن والاســـتقرار، وتضطلع بدورها كقـــوة مؤثرة على الساحة الدولية.

وفـــى 17 يوليـــو 2016، ترأس الرئيـــس عبدالفتاح السيســـى الوفد المصرى المشارك فى القمة الإفريقية الـ27 تحـــت شـــعار (2016 العام

قمة مجلس السلم والأمن الإفريقى فى إثيوبيا

الإفريقى لحقوق الإنسان) فى العاصمة الرواندية كيجالى، وركزت تلك الدورة على حقوق المرأة وتناولت تقييم وضع حقوق الإنسان فى إفريقيا، وتحديد ما ينبغى القيام به لبناء ثقافة احترام حقوق الإنسان بالقارة، واستكشاف أفضل سبل مواجهة تحديات حقوق الإنسان.

زار الرئيس للمرة الثالثة فى 30 يناير 2017 أديس أبابا لحضور قمة الاتحاد الإفريقى، للمشاركة فى الدورة العادية رقم 28 لقمة رؤساء الدول والحكومات تحت شعار (العائد الديموجرافى من خلال الاستثمار فى الشباب)، ووقع الرئيس على بعض القرارات الخاصة بالقمة كالاتفاقية الإفريقية لمكافحة الفساد، وقوبل هذا الاهتمام المصرى بإفريقيا بتقدير إفريقى، تجلى فى الدعم الإفريقى لتمثيل مصر للقارة الإفريقية فى منصب العضوية غير الدائمة فى مجلس الأمن، ورئاسة لجنة تغير المناخ فى الاتحاد الإفريقى وعضوية مصر فى مجلس السلم والأمن الإفريقى.

وفى 27 يناير 2018 زار الرئيس أثيوبيا للمشاركة فى أعمال القمة الـ30 للاتحاد الإفريقى، بحضور رؤساء وقادة وزعماء الدول الإفريقية، وعقدت تحت شعار (الانتصار فى معركة مكافحة الفساد نهج مستدام نحو تحول إفريقيا).

وفى 8 ديسمبر 2018 انطلقت فعاليات مؤتمر إفريقيا 2018 الذى نظمته وزارة الاستثمار والتعاون الدولى بالتعاون مع الوكالة الإقليمية للاستثمار التابعة لمنظمة الكوميسا فى نسخته الثالثة تحت عنوان (القيادة الجريئة والالتزام الجماعى وتعزيز الاستثمارات البينية الإفريقية) بمدينة شرم الشيخ، وعقد المؤتمر تحت رعاية الرئيس السيسى وبحضور عدد من رؤساء دول وحكومات ووزراء من مختلف الدول الإفريقية و200 شخص من ممثلين عن شركاء مصر فى التنمية ورجال أعمال ومستثمرين وشخصيات رفيعة المستوى من المصريين والأفارقة ومن جميع أنحاء العالم، بهدف تحفيز الاستثمار فى القارة الإفريقية.

وأكد الرئيس عبدالفتاح السيسى فى منتدى إفريقيا 2018 على تعزيز مسيرة القارة الإفريقية فى التنمية.

وكانت القارة الإفريقية حاضرة بقوة وبشكل غير مسبوق فى منتدى شباب العالم فى شرم الشيخ وظهر هذا الوجود فى ندوات وجلسات وورش المنتدى، فضلاً عن حضور كبير من شباب إفريقيا، الذين ظهروا بشكل جدى وقوى وكانت أفكارهم تدل على تحولات ثقافية وفكرية واستثمارية لها أهميتها.

وانطلاقاً من حرص القيادة السياسية بعد 30 يونيو، على الوجود المؤثر والفعال على الساحة الإفريقية، وضعت مصر أهدافاً محددة على رأس أولويات رئاستها المقبلة للاتحاد الإفريقى عام 2019، وأبرزها تحقيق التنمية المستدامة وتطوير البنية التحتية، ووضع إستراتيجية لجذب الاستثمارات لتوفير بيئة مناسبة لرجال

منتدى إفريقيا 2018

مصر وإفريقيا
حكاية يرويها النيل

الأعمال، وتوفير العديد من فرص العمل للشباب الإفريقى. ومن ثم جاءت استضافة مصر للعديد من الفعاليات الإفريقية المهمة، الرامية لتحقيق أهداف أجندة التنمية الإفريقية 2063.

وقد حرصت مصر خلال 2018 على دعم جهود مؤسسات الاتحاد الإفريقى، لتعزيز آليات التنمية المستدامة، والاندماج الإقليمى، حيث أسهمت جهود ممثليها فى صياغة أولويات العمل الإفريقى المشترك وتوقيع عدد من الاتفاقيات، أبرزها تحرير المجال الجوى الإفريقى، والتى وقعت عليها 27 دولة، واتفاقية حرية الإقامة والانتقال بين الدول الإفريقية، ووقعت عليها 38 دولة إفريقية، فضلاً عن اتفاقية منطقة التجارة الحرة، والتى وافقت على الانضمام لها ما يقرب من خمسين دولة حتى الآن، والتى تهدف فى مجملها لتأسيس اقتصاد متكامل، يسمح بنمو الطاقات الإفريقية، وتشجيع التجارة والصناعات

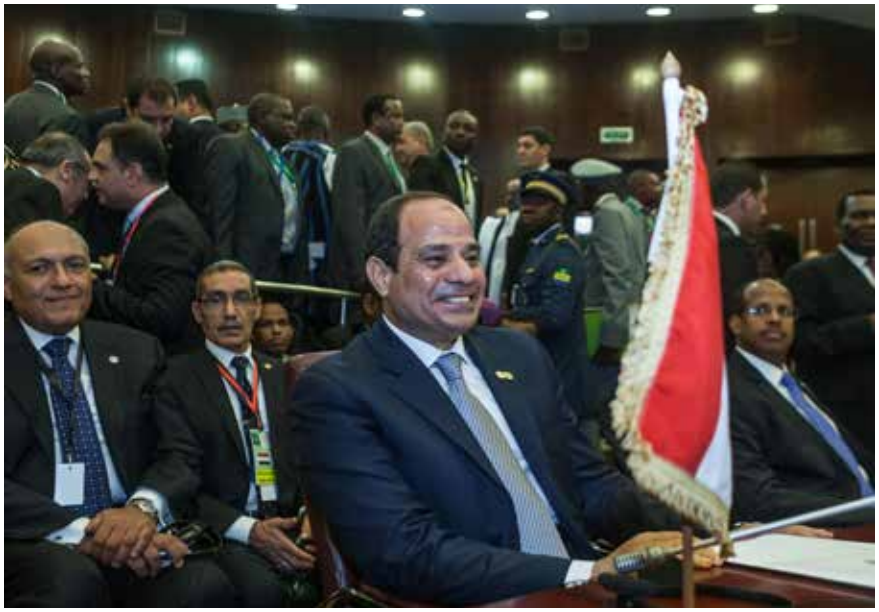

قمة مالابو ..وعودة مصر إلى عمقهاالإفريقى

التحويلية. وفى هذا الإطار يأتى قرار مصر بإنشاء صندوق دعم الاستثمار فى إفريقيا لتشجيع المستثمرين المصريين على المساهمة فى خطط التنمية المشتركة مع دول القارة ومع دعم جهود الاتحاد الإفريقى، لتفعيل دور التجمعات الاقتصادية (الكوميسا - إيكوس - سادك) وكذلك الهيئة الحكومية للتنمية (الإيجاد).

وتعد مصر من أكبر الدول المانحة للمساعدات فى القارة، نظراً للدور الذى يؤديه الأزهر الشريف والكنيسة المصرية، إضافة إلى الوكالة المصرية للشراكة من أجل التنمية التابعة لوزارة الخارجية، والتى تعمل على توفير المنح والدورات التدريبية لممثلى الدول الإفريقية فى العديد من المجالات.

وأكد الرئيس السيسى فى منتدى إفريقيا 2018 أن شباب القارة الإفريقية أغلى ما نملك من ثروة وأفكارهم

القمة ال 30 للاتحاد الإفريقى

المنتدى الاوروبى الإفريقى بالعاصمة النمساوية فيينا

المبتكرة أســـاس تحقيق التنمية، وأن منتدى إفريقيا 2018 يعد إحدى قنوات التواصل وتعزيـــز العلاقات بين الدول الإفريقية ويمثـــل تأكيداً لرؤيتها تجاه شبابها، وثقتها فى عقولهم وقدراتهم. موجهاً رسالة للعالم أجمع بأن إفريقيا هى مســـتقبل الاقتصاد العالمى، لأنها تمتلك كل العناصـــر التى تمكنها من تحقيق طفرة اقتصادية.

ووجه الرئيس رســـالته للشـــباب قائلاً:

(كونوا على ثقـــة بأننا نؤمن دائماً بكم وبأحلامكم، وأقول لكم إن أمامكم تحديات كبيـــرة، تحتـــاج لمزيد من الاجتهاد والمثابـــرة والإبداع والابتكار، وواثق تماماً أنكم أهل لهذه التحديات وقادرون علـــى التغلب عليها وتحقيق آمال القارة).

ومن هنا كان قرار الرئيس بتقديم إعلان شرم الشـــيخ للتكامل الإفريقى والعربى إلى الاتحاد الإفريقى والجامعة العربية عن طريـــق وزارة الخارجية المصرية، لفتـــح باب التدريب وتأهيل الشباب الإفريقى والعربى فى المجالات الاقتصادية والسياســـية والاجتماعية بالأكاديمية الوطنية.

وهذا لم يكن ليتحقق لولا السياسة المصريـــة الرشـــيدة والناجحة تجاه القارة الإفريقية، وهى السياســـة التى تبناها وتابعها بقوة الرئيس عبدالفتاح السيسى وتديرها بشكل متميز وزارة الخارجية المصرية تحت إدارة الوزير القدير سامح شكرى.

وفى 18 ديســـمبر 2018 شارك الرئيـــس السيســـى فـــى المنتـــدى الأوروبى/ الإفريقى عالى المســـتوى بالعاصمة النمساوية فيينا، وبحضور زعماء ورؤســـاء حكومـــات 49 دولة أوروبية وإفريقية، وعقد المنتدى تحت شعار (التعاون فى العصر الرقمى).

وأكد الرئيس أن القارة الســـوداء حققت على مدى الســـنوات العشـــر الماضية معدلات نمو إيجابية مستدامة، وأن إفريقيـــا مؤهلة أكثـــر من غيرها للتعامل مع الأدوات المســـتحدثة فى القرن الحادى والعشرين.

وداعاً تركيا

Güle Güle Türkiye

كانت لحظات ومشـــاعر غريبة جداً عليّ وعلى زوجتى حينما سارعنا إلى السفر لأنقرة من القاهرة يوم 25 نوفمبر2013 لكى نتمكن بالكاد من جمع وشـــحن أمتعتنا وأوراقنـــا وتوديع أصدقائنا وإنهاء فترة عملنا فى تركيـــا التى امتدت لثلاثة أعوام ونصف تقريباً فى أربعة أيام فقط، وهو ما يفعله أى ســـفير عادة فى حوالى ثلاثة أشهر ولا شك أن سفراء قلائل فقط من زملائى المصريين أو الأجانب فى كل أنحاء العالم مثلوا مثلى أربعة رؤســـاء لدولهم خلال أربعة أعوام أو انتهت فترة عملهم الدبلوماسى فى الدولة المضيفة باعتبارهم أشخاصاً غير مرغوب فى وجودهم فى تلك الدولة persona non grata.

سفير عبد الرحمن صلاح

Abderahman_salah@yahoo.com

ورغم إننى لم يتم طردى شخصياً من تركيا مثلما حدث مع نظيرى التركى الذى تم اســـتدعاؤه للخارجية المصرية يوم 24 نوفمبر 2013 وأبلغه مدير المراسم المصرى أن مصر قررت تخفيض مستوى العلاقات الدبلوماسية مع تركيا من درجة السفير إلى درجة القائم بالأعمال ولهذا فإنه غير مرغـــوب فى وجوده فى مصر وتم إمهاله حتى يوم 29 نوفمبر لمغادرة البلاد. وجاء ذلك الإجراء بعد صبر طويل من جانـــب الحكومـــة المصرية وتحت ضغوط شديدة من الرأى العام المصرى الذى طالب بقطع العلاقات الدبلوماسية تماماً ومقاطعة المنتجات التركية وإلغاء اتفاقات التعاون بيـــن البلدين. وحفاظاً من الحكومة المصريـــة على المصالح الاســـتراتيجية والعلاقات التاريخية بين الشـــعبين اختارت الاكتفاء بهذا الإجراء الدبلوماسى الذى لا يمس - رغم شدته - بجوانب العلاقات الأخرى بين البلدين.

وهكذا انتهت فترة استدعائى للتشاور فـــى القاهرة والتى دامت ثلاثة شـــهور ســـعيت خلالها لاحتواء كل أزمة تنشب بسبب التصريحات المتتالية التى كانت تصدر يوميا عـــن رئيس الوزراء التركى إردوغان للهجوم على الحكومة الانتقالية فى مصر بعد 30 يونيو 2013 ويصفها بالحكومـــة الانقلابيـــة ويحرض ضدها دول العالم بل ويدعو إلى اتخاذ إجراءات دوليـــة ضد مصر ويســـتضيف قيادات الإخوان المســـلمين الهاربين من مصر بســـبب أحكام قضائية صدرت ضدهم أو لاســـتدعائهم للتحقيق . وكانت تركيا توفر ملجأ أمنا لهم وتدعو إلى اجتماعات لمنظمات دولية غير حكومية لمناصرتهم من اجل اتخاذ إجـــراءات قضائية دولية ضد المسئولين المصريين و تنظيم حملة إعلامية فى مصر والعالم العربى وأوروبا والولايات المتحدة لتشويه صورة التغيير الذى جرى فى مصر يوم 3 يوليو 2013 بناء علـــى طلب الملاييـــن التى خرجت للشوارع يوم 30 يونيو. وأصر إردوغان على وصف ذلك التغيير بالانقلاب.

وقد واجهت موقفاً صعباً للغاية منذ استدعائى للتشـــاور فى القاهرة، ففى حين كنت أسعى فى الاجتماعات المغلقة مع المســـئولين الحكوميين المصريين وجمعيات رجـــال الأعمـــال ان نحافظ على الوضـــع القائم من العلاقات الطيبة فـــى المجالات التجاريـــة والثقافية بين البلدين، وأجد فى هذه الاجتماعات توافقاً فى الرأى مؤيداً لذلـــك، فإن المحاورين الإعلاميـــين المصرييـــن الذيـــن كانوا يســـتضيفوننى لشـــرح الموقف كانوا متلهفين لاستنطاقى بما يسيء للحكومة التركية بل وما يقلـــل من أهمية العلاقة بالنســـبة للمصالح المصرية. ولا شك أن العديد من الإعلاميين المصريين العقلاء الذين اســـتضافونى كانوا تحت ضغط شـــديد من الرأى العـــام المصرى الذى يستمع يومياً تقريباً لأردوغان وهو يسب القادة المصريين ويحرض ضدهم.

وفى كل الأحوال كنت ما زلت سفيراً لبلادى فى تركيا وأؤمن ان مهمتى الأولى هى تقديم صـــورة مصر للإعلام التركى ومحاولة التأثير على الرأى العام التركى بما يخدم المصالح المصرية. وقد واصلت القيام بتلك المهمة خلال فترة استدعائى فى القاهرة للتشاور. وكنت أدلى تقريبا بصفة يومية بأحاديث من خلال مكالمات تليفونية مع وسائل الإعلام التركية التى كان معظمها لايجرؤ على نشـــر أو إذاعة كل ما أقول بســـبب القيود التى فرضها إردوغان وأنصاره على الإعلاميين منذ عام 2011 وتزايدت سطوتها بعد مظاهرات غازى الإحتجاجية فى اســـطنبول والتى امتدت لمدن تركية أخرى عام 2013 ضد دكتاتورية أردوغان وإســـاءة استخدامه للأغلبية البرلمانية لحزبه.

وقبيل فض اعتصام مؤيدى الإخوان المسلمين فى ميدان رابعة العدوية بحى مدينة نصر فى منتصف أغسطس 2013 كنت أمضى وأســـرتى أجـــازه قصيرة بمناسبة عيد الفطر فى القاهرة واتصل بى وزيـــر الخارجية المصرى قبل العيد ليطلـــب منى العودة إلى ســـفارتى فى أنقرة بعد العيد أى فى الأســـبوع الثانى من أغسطس، وطرحت عليه وقتها فكرة ان يقوم الرئيس التركـــى عبدالله جول بزيارة للقاهرة يلتقى خلالها بالمسئولين المصرييـــن وببعض ممثلـــى الإخوان المســـلمين الذين لم يكن قد تم القبض عليهم وقتها او هربـــوا من البلاد، وهى الفكرة التى طلب منى مستشار الرئيس التركى لشئون الشرق الأوسط وصديقى العزيز أرشـــد هورموزلو إن اســـتطلع إمكانيـــة تحقيقها، فوعدته بدراســـتها واســـتطلاع الرأى حولها والرد عليه بعد العيد.

فى غداء عمل استضفته للوفدين المصرى والتركى فى دار سكن السفير فى أنقرة فى نوفمبر 2010 خلال زيارة وزير الخارجية المصرى أحمد أبو الغيط وعلى يساره نظيره التركى أحمد داود أوغلو ويمينه السفير التركى فى القاهرة

وفى صباح يوم 14 أغسطس استيقظت الساعة السادسة صباحاً على صوت رسالة تليفونية SMS من نبيل فهمى قرأت نصها « عبد الرحمن اصرف النظر عن موضوع زيارة جول «، وتعجبت ما الذى يوقظ وزير الخارجية المصرى فى هذه الساعة المبكرة ليرسل لى تلك الرسالة فسارعت إلى التليفزيون افتحه لأشاهد النقل الحى لفعاليات فض الاعتصامً، وما أن مرت ساعتان وبدأ اللجوء للعنف من المعتصمين والرد عليهم من قوات الأمن حتى وجدت شريط الأخبار على الشاشة يحمل تصريحات لأردوغان وجول ينتقدان فيها استخدام العنف ويحملان قوات الشرطة المسئولية عن الضحايا.

وقررت العودة فوراً لمقر عملى فى تركيا وأبلغت وزير الخارجية بأننى حجزت على أول رحلة تغادر القاهرة فى ساعة مبكرة من صباح اليوم التالى 15 أغسطس 2013 فثنى الوزير على قرارى وطلب منى إحاطته بكل جديد فى الموقف التركى بمجرد وصولى. ورتبت أن أسافر من اسطنبول لأنقرة بالسيارة لكى يمكننى التوقف فى اسطنبول للإدلاء بحديثين لصحيفة حريات وتليفزيون CNN التركيين قبل التوجه لأنقرة. وقضيت الليل كله ساهراً فى متابعة أنباء فض الاعتصام والمعلومات المتوفرة عن تطوراته وضحاياه وإعداد نقاط حديثى مع الإعلام التركى حول هذا الموضوع الذى شغل فوراً اهتمام تركيا كلها.

ووصلت مطار اسطنبول لأجد كل رواد صالة كبار الزوار ملتمين حول شاشتى التليفزيون اللتين كانتا تذيعان كلتاهما تغطية مباشرة من القاهرة من قناتى TRT الحكومية التركية وNTV الإخبارية التركية، وتركز التغطيتان على عرض رواية الإخوان المسلمين للأحداث وعلى ادعائهم أن ألاف القتلى قد سقطوا فى أحداث الفض وأن عشرات الآلاف قد أصيبوا بجراح معظمها خطير وان قوات الشرطة قد أحرقت مسجد رابعة وبداخله ألاف الجثث لإخفاء معالم الجريمة حسب زعم جماعة الإخوان.

ولمحنى احد كبار الدبلوماسيين الأتراك المتقاعدين ولفت نظر بقية الموجودين فى القاعة لوجودى بينهم فتجمعوا حولى وقضيت حوالى ساعة اشرح لهم ما شاهدته عيناى على شاشة التليفزيون المصرى من إمهال الشرطة للمعتصمين فترة كافية للإخلاء وان آلافا استفادوا من تلك المهلة وخرجوا سالمين دون أن يتعرض لهم أحد، فى حين أن المسالمين الذين تم التغرير بهم للبقاء ضد تعليمات الشرطة لم يدركوا أن بينهم بعض المسلحين الذين أطلقوا النار على قوات الأمن بل وتبين بعد ذلك أنهم أصابوا عن عمد أو غير عامدين بعض المعتصمين. وردت الشرطة باستخدام العنف مما أودى بحياة كثيرين ولكن عدد القتلى والمصابين كان أقل بكثير مما تدعيه جماعة الإخوان وتردده وسائل الإعلام التركية... وشرحت أحداث الإعتداء فى نفس اليوم على أقسام الشرطة والكنائس فى مختلف أنحاء مصر والتى توضح وجود محاولة لزعزعة الإستقرار فى البلاد من جانب الإخوان المسلمين والقوى المتحالفة معها.

ولاحظت ان الدبلوماسى التركى المتقاعد يقضى وقتاً طويلاً فى شرح كلماتى ويدخل فى مناقشات جانبية مع بعض المستمعين دون ان ينقل لى ترجمة ما يقولون واتضح لى أن العديد منهم يشكك فى صدق روايتى ويكرر ما سمعه وقرأه فى الصحف من رواية الإخوان المسلمين للأحداث. والحقيقة أن الحكومة التركية وأجهزتها الإعلامية (وكالة الأناضول للأنباء وإذاعة وتليفزيون TRT والعديد من الصحف الموالية للحزب الحاكم مثل ينى شفق وصباح) قد تحولت منذ 30 يونيو 2013 إلى نقل ما يذيعه موقع الإخوان المسلمون على الانترنت وما تنقله الجماعة من شرائط فيديو لقناة الجزيرة، ونشط محررو وكالة الأناضول للأنباء فى ترجمة كل هذه المواد من العربية إلى

التركية فأصبح المواطن التركى معرضاً فقط ومستهلكاً لوجهة نظر الإخوان.

وكنت قد سبق أن شكوت من ذلك التحيز المغرض لرئيس الجمهورية التركى عبد الله جول فى لقائى معه فى اسطنبول يوم 12 يوليو 2013 (بالصدفة يوم عيد ميلادى وقبل مغادرتى فى إجازة للقاهرة) وقد وعدنى بمعالجة الأمر وطلب منى مستشاره موافاته بمثال على الأنباء الكاذبة التى تنشرها وكالة الأناضول للأنباء فوافيته بصور نشرتها الوكالة لأربعة أطفال أدّعت أنهم قُتلوا فى أحداث محاولات الإخوان لاقتحام نادى الحرس الجمهورى يوم 6 يوليو اعتقاداً منهم أن الرئيس السابق محمد مرسى مازال داخله. وقد ثبت ان صور أولئك الأطفال قد سبق نشرها على أنهم ضحايا نظام بشار الأسد فى سوريا.

وعندما طلب مكتب الرئيس التركى من وكالة الأناضول التحقيق فى الموضوع نفى المسئولون هناك نشر هذه الصور التى اختفت من موقع الوكالة على الإنترنت ولكن تأثيرها استمر فى أذهان المواطنين الأتراك العاديين بل والبيانات الرسمية التركية التى عكست تماماً وجهة نظر الإخوان ووصلت إلى حد التلميح بأن العمليات الإرهابية التى تتعرض لها قوات الجيش والشرطة فى مصر ربما كانت بغرض «تأليب الناس ضد العودة للديمقراطية « أى إنها بتدبير من قوات الأمن والحكومة المصرية.

وانطلقت مساء يوم 15 أغسطس 2013 مع سائقى التركى « سها بيه « إلى مقر CNN وأجريت حواراً تليفزيونيا على الهواء مباشرة لأشرح فيه حقيقة ما حدث فى مصر منذ 3 يوليو وحتى فض اعتصام رابعة وعقدت العديد من المقارنات مع ما يمكن أن تقبله كل دول العالم بما فيه تركيا من سلوك من جانب المتظاهرين او المعتصمين السلميين وأن جماعة الإخوان تجاوزت الحدود التى يمكن أن تقبلها اى دولة فى العالم.

وفوجئت بأن المذيعة التى تحاورنى تتفق معى فى الرأى وتدلل على ذلك بطريقة تعامل البوليس التركى مع مظاهرات حديقة غازى فى منطقة

الإحتفال بافتتاح رحلات مباشرة بين اسطنبول وشرم الشيخ والغردقة أكتوبر 2012 وعلى يسارى السفير التركى فى القاهرة حسين عونى بوتصالى وعلى يمينى وزير السياحة المصرى هشام زعزوع ورئيس ومديرعام الخطوط الجوية التركية

ميدان تقسيم فى إسطنبول المعارضة لرئيس الوزراء أردوغان والتى لم يحمل المشاركون فيها اية أسلحة. ودعتنى المذيعة إلى التعليق على تلك المقارنة، فامتنعت مشيراً إلى أن مصر تطالب تركيا وبقية دول العالم أن تمتنع عن التدخل فى الشئون المصرية الداخلية فكيف لى أن أفعل الشيء نفسه إزاء تركيا، ولكننى ذكّرت المشاهدين بأن حكومة اردوغان نفسها قد وجهت نقداً مريراً للولايات المتحدة ودول أوربا الغربية لاعتراضها على طريقة فض البوليس التركى لمظاهرات غازى ووصف إردوغان ذلك بأنه تدخل سافر فى الشئون الداخلية التركية.

وحذرت فى حديثى التليفزيونى من أن ما تفعله تركيا إزاء مصر قد يتكرر إزاءها وكأننى - دون أن اشعر - أتنبأ بما حدث فعلاً بعد حوالى ستة شهور وبعد كشف فضيحة فساد كبيرة واتهام عدد كبير من أعضاء الحكومة التركية وأبنائهم بالتورط فيها او بمحاولة إخفاء معالمها وظهور اردوغان لكى يدافع عن طهارة يد حكومته وأعضائها ويتهم بعض الدول(يقصد الدول الغربية وإسرائيل) بتدبير مؤامرة ضده والتدخل فى شئون بلاده ويهدد سفراء تلك الدول وخاصة الولايات المتحدة بالطرد من تركيا إذا ما صدر منهم تصريحا واحدا للإعلام حول الشأن التركى الداخلى.

ومن سخريات السياسة رؤية اردوغان يدعو فى الوقت نفسه سفراء نفس تلك الدول مرارا إلى اجتماعات يؤنبهم فيها على عدم التدخل فى الشأن المصرى ويدعوهم لفرض عقوبات على مصر أو دعوة مجلس الأمن لفعل ذلك.

وأذكر انى تلقيت دعوة لحضور الإفطار السنوى لحزب العدالة والتنمية الحاكم فى منتصف شهر رمضان فى يوليو 2013 والذى يتحدث أمامه عادة رئيس الوزراء التركى إلى سفراء الدول المعتمدين فى انقرة وكان ذلك رابع إفطار لى فى رمضان من هذا النوع فى تركيا وكان الحزب الحاكم واردوغان نفسه عادة ما يستغل هذا الإفطار السنوى للترويج لأحد قضاياه السياسية، وفى إفطار عام 2010 أعلنت الصحف التركية وقتها ان السفير الإسرائيلى فى أنقره لم يتلق دعوة لحضور الإفطار بسبب الاعتداء الإسرائيلى قبلها على السفينة التركية مرمرة الزرقاء التى كانت تحاول نقل مساعدات لقطاع غزة.

وفى إفطار عام 2011 أطلق أردوغان أول إشارات تحوله من صداقة بشار الأسد والتحالف معه إلى تحذيره وإنذاره والتى أتبعها بالسعى حينها لمحاولة أسقاطه اعتقاداً منه ان هذا كان هو اتجاه الريح فى النظام الدولى الذى يجب أن تتبعه

السفير المصرى عبد الرحمن صلاح وزوجته الدكتورة ثريا الخضراوى مع رئيس الوزراء التركى وقتها رجب طيب إردوغان وحرمه Emine Erdogan فى صالة كبار الزوار فى مطار القاهرة قبيل مغادرته فى انتهاء زيارته لمصر نوفمبر 2012 ويظهر أيضا السفير التركى فى القاهرة وقتها حسين عونى بوتصالى وحرمه إنجى بوتصالى.

تركيا بصفتها فى رأيه الدولة القائدة فى إقليمها.

وفى إفطار عام 2012 الذى جاء مباشرة بعد تولى الإخوان المسلمين سدة الحكم فى مصر تمت دعوة مقرئ مصرى شهير للقرآن لافتتاح الإفطار وكذلك ترتيب جلوسى على يمين وزير الخارجية التركى داود أوغلو وعلى يساره جلس السفير الفرنسى الجديد الذى وصل أنقرة بعد وصول رئيس الوزراء الفرنسى الجديد أولاند للحكم ورحيل ساركوزى العدو اللدود لانضمام تركيا للاتحاد الأوروبى.

ووجدت السفير الفرنسى يغمز لى بعينه ويقول على مسمع من وزير الخارجية التركى انه سعيد بانضمامه إلى الأصدقاء المقربين من داود أوغلو لأنه يعرف أن ترتيب الجلوس فى هذا الإفطار الحزبى لا يتبع الترتيب البروتوكولى لأسبقية السفراء فى الوصول لدولة الاعتماد بغض النظر عن طبيعة علاقات دولهم مع الدولة المستقبلة، فغمزت له بدورى ورفعت صوتى ليسمعنى داود اوغلو مشيراً إلى أن من حقه أن يسعد بالترقية التى نالها ولكننى كنت دائماً احظى بهذا الوضع الخاص فى تركيا التى ربطتها بمصر علاقات وثيقة بغض النظر عن طبيعة وتوجهات الحكومة فى البلدين. وأمن داود أوغلو على كلامى وأشار إلى انه أفرد فصلاً كاملاً فى كتابه « العمق الاستراتيجى » حول أهمية علاقة تركيا مع الدولتين المحوريتين الآخرتين فى المنطقة « مصر وإيران. »

وفى رمضان عام 2013 وجدت إن بلادى سوف تكون محور الرسالة الإعلامية التى يرسلها أردوغان للعالم من خلال ذلك الإفطار الرمضانى. ولم أشأ أن اعتذر مسبقاً عن حضور الإفطار لأنى أدركت ان أردوغان كان سيحاول وقتها سحب الدعوة الموجهة لى واستغلال ذلك من أجل الإساءة لى ولبلادى. وطلبت بدلاً من ذلك مقابلة نائب اردوغان فى الحزب للشئون الخارجية والذى أصبح بعد ذلك وزيرا للخارجية واسمه شاوش أوغلو (أو ابن الشاويش وأرجو بالمناسبة ان تتنبه وسائل الإعلام الناطقة بالعربية إلى أن لاحقة أوغلو فى اللغة التركية تعنى ابن وهى جزء لا يتجزأ من الكلمة ولذا لا يصح أن نخاطب أحدا باسم السيد أوغلو).

كان شاوش أوغلو حديث العهد بذلك المنصب بعد أن انتقل سلفه وصديقى عمر شيليك لكى يكون وزيراً للثقافة والإعلام. وطلبت مقابلة شاوش أوغلو بغرض التعارف ولكن غرضى الحقيقى كان التعرف اذا ما كان من الممكن التوصل مع أردوغان إلى تفاهم يلتزم من خلاله بالامتناع عن التعليق عن الأحداث الداخلية فى مصر حفاظاً على العلاقات بين الدولتين، وإذا ما كان يمكن أن يبدأ هذا الصمت الإعلامى خلال مأدبة الإفطار الرمضانى التى تحدد تاريخها بعد يومين من مقابلتى لشاوش أوغلو الذى اعلم قربه من اردوغان وانه أحد من ينقلون له المعلومات عن مواقف الدول الأجنبية بسبب درايته بالإنجليزية التى يجهلها أردوغان. وشجعنى أن مساعدى شاوش اوغلو عبروا لزملائى فى السفارة عن استعدادهم لان يكون اللقاء دون تغطية إعلامية off - the - record إذا ما رغبنا فى ذلك وأبديت موافقتى على ذلك.

وحين وصلت مقر رئاسة الحزب مع زميلى محمد عاطف (السكرتير الثانى وقتها) فوجئت بوجود كاميرات التليفزيون التى سجلت دخولى المقر، ولذا بعد أن بدأنا الاجتماع أوضحت لمضيفى أننى لا أمانع فى دعوة رجال الإعلام لالتقاط صور فى بداية الاجتماع ولا أمانع أيضاً فى الإدلاء بتصريحات فى نهاية الاجتماع إذا ما رغب مضيفى فى ذلك، ويبدو انه لم يحصل على موافقة مسبقة على ذلك من رؤسائه فاكتفى بالسماح بالتصوير دون تسجيل صوتى فى بداية الاجتماع.

وفوجئت بالرجل الذى يجيد اللغات الأجنبية يردد مزاعم الإخوان المسلمين أن دول العالم كلها بما فى ذلك الاتحاد الأوربى قد وافقت تركيا على توصيفها لما حدث فى مصر على انه انقلاب عسكرى وان تركيا لن تتراجع عن موقفها من الانقلابيين فى مصر. فأوضحت له أن حديثه وما تنشره وسائل الإعلام التركية يخالف الواقع وسلمته صورة بيان الاتحاد الأوربى وبيان الإدارة الأمريكية بل وبيان الاتحاد الأفريقى التى لم يتضمن أى منها وصف التغيير الأخير فى مصر بأنه انقلاب ولكنها كلها طالبت حينها بالتعجيل باتخاذ الخطوات نحو العودة للمسار الديمقراطى فى مصر.

وذكرّت المسئول الحزبى التركى أن ما حدث فى مصر مطابق لما حدث فى 25 يناير 2011 حين تدخل الجيش المصرى لمسانده مطلب الأغلبية وإجبار الرئيس على التنحى وحماية عملية التحول الديمقراطى وذكرّته بالموقف التركى آنذاك من الترحيب بالثورة المصرية وبقية ثورات الربيع العربى. فهاج الرجل وأكد لى انه لن ينجح أحد فى إقناعه بتغيير موقفه وان رئيس

وزرائه رجل مبـــادئ وانه أيضا لن يغير موقفـــه، وإنهـــم فى تركيـــا خبراء فى الانقلابات العسكرية وعلاقة من يقومون بها بإســـرائيل. وأضـــاف منفعلاً أنه لا يستبعد أن تقوم مصر الآن بالتحالف مع إسرائيل ضد تركيا بسبب موقفها.

أدركت أن الرجل يســـتخدم المقابلة لكى يعلو فى درجات الســـلم الوظيفى ويقترب أكثر من رئيس الحزب أردوغان لكى ينـــال منصباً أكبـــر وهو ما حدث بالفعل بعد ستة أشهر عندما عينه وزيراً لشـــئون الاتحاد الأوروبى خلفاً للوزير شـــيليك الذى أطاحت به فضيحة الفساد ثم رقاه بعد ذلك ليكون وزيرا للخارجية. فاكتفيت بمطالبتـــه بتحرى الدقة فى ما يقوله وحذرته من تأثيره الســـلبى على العلاقات بيـــن البلدين، وذكّرته أن مصر ما قبل الإخوان هى التى ساندت تركيا فى مواجهة العدوان الإسرائيلى على السفينة التركية مرمـــرة الزرقاء وقتل العديد من الأتراك المدنييـــن. وأضفت متهكما أننى لاأعتقد أن اسرائيل تحتاج لمساندة مصر أو أى دولة أخرى لمهاجمة تركيا فقد سبق لها أن قتلت مواطنيـــن أتراك على ظهر تلك السفينة ورغم أن إردوغان ملأ الدنيا ضجيجا بتصريحات عن الرد العسكرى باستخدام الأسطول التركى الذى وصفه بأنه الأقوى فى شرق المتوسط ولكنه لم يفعل شيئا سوى التفاوض مع اسرائيل للحصول على اعتذار وتعويض ملائمين. وأنهيت المقابلة بأننى كنت أمل أن نصل إلى تفاهم يمكّن بلدينا من اجتياز الأزمة الراهنة ولكن يبدو ان ذلك غير ممكن .

وفوجئت ان شـــاوش أوغلو بعد هذه المقابلـــة العاصفة وقبـــل توديعى عند المصعد يسألنى متودداً إذا ما كنت سوف احضر إفطار الحزب على شـــرف رئيس الوزراء أردوغان بعد يومين فرددت عليه بنفس الابتســـامة الصفراء انى ســـوف أسعى جاهداً لكى أكون حاضراً. وتعمدت ألا أبلغه أى رد بتأكيد الحضور أو الاعتذار فى حيـــن إننى أبلغت وزيـــر الخارجية المصرى برقيا إننى اعتزم عدم الحضور. وفى يوم الإفطار نفســـه وقبل ساعتين من موعده طلبت من ســـكرتيرتى إبلاغ اعتذارى وأنى» لن احضر بدون إبداء أية أسباب «. وتلقيت اتصالات من كل وسائل

آخر إجتماع للسفير المصرى مع وزير الخارجية التركى آنذاك أحمد داود أوغلو وتم فى فى مطار أنقرة 19 يوليو 2013

الإعلام التركية حوالى نصف ساعة فقط قبل موعد الإفطار. وكما توقعت لم تكن الســـلطات التركية قد أعلنت حتى ذلك الحين عن اعتذارى. وقـــد اعتمدت على الفوضى البروتوكولية التركية المعتادة عموماً وما خبرتـــه منها فى تنظيم مثل هذه المناسبات خاصة الحزبية منها.

وهكذا ظل مكانى شـــاغراً وأعلنت وســـائل الإعلام التركيـــة والمصرية أن الســـفير المصرى تلقى دعوة لحضور الإفطـــار ولكنه اعتذر عنهـــا دون إبداء الأسباب احتجاجاً على سياسة اردوغان تجـــاه بـــلاده. وبالإضافة إلـــى التأييد والإعجـــاب الإعلامـــى الـــذى لقيه ذلك التصرف فـــى مصر، فـــإن عديداً من المسئولين الأتراك اســـرّوا لى بعد ذلك أنهم معجبون بطريقـــة معالجتى لهذا الموضوع لأن حضورى كان سيزيد من المواجهة إذ أننى كنت سأضطر لمغادرة الحفل عند أول إشارة سلبية من إردوغان ضد بـــلادى بل والرد عليه فى وســـائل الإعلام التركية خاصـــة تلك التى تنتمى للمعارضة وتتلهف على الحصول على رد منى.

وهنا لابد وأن أتوقف عند ملاحظة أن مستشارى أردوغان عام 2013كانوا غير قادرين او غير راغبين فى تقديم النصح له حـــول التصريحات التـــى يدلى بها حول مصر وحول بقية قضايا الشـــئون الخارجية بل وبعض الشـــئون الداخلية التركية، وهو وضـــع مختلف تماماً عن صورة أردوغـــان قبل عام 2011 عندما كان وشـــريكه عبد الله جول يستمعان إلى كل الاتجاهات قبل أن يقررا توجهات حزبهما. وكنت عنـــد وصولى تركيا عام 2010 قد أبديـــت إعجابى باســـتماع أردوغان وداود أوغلـــو لنصائح الخبراء «العلمانيين» فى مجالات الدبلوماســـية والاقتصاد، ولكنى رصدت اتجاها متزايداً منذ عام 2011 لاســـتبدال مستشـــاريه بآخريـــن ينتمون لليميـــن المحافظ أو يحملون ولاءً شخصياً لأردوغان.

وقد تفاجـــأت أن وزراء مقربين من أردوغـــان مثل وزير الاقتصـــاد ظافار شـــاغليان ووزير الخارجية احمد داود أوغلو ووزير الدفاع عصمت يلماظ كلهم يســـرّون لى فى نهاية مقابلاتى معهم أنهم يحاولـــون نصح رئيـــس الوزراء التركى بوقف تصريحاته بشـــأن مصر دون جـــدوى ويصل الأمـــر بأحدهم ان يهمس لى أن أردوغان لا يســـتمع لنصح فـــى الموضوعات التى يؤمـــن أنه على صواب حولها.

وفى الواقع لـــم يصمت أردوغان عن التنديد بمصر وقادتها والتلويح بأصابعه الأربعة بالإشـــارة الإخوانية لكلمة رابعة إلا حين اتخـــذت مصر قرارها بتخفيض مستوى العلاقات وطرد السفير التركى ثم مـــا أعقبها من الكشـــف عن فضائح الفســـاد فى تركيا وما واكبها من ظهور بوادر أزمة اقتصادية وسياســـية انتهاء بمحاولة الإنقلاب العســـكرى فى بلاده

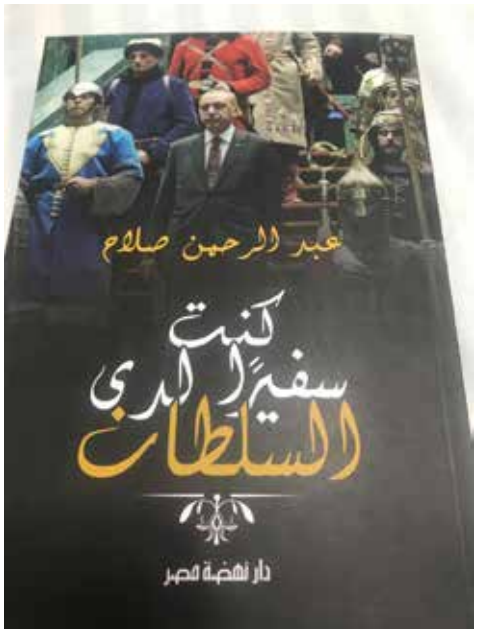

عـــام 2016 من ناحيـــة، وما وضح من عدم قدرة الإخوان المسلمين على تحريك جموع مؤيدة لهم فى مصر كافية لتهديد الاستقرار كما كان يتوقع اردوغان وغيره من الأطراف الدولية التى راهنت على ذلك من ناحية أخرى. ورغم أن تلك الأطراف الدولية سريعا ما تراجعت لتؤيد السلطة الجديدة التى استتب الأمر لها فى مصر، إلا أن أردوغان ظـــل حتى منتصف عام 2018 مصرا على موقفـــه. وأرجح أنه كان يود الاحتفاظ بتماســـك تأييد الكتلة التصويتية للإســـلاميين فى بلاده والتى تصل الى نصف عـــدد الناخبين الأتراك خلال الانتخابات البرلمانية والرئاســـية فى يونيو 2018 والتى نجح من خلالها أردوغان فى أن يحول النظام البرلمانى التركى الى نظام رئاسى يملك فيه الرئيس أردوغان ســـلطات تزيد عن الرئيس فى النظام الرئاســـى الأمريكى وتقترب من ســـلطات الســـلاطين العثمانيين الذين يهوى أردوغان التشبه بهم.

وأعود ليوم 15 أغسطس حيث كنت فى منتصف الطريق بين اسطنبول علمت ان أردوغان قد صرح بأنه يعتزم استدعاء ســـفيره فى القاهرة إلى أنقرة للتشاور احتجاجـــاً على احداث فـــض اعتصام رابعة والضحايا الذيـــن تجاوز عددهم – على حـــد زعمه وزعم الإخوان – الآلاف والجرحى الذين تجاوز عددهم – على حد قوله – عشرات الآلاف.

وســـرعان مأبلغت القاهرة تليفونيا وأوصيت باســـتدعائى للقاهرة للتشاور وبإلغـــاء المنـــاورات البحرية المصرية التركيـــة التى كان مقـــررا أن تتم خلا أســـبوعين. خولال نصف ساعة تلقيت من القاهـــرة إبلاغا بأن الأمرين قد تقررا وسوف يتم الإعلان عن استدعائى للتشاور وعودتى للقاهرة وعـــن الغاء المناورات العسكرية البحرية المشتركة مع تركيا.

وكان أمامى أقل من 24 ساعة لإجراء عدد من الأحاديث الصحفية والتليفزيونية لشرح وجهة نظرنا على الساحة التركية قبل المغـــادرة بالإضافة إلى جمع مزيد من متعلقاتنا الشـــخصية وملابسى أنا وزوجتـــى لفترة إقامة فـــى القاهرة قد تطول إلى فصل الشـــتاء وهو ما حدث فعلاً. وشـــعرت أن أمامـــى ليلة طويلة فحاولت النوم لكن تليفونى لم يتوقف عن الرنين بعد إعلان الأنباء وبقيت مستيقظا طوال الساعتين الباقيتين حتى الوصول لأنقرة للـــرد على الصحفييـــن الأتراك والمصريين.

وقـــد تعجبـــت أن معظم أســـئلة الصحفييـــن الأتراك الذيـــن حاورونى تركزت عن السبب فى اتخاذ مصر قرار استدعائى للتشاور رداً على قرار أردوغان باستدعاء الســـفير التركى فى القاهرة، وقد تكرر نفس السؤال بإلحاح أكبر بعد خمسة أشهر عندما قررت القاهرة إنهاء مهمتى كســـفير لمصر فى أنقرة وطرد الســـفير التركى من القاهرة و اعتباره شخصاً غير مرغوب فى وجوده فى بلادنا باستخدام اللغة الدبلوماسية وتخفيض العلاقات الدبلوماسية إلى مستوى القائم بالأعمال بدلاً من مستوى السفير وهو ما ردت عليه تركيا بالمعاملة بالمثل.

وقد استشـــعرت فى هاتين المرتين اللتين عدت فيهما لأنقرة لساعات قليلة أن معارفى وأصدقائى من الأتراك يتساءلون لماذا لا تتعامـــل القاهرة مع تصريحات أردوغان وتصرفاته كمـــا يتعامل معها معارضـــوه فى تركيا نفســـها على أنها مجرد مناورات سياســـية تســـتهدف الرأى العام التركـــى دون أن يكون لها بالضرورة التأثير الدولى الذى يطمح فيه الزعيم التركى والذى بـــدأ وقتها فى أن يفقد الإعجاب الغربى وخاصة الأمريكى به كنموذج يحتذى للحكم الرشـــيد فى الدول ذات الأغلبية الإسلامية.

ودون أن أســـعى لإعـــداد بحث فى تاريخ أردوغان السياســـى والســـنوات العشر التى قضاها حزب العدالة والتنمية فى حكـــم تركيا قبل بدء هـــذا التحول (2002 – 2012) فإننى سوف أحاول فى صفحات لاحقة أن أعرض ما رصدته شخصياً خلال فترة عملى فى أنقرة من 2010 وحتى 2013 مـــن مظاهر ذلك التحول وأســـبابه وتفاعل دول المنطقة والعالم الغربى معه ورؤيتى لمستقبله.

ولابد وأن أســـجل شعورى وزوجتى منذ وصولنا تركيـــا فى منتصف مارس 2010 وحتى مغادرتنا النهائية لها على عجل فى نهايـــة نوفمبر 2013 بالعديد من التناقضات التى تعجبّنا من وجودها فى نفس المجتمع دون انفجار مثل عمق التدين الأناضولى مـــع تطرف العلمانية الاتاتوركيـــة ومثل الانتمـــاء والحنين للارتماء فى أحضـــان الجوار الجغرافى الإسلامى والشـــرق الأوسطى مع التطلع للانضمام للاتحاد الأوربى وتمثيل الغرب لدى هذا الجوار الملتهب والمتفجر ومثل عضويـــة حلف شـــمال الأطلنطى الذى تمثـــل تركيا فيه ثانـــى أكبر جيش مع تطوير علاقات وثيقة مع إيران وروسيا والصين ومثل هذا السعى لتطبيق القواعد والمعايير الغربية فى كل مناحى الحياة مع اتفاق رسمى وشعبى عام أن الغرب يحيك المؤامرات ضد تركيا التى يستهدف تقســـيمها وإضعافها وإذلالها وان هذه المعايير يتم استخدامها لتأخير الاعتراف بتركيا كعضو كامل فى الاتحاد الأوروبى والعالم الغربى بســـبب إسلام مواطنيها. ولم أكن أتوقع أن اشـــهد كما حدث فعلاً قبل مغادرتـــى تركيا بدء ظهور الصراع بين تلك التناقضات.

****

*** عمل الســـفير عبـــد الرحمن صلاح كآخر ســـفير لمصر لـــدى تركيا (2010 – 2013) قبل أن يتم تخفيض مســـتوى العلاقات الدبلوماســـية بين مصر وتركيا إلى مستوى القائم بالأعمال. وقبل تقاعده من العمل الدبلوماسى كان مساعداً لوزير الخارجية للشئون العربية والشرق الأوسط وسفيراً لدى التشيك وقنصلاً عاماً فى سان فرانسيسكو ومثل مصر أيضاً فى السفارة فى واشـــنطن والوفد المصرى الدائم لدى الأمم المتحدة فى نيويـــورك. وتعبر هذه المقالـــة عن آرائه الشـــخصية ولا تعكس المواقف المصرية الرسمية، وتحتوى على بعض ما يتضمنه كتاب سوف يصدر قريباً من دار نهضة مصر عن تجربته كسفير فى تركيا.**

المؤتمر السنوى للمجلس المصرى للشئون الخارجية (2018)

على مدى يومى 18 – 19 ديسمبر 2018، عقد المجلس المصرى للشئون الخارجية مؤتمره السنوى لعام 2018 تحت شعار «مصر والعرب فى شرق أوسط متغير»، افتتح أعماله السفير د. منير زهران رئيس المجلس والسفير حمدى لوزا نائب وزير الخارجية للشئون الإفريقية نيابة عن السيد/ سامح شكرى وزير الخارجية.

وقد اختار المجلس موضوع مؤتمر هذا العام، فى ضوء البيئة الإقليمية والدولية المتغيرة وانعكاساتها على الأوضاع فى عالمنا العربى، لاسيما استمرار تزايد نفوذ الدول غير العربية (إيران– تركيا– إسرائيل) فى الشئون والأزمات العربية فى وقت لا يبدو أن للعرب دوراً كبيراً فى إحداث التغيرات الجارية فى منطقتنا، وفى ظل دور متراجع لجامعة الدول العربية بوصفها التنظيم السياسى الإقليمى الرسمى الجامع للعرب، وهو ما أدى إلى استفحال التحديات التى تواجه الدول العربية مثل مخاطر تفتت بعض الدول والإرهاب ومخاطر أخرى عديدة تهدد الأمن القومى العربى الذى لايزال مفهومه محل جدل وانقسام ما بين دول عربية ترى أن إيران باتت مصدر الخطر الرئيسى على الأمن الإقليمى، ودول أخرى تؤكد أن إسرائيل، باستمرار احتلالها فلسطين وأراض عربية أخرى، وممارساتها العدوانية والعنصرية هى الخطر الأكبر الذى يتعين التعامل معه ومواجهته.

سفير د. عزت سعد

saad.ezzat@gmail.com

وارتباطاً بوجهة النظر الأولى، يلاحظ النشاط الدبلوماسى والسياسى الإسرائيلى الواضح تجاه بعض الدول العربية التى فى نفس الخندق الذى توجد به إسرائيل ضد إيران.

علاوة على ما تقدم لا يخفى أن القوى الكبرى لها أدوار لا يمكن تجاهلها فى ما يجرى فى المنطقة العربية، وهى أدوار صراعية تنافسية، فى أغلبها، تتخذ أشكالاً عسكرية واقتصادية جديدة. والأمر هنا لا يتعلق بالتحولات فى السياسة الخارجية الأمريكية تجاه مشكلات المنطقة فحسب، وأبرزها الموقف المخجل وغير المسئول لواشنطن من النزاع العربى/ الإسرائيلى، بل وأيضاً أدوار القوى الكبرى الأخرى (روسيا– الصين– الاتحاد الأوروبى)، والتى تعمل كل منها للدفع بمصالحها الخاصة، والتى قد لا تتفق بالضرورة مع مصالح دول المنطقة ومقتضيات أمنها واستقرارها.

وهكذا، وللتعرف على ما يجرى فى منطقتنا ومن يدير عملية التغيير فيها، عقد المؤتمر جلسات أربع شارك فيها عدد من السفراء والأكاديميين والباحثين والمهتمين بقضايا المنطقة والعالم، من أعضاء المجلس ومن غير الأعضاء، تناولت الجلسة الأولى منها دور القوى الكبرى من حيث توجهات السياسة الخارجية لكل منها فى المنطقة ورؤيتها لمصالحها فيها وأهدافها وأدواتها لتحقيق هذه الأهداف، ومدى التغير الحادث فى إستراتيجيتها تجاه المنطقة منذ عام 2011 وحتى الآن، والأنماط الحاكمة لعلاقة كل منها مع القوى الأخرى فى المنطقة (صراع أم

تنافس أم تعاون).

وتناولت الجلسة الثانية دور القوى الإقليمية (إيران– تركيا– إسرائيل) وما هى سياسة هذه الدول فى المنطقة ورؤيتها لمصالحها فيها وأهدافها وأدواتها لتحقيق هذه الأهداف، ومواقفها من النزاعات العربية وتأثير سياساتها ومصالحها على أمن واستقرار المنطقة.

أما الجلسة الثالثة، فقد تناولت دور الدول العربية، وإلى أى مدى تمارس هذه الدول دوراً مؤثراً فى استقرار المنطقة، سلباً أو إيجاباً، وهل تتجه النزاعات القائمة إلى التسوية والحل أم إلى الاستدامة وأسباب ذلك.

وفى الجلسة الرابعة، التى عالجت موضوع «مصر وقضايا المنطقة» تم تناول قضايا أربع رئيسية هى: مصر والنزاعات العربية، مع التركيز بصفة خاصة على دول الجوار المباشر ليبيا وفلسطين والسودان، مصر والأمن العربى، بما فى ذلك المبادرات المصرية لإنشاء هيكل إقليمى دفاعى ومفهومها الخاص للأمن القومى العربى والدفاع العربى المشترك وأمن منطقة البحر الأحمر، والدور المصرى فى مجال مكافحة الإرهاب، وإلى أى مدى تلقى القاهرة تعاون ودعم الأشقاء العرب والأطراف الإقليمية والدولية فى هذا الشأن، وأخيراً مصر والمستقبل العربى، من حيث تصورها لمستقبل المنطقة وللعمل العربى المشترك والدور المصرى فى هذا الشأن.

وفيما يلى بعض الاستخلاصات مما أشار إليه المتحدثون أمام المؤتمر، ومن المناقشات التى جرت خلاله:

1 - يستفاد من وثيقتى الأمن القومى والدفاع الوطنى الأمريكيتين، الصادرتين فى ديسمبر 2017 ويناير 2018، تضاؤل الأهمية النسبية لمنطقة الشرق الأوسط برمتها، بما فى ذلك أولوية مكافحة الإرهاب الدولى، وأن محور السياسة الأمريكية فى الشرق الأوسط قد انتقل من الصراع العربى/ الإسرائيلى إلى الصراع السعودى/ الخليجى/ الإسرائيلى مع إيران، وهو تطور لا يعد مفاجئاً، إذ أنه تبلور تدريجياً فى العقود والسنوات الأخيرة بحيث أضحى سياسة رسمية معلنة.

على أن ذلك لا يعنى انسحاباً أمريكياً شاملاً من الشرق الأوسط، وإنما توجهات نحو الحفاظ على المصالح الأمريكية بتكلفة أقل، حتى لو أدى ذلك إلى التنازل عن بعض مناطق النفوذ التى تعتبرها واشنطن هامشية، أو التخلى عن نظم حكم وجماعات سياسية متحالفة مع الولايات المتحدة. وتظل مسألة حماية أمن إسرائيل ذات أولوية فى سياسة واشنطن فى المنطقة وضمان إمداد حلفاء أمريكا فى آسيا وغيرها بالغاز والنفط من المنطقة بأسعار معقولة، والحفاظ على أمن الممرات المائية فى المنطقة، وفى مقدمتها قناة السويس، إلى جانب منع تمدد النفوذ الصينى والروسى فى المنطقة.

وفى ضوء كل ذلك، لايزال للولايات المتحدة وجود عسكرى فى العراق وقواعد عسكرية فى الخليج وفى البحر الأحمر.

2 - لا يمكن التعويل على الدور الأمريكى لإخراج المنطقة العربية من حالة السيولة التى تواجهها حالياً على كافة الأصعدة. ذلك أنه بالرغم من أن الولايات المتحدة لاتزال القوة العظمى المهيمنة على العالم والإقليم وصاحبة القدرات والإمكانات الضخمة، إلا أن محددات داخلية عدة أثرت سلباً على دورها فى الشرق الأوسط وجعلت التنبؤ برد الفعل الأمريكى أكثر صعوبة وأقل دقة، ولم يعد ممكناً التعويل على مفهوم السلام الأمريكى فى منطقتنا، بعد أن بات هدف الولايات المتحدة فى المنطقة هو إعادة ترتيبها بما يكفل إدماج إسرائيل وتركيا والاستفادة من ثروات الإقليم، خاصة الخليج، وإضعاف دوله وجعلها دولاً تابعة فى قراراتها وسياساتها.

3 - بالنسبة للسياسة الخارجية الروسية فى المنطقة، فهى تمثل عاملاً مهماً فى معادلة العلاقات الروسية الأمريكية، حيث تبدو موسكو حريصة على استعادة دور القوة العظمى فى الإقليم، خاصة بعد الأزمة الأوكرانية وضم القرم عام 2014 وما أدى إليه ذلك من عقوبات أمريكية وأوروبية استهدفت فرض عزلة دولية على روسيا. وقد

المؤتمر السنوى للمجلس المصرى للشئون الخارجية (2018)

عادت موسكو بوجه مختلف عن الوجه السوفييتى، بحيث بات الشرق الأوسط هو المنطقة التى تتمتع فيها السياسة الروسية بميزة تكتيكية على الأقل، تجعلها مختلفة عن سياسات الغرب. ولا شك أن التدخل العسكرى فى الأزمة السورية فى أواخر سبتمبر عام 2015، والذى جاء كرد فعل روسى على الموقف الغربى من الأزمة الأوكرانية، يشكل علامة فارقة فى سياسة روسيا فى المنطقة. فضلاً عن كونها المرة الأولى التى تحارب فيها قوات روسية خارج الفضاء السوفييتى السابق منذ سقوط الاتحاد السوفييتى، نجحت روسيا بمهارة شديدة فى تجاوز العزلة الدبلوماسية التى وجدت نفسها فيها بعد ضم القرم، وذلك من خلال لعب ورقة الشرق الأوسط.

ومع ذلك يظل التدخل العسكرى الروسى فى سوريا بمثابة استثناء على سياسة روسيا تجاه مشكلات المنطقة، حيث تجنبت مثل هذا التدخل، وحتى الدبلوماسى أحياناً، فى نزاعات الإقليم. ومما تجدر الإشارة إليه هنا أن موسكو –كما هو حال الدول العربية– ترتكز فى سياستها الخارجية على مبادئ عدم التدخل فى الشئون الداخلية والمساواة فى السيادة ورفض تغيير الأنظمة.

4 - وإذا كان صعود الإسلام السياسى للسلطة مع ثورات الربيع العربى عام 2011 قد وفر فرصاً سياسية وعسكرية سهلت من عودة روسيا إلى المنطقة، خاصة وأن هذا الصعود أقلق موسكو كثيراً ودعاها إلى التعاون مع دول رئيسية فى المنطقة، على رأسها مصر وكذلك ليبيا وسوريا والعراق، حيث أدى صعود داعش فى هاتين الأخيرتين إلى وضع خطر الإرهاب والتطرف على رأس أجندة الأمن الدولى، فإن تراجع الولايات المتحدة عن مشكلات المنطقة وعزوفها عن الانخراط فيها بصورة جدية، ثم فوضى السياسة الأمريكية فى عهد ترامب، قد دفع دول المنطقة إلى البحث عن شراكات بديلة وتوسيع دائرة خياراتها السياسية حيث بدت روسيا بمثابة بديل جذاب للعديد من دول المنطقة. والملاحظ هنا هو الواقعية الشديدة والمرونة التى تتسم بها سياسة روسيا فى الإقليم، حيث تحتفظ بعلاقات طيبة بكل الأطراف، حتى المتنازعة منها مثل إسرائيل وإيران، والأخيرة والسعودية، والأخيرة وقطر. بل إن روسيا تحتفظ بروابط مع جميع الأطراف فى النزاع الواحد، وهو ما نراه مع الجانب الفلسطينى (حماس - فتح - السلطة الوطنية الفلسطينية) ومع كل من ليبيا وسوريا ولبنان.

5 - على حين تدين الولايات المتحدة والاتحاد الأوروبى الدور الروسى فى المنطقة وتعتبره نوعاً من الانتهازية، تتسم السياسة الروسية فى المنطقة بانفتاح كبير وبسمة تعاونية أكثر منها تنافسية أو صراعية. إذ يؤكد الروس دائماً على عدم وجود بديل للجهود الجماعية الدولية فى حل المشكلات الإقليمية والدولية. كما أنه على خلاف واشنطن، تتسم سياسة موسكو فى المنطقة بالتوازن. ففى الوقت الذى تسعى فيه إلى بناء علاقاتها بالدول العربية، سواء تلك المتحالفة مع واشنطن أو غير المتحالفة معها، - وكذلك مع الشارع العربى (قناة روسيا اليوم التى تبث منذ إبريل 2010)– تحتفظ روسيا أيضاً بنوع من الشراكة الإستراتيجية مع إيران وعلاقات متطورة مع إسرائيل.

6 - على خلاف علاقة روسيا بكل من الولايات المتحدة والاتحاد الأوروبى فى المنطقة، والتى تتسم –فى مجملها– بالتنافس، تبرز الصين كقوة كبرى تقف بثبات مع روسيا سياسياً، بوصفهما قوتين مقاومتين لما يسمى بـ«النظام الليبرالى الدولى» الذى تقوده الولايات المتحدة. والملاحظ هنا بالنسبة لعلاقة القوتين بالمنطقة، تبدو الصين راضية بترك روسيا تلعب الدور الرائد فى الشرق الأوسط كما تسلم بالمصالح الروسية فى سوريا. وكما هو حال روسيا، تتسم سياسة الصين الخارجية بقدر واضح من التوازن بين مختلف الأطراف، وهو موقف تمليه اعتبارات الأمن القومى للصين ومصالحها العليا.

وبعد أن أصبحت الصين القوة التجارية الأولى وثانى أكبر قوة اقتصادية

عالمياً، بدأت فى السعى إلى الانخراط بشكل أكبر فى الشئون الدولية والمشاركة بفاعلية فى المؤسسات متعددة الأطراف، وذلك من خلال طرح مبادرات إقليمية ودولية أبرزها مبادرة الحزام والطريق. وقد طرحت بكين تصورها للعلاقات العربية الصينية وإستراتيجيتها حيال المنطقة العربية، فى ورقة طرحها الرئيس الصينى فى لقاء بمندوبى الدول العربية بمقر جامعة الدول العربية على هامش زيارته للقاهرة فى يناير 2016، داعياً هذه الدول إلى الانضمام لمبادرة الحزام والطريق وتعزيز العلاقات مع بلاده على قاعدة المصالح المشتركة والمنافع المتبادلة، باعتبار أن للمنطقة مكانة مركزية فى المبادرة.

والواقع أن المشاركين فى مؤتمر المجلس لم يختلفوا حول حقيقة أن القرن الحادى والعشرين هو قرن آسيوى بامتياز، بعد أن ضاقت المسافة بين الصين والولايات المتحدة فى العديد من المجالات، إلا أن هناك تساؤلات طرحت ارتباطاً بذلك مثل: ماذا سيحدث عندما تصبح الصين القوة الاقتصادية الأولى عالمياً، وهل ستكون كذلك عسكرياً؟ وماذا سيكون رد فعل الولايات المتحدة والغرب على ذلك، وماذا سيكون تعامل الصين مع الدول النامية حينئذٍ؟

7 - فيما يتعلق بدور الاتحاد الأوروبى والأنماط الحاكمة لعلاقاته بالقوى الكبرى الأخرى فى الإقليم، جاء انحسار الدور الأمريكى فى المنطقة لصالح دور الاتحاد الذى يشهد صعوداً نتيجة لمصالحه الاقتصادية والتجارية الضخمة مع المنطقة، بما فى ذلك التعاون فى مجال الطاقة بما يقلل من اعتماد دول الاتحاد على الغاز الروسى، ولمواجهة تحديات اللاجئين والهجرة غير الشرعية والجريمة العابرة للحدود بجانب الأزمتين الليبية والسورية والملف النووى الإيرانى. وهناك تنسيق وتشاور مستمر بين مصر والاتحاد الأوروبى فى هذه القضايا، ويسعى الاتحاد إلى تأكيد جدارته وأهميته فى ضوء خروج بريطانيا منه فى مارس القادم، وظهور تيارات شعبوية ويمينية متطرفة فى دول أوروبية عديدة تشكك فى صموده وترويج فكرة الهويات القومية ضد فكرة الاتحاد وأهدافه.

8 - لا يمكن التقليل من أهمية الدور الإيجابى الذى تحاول المنظمات الإقليمية والدولية ممارسته فى قضايا المنطقة. فللأمم المتحدة قوات حفظ سلام وبعثات سلام موجودة فى عددٍ من الدول العربية. وبالنسبة لجامعة الدول العربية، فإن جميع المبادرات العربية الكبرى مثل منطقة التجارة الحرة العربية تمَّت فى إطارها، وهناك قمة تنموية عربية ستنعقد فى بيروت فى يناير 2019، ما يعنى أنها مازالت ذات أهمية فى محاولة لم الشمل العربى. وفى هذا السياق، يجب على كلٍ من مصر والسعودية بشكلٍ خاص - باعتبارهما مؤثرتين فى المنطقة - أخذ مبادرات إصلاحية وتقويمية داخل الجامعة، لجذب باقى الدول الأعضاء إلى تبنيها، وليكن ذلك فى قضايا التنمية المستدامة والمناخ وملفات حقوق الإنسان، ويأتى فى مقدمة ذلك كله بذل الجهود البنَّاءة لتسوية الخلافات البينية فيما بين دول المنطقة. من جهةٍ أخرى، وفيما يتعلق بالدور المنوط بمجموعتَى عدم الانحياز والـ 77 + الصين، فيُقتَرَح إدماجهما معاً، للدفاع المتكامل عن القضايا السياسية والاقتصادية والاجتماعية لدول الجنوب فى وجه سياسات دول الشمال، وبما يشكِّل ضغطاً فاعلاً فى أروقة الأمم المتحدة، لحل قضايا ونزاعات الدول النامية، بما فيها الدول العربية، بأقل خسائر ممكنة.

9 - إن التوازن السياسى فى المنطقة ليس فى صالح الدول العربية فى الوقت الراهن، وإنما بيد دول الجوار غير العربية (إيران وتركيا وإسرائيل).

10 - أدى تفاعل الأحداث فى الإقليم إلى تراجع النظام العربى لصالح النظام الشرق أوسطى. وفى تقدير بعض المتحدثين أن من بين أسباب ذلك نظرة حكومات دول عربية إلى إيران على أنها عدو رئيسى لها. وأضاف هذا البعض أنه من قبيل المبالغة الشديدة القول بأن إيران هى أكبر دولة راعية للإرهاب فى العالم، ذلك أن إسرائيل، فى المقابل، مارست – ولاتزال - إرهاب الدولة أكبر بكثير من إيران، بل إن هناك دولاً عربية موَلت ودعمت الإرهاب.

المؤتمر السنوى للمجلس المصرى للشئون الخارجية (2018)

11 - إن مـــا تريده كل من الولايات المتحدة وإســـرائيل وتركيا وإيران هو صعود النظام الشـــرق أوســـطى على حســـاب النظام العربى، بما يؤدى إلى تهميش الهوية العربية وتمييعها لصالح النظام الشرق أوسطى.

ويبدو ذلك واضحاً مما فعلته الولايات المتحدة فى العراق على ســـبيل المثال، حيث أغفل الدســـتور العراقـــى، الذى صيغ تحت رعايتها، ذكر أن العراق دولة عربية. كذلك جاءت صيغة مؤتمر التعاون الاقتصادى التـــى اقترحتهـــا الولايات المتحدة بالتعاون مـــع منتدى دافوس، والذى عقد اجتماعاتـــه الأربعة فى الدار البيضاء وعمّان والقاهـــرة والدوحة فى ذات السياق (فكرة الاندماج الاقتصادى).

12 - ارتباطاً بما تقدم، هناك بعض العوامل التى تســـاهم فى تداعى النظام العربى لصالح النظام الشـــرق أوسطى منها سقوط بعض الدول العربية وتفكك مجتمعاتهـــا ومحاصرتها مـــن الداخل باســـم الديمقراطية والمجتمع المدنى والحريات، فى وقـــت تفعل فيه الولايات المتحدة ما تشاء، خاصة عندما تتعارض العولمة مع مصالحها.

13 - تواجه فرص تسوية القضية الفلســـطينية من خلال عملية تفاوضية تحدياً خطيـــراً فى ضوء قبـــول إدارة ترامب رؤية اليمين الإســـرائيلى فى هذا الشأن وبشـــكل كامل، والذى ينكر تماماً حقوق الشعب الفلســـطينى باعتبارها حقوقاً وطنيـــة. وبجانب السياســـات الإسرائيلية الاســـتيطانية وإجراءاتها فى القدس والحرم الشـــريف ذاته، وتشجيع الحكومات الإسرائيلية المتعاقبة لتقسيم وشـــرذمة الكيانات الفلسطينية، لم يعد تطبيع الـــدول العربية مع إســـرائيل، مرتبطاً بالتوصل إلى تســـوية عادلة مع الفلســـطينيين. ومن هنا أكـــد المؤتمر ضرورة العمل على اســـتعادة القضية الفلسطينية لمكانتها فى سلم الأولويات باعتبارها القضية المركزية والأساســـية للعرب، وذلـــك من خـــلال جهد عربى جماعى، مـــع أهمية إعـــادة النظر فى عملية إدارة الصراع العربى الإســـرائيلى واستخلاص السياســـات التى أدت إلى نتائج إيجابية لصالح القضية الفلسطينية. وفى هذا الســـياق، يجب الإسراع بإنجاز المصالحة الوطنية الفلســـطينية ودعم الجهـــود المصرية بقـــوة لإتمامها. وقد أشار المشـــاركون إلى أهمية التواصل مع شركاء السلام الدوليين والعمل على تســـويق مبادرة الســـلام العربية على مستوى الرأى العام العالمى ومؤسسات صنع القرار علـــى الصعيد الدولى ولدى الرأى العام الإســـرائيلى، خاصة معسكر السلام الإسرائيلى.

14 - أشـــار بعض المتحدثين، كما تطرق النقاش، إلى ضـــرورة التواصل مـــع كل من إيـــران وتركيـــا، من حيث أن الدبلوماســـية وجـــدت للتعامل مع الأصدقاء والأعداء على الســـواء، وبالتالى يمكن للدولة المصرية السماح بنوع من دبلوماسية المسار الثانى من خلال هيئة مدنية موثوق بهـــا للتواصل مع هاتين الدولتيـــن دون إعلام أو إعلان. وقد تمت الإشـــارة هنا إلى الدور الـــذى يمكن أن يلعبه رجال الأعمال فى هذا الصدد.

15 - تبدو الدول العربية محاصرة بأشـــكال مختلفة من الاختراق والتأثير والضغط والابتزاز. كذلك تشهد المنطقة اندلاع وتشجيع الهويات الفرعية، وهو ما يستوجب احترام جميع الثقافات الفرعية الموجودة فى المنطقة كالأكراد والأمازيغ، حيث يجب أن تتم كفالة الحقوق الثقافية التى يدعيهـــا العرب لأنفســـهم لهؤلاء بصورة كاملة، طالما ظلوا جزءاً لا يتجزأ من الدول العربية.

16 - تراجـــع التأييـــد الإفريقـــى والدولى للقضايا العربية، وهو ما يتطلب مراجعة بعض مفردات الخطاب العربى بما يجعله مقبولاً فى الأوســـاط الإقليمية والدولية. وتجدر الإشارة إلى أن السفير حمدى لوزا فى كلمتـــه الافتتاحية نيابة عن الســـيد وزير الخارجية، أكد أهمية التعـــاون العربى الأفريقـــى والحاجة إلى مقاربة عربيـــة جديدة لهذا التعاون حتى يمكن كســـب دعم الأفارقة للقضايا العربية، وعلى رأسها استرداد فلسطين.

وأضاف أنه لا توجد مبادرات نشطة من الدول العربية لجذب الأفارقة، على غرار ما تقوم به اليابان والصين والاتحاد الأوروبى كشركاء حقيقيين للتنمية فى أفريقيا، وأن الدول العربية الإفريقية، والتى تساهم مجتمعة بنسبة 50٪ من موازنة الاتحاد الأفريقى، ليس لها تأثير جوهرى على مستوى الاتحاد الإفريقى، مشيراً فى ذلك إلى موقف المنظمتين الإقليميتين (الجامعة العربية والاتحاد الإفريقى) من الملف الليبى عام 2011، حيث أعطت الأولى الضوء الأخضر للتدخل العسكرى فى تلك الدولة، بينما أدانه الاتحاد الإفريقى الذى لم تتح له الفرصة لمواصلة التشاور مع القذافى بهدف إيجاد حل سلمى للأزمة.

17 - التنافس فيما بين الدول العربية، رغم جسامة التحديات والأخطار فى المنطقة. وقد بات من الممارسات العادية سعى بعض الدول إلى إفساد مخططات البعض الآخر، ومحاولة بعضها لعب أدوار أكبر من إمكاناتها وقدراتها بكثير.

وبالتالى لابد من بذل الجهود لتنقية الأجواء العربية من الخلافات والنزاعات، ووضع رؤية واضحة لما يعنيه الأمن القومى العربى وماهية التحديات والتهديدات التى تواجهها الدول العربية.

18 - إن تأثير مصر واضطلاعها بدور إقليمى بارز، يستدعى بالضرورة قدرتها على تحمل التكلفة المادية أو البشرية لهذا الدور. وهنا أكد المتحدثون أن التحدى الرئيسى الذى تواجهه مصر هو عملية التنمية الاقتصادية والاجتماعية والإسراع بالتعافى الاقتصادى من خلال تنفيذ برنامجها الإصلاحى وتحقيق معدلات نمو مرتفعة لسنوات عديدة متتالية، وهو ما يتيح لها إقامة علاقات متكافئة مع الدول الأخرى، حتى ولو كانت حليفة، بل والتحدث من مركز قوة. وفى هذا السياق، أشير إلى أنه رغم الصعوبات والأحداث التى واجهتها الدولة المصرية فى السنوات الأخيرة، إلا أنها مازالت أكثر الدول قبولاً لدى الشعوب العربية، كما أن تأثيرها فى دول المنطقة، لا يقتصر فقط على القنوات الرسمية والإعلامية، وإنما أيضاً من خلال القنوات الشعبية غير الرسمية، وهى كثيرة.

19 - إن التطورات السلبية الحاصلة إقليمياً ودولياً تتيح للسياسة الخارجية المصرية فرصاً حقيقية للمساهمة فى لم شمل العرب وتنقية الأجواء العربية، من خلال سياسات حكيمة تؤكد على مفاهيم الدولة القومية فى مواجهة الطائفية والتناول الحذر مع المبادرات التى قد تطرحها الإدارة الأمريكية فى هذه الظروف الملتبسة.

20 - فيما يتعلق بمكافحة الإرهاب، ركز المؤتمر على محاور ثلاثة أساسية تحظى باهتمام فى السياسة المصرية: المواجهة العسكرية والأمنية، المواجهة الثقافية والفكرية والتنسيق مع الدول الأخرى فى مكافحة الإرهاب. والملاحظة الرئيسية هنا هى أن النجاح الأكبر الذى تحقق حتى الآن هو فى المحور الأول، أى المواجهة العسكرية والأمنية، كما يمكن القول بأن التنسيق مع الأطراف الأخرى فى مواجهة الإرهاب قد حقق نجاحاً كبيراً. أما المحور الثانى الخاص بالمواجهة الثقافية والفكرية، فقد كانت محصلتها أقل نجاحاً رغم أهميتها الكبيرة لأن نتائج المواجهة الثقافية والفكرية ستحدد مدى قدرة الإرهاب على إعادة إنتاج نفسه فى المستقبل أم لا، سواء من خلال عناصر جديدة أو آليات مستحدثة. وأضاف المشاركون أن المشكلة الرئيسية فى هذه المواجهة هى أن القضية الرئيسية التى تقوم عليها ليست واضحة بالقدر الكافى، كما أن مفهوم تجديد الخطاب الدينى لم يتبلور بشكل واضح بعد، ولابد أن تنطلق أية عملية مواجهة من تصور واضح ومحدد تتمكن الدولة من خلاله من الوصول لأهداف محددة بأدوات تحقق هذه الأهداف. وقد تمت الإشارة إلى أنه وإن كانت التنمية الاقتصادية لها أهميتها، إلا أنها ليست ضمن الأولويات أو المحددات الرئيسية فى المرحلة القادمة، خاصة وأنه لم يثبت وجود علاقة مباشرة يعتد بها بين المستوى المعيشى فى مجتمع ما والعنف فيه. فالعنف موجود فى مجتمعات ذات مستوى معيشى مرتفع وتضم سكاناً من خلفيات متنوعة، كما لم يثبت أن معظم من يمارسون الإرهاب من فئات فقيرة، بل إن معظم من انضم للجماعات الإرهابية ليسوا من الفقراء والمهمشين، وإنما معظمهم من الطبقة الوسطى ذوى خلفية جامعية متخصصة فى العلوم التطبيقية. وعليه هناك حاجة إلى خطة متوسطة الأجل تتواكب مع اتجاهات السياسة المصرية الثلاثة، مع ضرورة تطويرها لاحقاً لتأخذ فى الاعتبار أولويات أخرى.

21 - بالنسبة لمصر والمستقبل العربى، فقد عبر الرئيس عبد الفتاح السيسى عن رؤية مصر فى هذا الشأن منذ عام 2014، والتى تقوم على العناصر الرئيسية التالية:

- ترى مصر أن مستقبل العالم العربى مرتبط بالوصول إلى إستراتيجية الأمن العربى الشامل.
- مواجهة التهديدات الخارجية.
- تبقى جامعة الدول العربية، كمؤسسة للنظام العربى، والمظلة والإطار الذى يقوم بدور جوهرى فى تفعيل الاتفاقات العربية، وصولاً إلى التكامل الاقتصادى وأيضاً تحقيق إستراتيجية الأمن العربى الشامل.

فى السياق عاليه، وعلى صعيد الحركة، تؤمن مصر حالياً بعدم وجود ما يسمى قيادة منفردة للنظام الإقليمى العربى، وإنما قيادة جماعية تستوجب وجود نوع من التنسيق وترتيب الأولويات مع الدول الفاعلة.

22 - بالنسبة لمفهوم الدولة النموذج، فقد أكد المتحدثون أن الدول العربية بحاجة إلى فكرة الدولة النموذج فى عالمنا العربى، وأنه لكى يكون هناك نوع من التأثير لهذا النموذج، فإنه بحاجة إلى تسويق، وهو ما يستوجب حتماً نجاح هذا النموذج فى الداخل أولاً وأن يكون مقبولاً إقليمياً وعالمياً. وقد تحدث الرئيس السيسى عن أن مصر قدمت نموذجاً تاريخياً لاستعادة مؤسسات الدولة الوطنية بصورة سلمية وحضارية، من خلال مكافحة الإرهاب وتجديد الخطاب الدينى بصورة شاملة، وأن هذا النموذج يؤدى إلى دعم كل الجهود الرامية إلى إعادة تسوية كل أزمات المنطقة، بما يحافظ على وحدتها وسيادتها وسلامتها الإقليمية، مع التأكيد على مبدأ عدم التدخل فى الشئون الداخلية.

المواطنة
والانتماء الوطنى

أخطـر مـــا يمكن أن تتعرض له المجتمعات، تآكل أو تراجع أو وهـــن «الإحساس» بالانتماء.. يبقى الانتماء ولا يزول، ولكن «الإحســـاس» به وحضوره فى صفحة الوجدان، هو الذى يتعرض للتآكل أو التراجع أو الوهـــن.. هذه الآفة.ـ وهى آفة! تطفح أصداؤها فى قنوات عديـــدة، وإليها يرجع انكفاء الفرد على ذاته وتناقص وقلة جديتـــه وتواضع عنايته وعطائه العام للمجموع، ويقابلها بذات التداعيات والآثار، شـــيوع المظهرية والاستغراق فى الاستعراض الشـــكلى الخاوى من المضمون وتسابق الصالح والطالح، والقادر والإمعة، على اقتناص مواقع الزهو والوجاهـــة فـــى مجلس إدارة نـــاد أو نقابـــة أو موقع شعبى أو برلمانى، متصورين أن هـــذا أو ذاك يعطيهم القدر المطلوب من «الأهمية» فى مجتمع تفككت انتماءات أفراده للكل، وصار كل فرد فيه ينازع ويعافر ليحفر لنفسه موضعًا لا يشغله فى الوصول إليه ماذا قدم أو يقدم أو سيقدم للمجموع الذى يتسابق ليتصدره دون أن يقتضيه ذلك تبعة ولا عهدة، وبأقل قدر من الجهد والمشقة، وبأكثر ما يمكن من السلامة والدعة والعافية.. بلا فاتورة وبلا عطاء حقيقى!!

المستشار رجائى عطيـة

rattia2@hotmail.com

المواطنة ونهضة الأمم

نهضة الأمم ترتبط ارتباط لزوم بقوة الإحساس بالانتماء، أو ما يعبر عنه شـــحنة الوطنية التى تشكل فى مجموعهـــا قـــوة التيار الوطنى. هـــذا التيار هـــو محصلة أو حاصل جمـــع وطنية الأفـــراد. الفرد هو قبلة الأمة، وهو هو ـ بالتشـــارك والمساهمة ـ صانع دوافع حركتها ونهضتها.

لذلك كانت تنمية ورعاية وتربية الانتمـــاء بالوطن فـــى صدر جدول أولويات التربية الوطنية التى كانت مادة مستقلة فى المدارس حتى عهد قريب، يزاملها ويتوازى معها عناية مبذولة فى المدرســـة والمعهد، وفى المصنع والمعســـكر، تلتقى معها وتصب فى ذات الاتجاه روافد عديدة تســـتدعى وتنمى فى نفوس النشء كل معانى الوطنيـــة وحب الوطن.. تحية العلم رمـــز البلاد والهتاف له، كنـــا نقف بالمدرســـة لتحية العلم، ونهتف من القلـــوب: «تحيا مصر»، فى الفصول أيـــام صبانا كنا ندرس التربية الوطنيـــة.. التربية المعنية بالوطـــن وحب الوطـــن، تختار لنا بعناية قطع المحفوظات التى قيلت فى حب مصر.. تلقـــن لنا خلجات مصطفى كامل باعث النهضة الوطنية المصرية: «لو لم أكن مصريًا لوددت أن أكون مصريًا». يقول الجهلاء إننى متهور فى حب مصر، وهل يستطيع مصرى أن يتهـــور فى حب مصر؟! إنه مهما أحبها فلن يبلغ الدرجة التى يدعو إليها جمالها وجلالها وتاريخها والعظمة اللائقة بها، ألا أيها اللائمون انظروها وتأملوها وطوفوا بها واقرأوا صحف ماضيها، واســـألوا الزائرين لها من أطـــراف الأرض.. هل خلق الله وطنًا أعلى مقامًا، وأسمى شأنًا، وأجمل طبيعة، وأجـــل آثارًا، وأغنى تربة، وأصفى سماء، وأعذب ماء من هذا الوطن العزيز؟!.

المحيط البشرى

علـــى أن الأوطان ليســـت محيطًا جغرافياً فقط يقتصـــر على المكان برّا وبحـــرًا وجوًّا، وإنما هـــى أيضًا محيط بشرى أو إنسانى هو الذى يفرز منظومة القيم والعلاقات بين الوطن والمواطن، وبين الفرد والآخر، وبين الفرد والسلطات بعامة. نعـــم، الجانب الرمزى والروحى والمعنوى هو قاعدة الأســـاس فـــى الانتماء الوطنى، ولكـــن أثـــره يصيبه النحـــر إن لم يتلاق مـــع مجموعة من المقومات الإنسانية والمادية التى يثبت بها ويشـــتد غرس عود الانتماء.. الأرض والسماء والمـــاء، والطبيعة والمناخ، مكونات أساســـية للانتمـــاء للأوطان، ولكن الوطن بالإضافـــة إلى ذلك واحة تضم كافة المواطنين فى حناياهـــا، بلا تفرقـــة لجنس أو لـــون أو دين أو عقيدة أو مذهب أو مال أو جاه أو منصب. فكرة المساواة بين أبناء وبنات الوطن موصولة بالعدالة. فالمســـاواة فرع على العدالة، والعدالة صدى للمساواة. وكلاهما يرتبط ارتباط لزوم بأمن الوطن وأمن المواطن. هناك عقد طبيعى اجتماعى غير مكتوب

بين الجماعة والفرد، قوامه هذه المبادئ التى تكفل لكل مواطن فرصاً متكافئة فى التعليم والعمل والصحة والخدمات، وفرصًا متكافئة فى الحياة العامة وفى الانتخاب والترشيح، وإلى جوار هذه وتلك إحساس بالكينونة. إن للمواطن فى ذاته قيمة وحرمة مستمدة من «المواطنة» ذاتها لا من هذه أو تلك من عناصر القوة أو الثروة أو الجاه أو النفوذ. يصب ذلك فى علاقات ومراكز وحقوق وواجبات متوازية متوازنة بين الفرد والسلطة، وبين الحاكم والمحكوم، وبين الفرد والآخر، تتحقق فيها قيم العدالة والمساواة فى الجوهر لا فى الظاهر. لا مجال فيها لاستثناءات تقوم على معايير القرابة أو الحظوة أو المحسوبية، أو تتشح بتعلات مصطنعة لإقامة جدار من التمييز فى القبول بالجامعات أو التعيين فى الوظائف، أو تفاضل فى الخدمات التعليمية فتميز العطاء فى التعليم الخاص على التعليم المجانى، أو فى الخدمة الطبية المدفوعة على المجانية، وإنما تعطى الأهمية للمواطن تبعًا لحقوق المواطنة فى ذاتها، وتقيم ضوابط ومعايير موضوعية لعلاقات ومراكز وحقوق جميع الأطراف مكفولة بهيبة للقانون تطول القوى كما تطول الضعيف، وتطول الكبير مثلما تطول الصغير، وتوازى فى الوقت نفسه بين الحق والواجب، وتقيم ميزانها على السواء والمساواة والعدل. تقى البسطاء والأسوياء من شرود الشاردين، وتحمى الضعفاء من تغول القادرين، وتشعر المواطن من حيث هو مواطن أنه مكفول ومرعى فى أمان وعدالة ومساواة.. أن حريته وحرماته مصونة لا تمس إلاّ فى حدود القانون ولأسباب حقيقية تقرها سنن العدل والحق والإنصاف، وأن لكينونته احترامًا حاضرًا فى حياته الشخصية وفى الحياة العامة، هذه «الكينونة» هى قوام انتماء الفرد للمجتمع، وإحساسه بأن له نصيبًا متكافئًا وغير منكور فى الإسهام وفى المشاركة. «المشاركة» هى الحبل الذى يصل الفرد بالمجموع ويجسد بينهما التأثير والتأثر المتبادل المتفاعل الذى يجعل الوطن بمواطنيه والمواطن للكل - كشأن الجسد الواحد إذا تداعى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر - بغير هذا التوحد والتآصر يتآكل الإحساس بالانتماء وتتزايد مع تآكله أمراض المظهرية واللامبالاة والبلادة والانكفاء على الذات: «أنا ومن بعدى الطوفان»!

* * *

بغير هذه المعايير والضوابط والموازين تتوه من الفرد بوصلته، ويحتار دليله. فالآدمى هو وحده القادر على أن يقود اتجاهاته ويحدد فى مخيلته مسلكه، وهذا التحديد يحدث بالوعى ويحدث أيضًا باللاوعى، فينفرط رباط الفرد بالمجموع حين لا يرى لنفسه «كينونة» وحقوقًا مرعية فى مرآة المجتمع!

ضمور الكينونة، وتراجع الإسهام والمشاركة يؤدى بالحتم إلى ضمور الإحساس بالانتماء بأمراضه وعوارضه. أصعب ما يواجه المجتمعات الراشدة بناء قاعدة الانتماء وحمايتها من مخاطر تآكلات مرئية وأخرى غير مرئية تنحر فى بنيتها ويتراكم نحرها حتى يصير كثبانًا ثم تلالاً ثم جبالاً تحجب رؤية، وتفوت تحقق المواطنة وهى ركن الأوطان الركين.

محمد صلاح والصورة النمطية لعرب 1948

أثار احتمال انتقال اللاعب مؤنس دبور، من عرب 1948 والذى يحمل الجنسية الإسرائيلية، إلى فريق نادى ليفربول الإنجليزى خلال فترة الانتقالات الشتوية القادمة، جدلاً واسعاً، إذ طالبت بعض الأصوات الزاعقة صلاح بالرحيل عن ليفربول إن تمت تلك الصفقة!! وبصرف النظر عن مسألة أو مبدأ عدم إقحام السياسة بالرياضة، فإننى أدعو تلك الأصوات أن تعيد النظر فى المفاهيم النمطية السلبية عن عرب إسرائيل أو عرب 48. فمن هم هؤلاء وكيف تتعامل معهم إسرائيل، وكيف تراهم السلطة الفلسطينية والفلسطينيون ذاتهم؟!

سفير حازم خيرت

hazemahdy1@gmail.com

حقيقة الأمر، اختلف مسمى المجتمع العربى فى إسرائيل، ما بين: فلسطينيو الداخل، عرب 48، عرب إسرائيل، الوسط العربى.. إلخ، فى حين أن الأغلبية منهم يرفضون هذه المسميات، مكتفين باسمهم التاريخى «عرب 48»، فهم يرون أنهم فلسطينيون شاءت الظروف أن يحملوا الهوية الإسرائيلية فقط. ويرى هؤلاء أن هذه المسميات - السالف الإشارة إليها - ، مهما بدت دبلوماسية وموضوعية، تنطوى على نوايا سلطوية، وتحاول إبعادهم عن هويتهم!!

هؤلاء هم أبناء وأحفاد أولئك الذين قرروا البقاء بأراضيهم بعد قيام دولة إسرائيل وحملوا على مضض الجنسية الإسرائيلية، ليخوضوا نضالاً على أكثر من جبهة دفاعاً عن هويتهم وأرضهم الفلسطينية من جهة، وعن حقهم بالعدالة والمساواة مع سائر مواطنى الدولة التى يسكنون فيها من جهة أخرى. وطوال السنوات الماضية لم تنجح جميع المحاولات التى مارستها الحكومات الإسرائيلية من أجل تدجين الفلسطينيين ودفعهم إلى التخلى عن هويتهم العربية وطمس تراثهم الفلسطينى وتشويه ذاكرتهم الجماعية من خلال فرض الهوية الإسرائيلية عليهم.

فمنذ قيام دولة «إسرائيل» عام 1948، وأثناء الحرب التى أعقبت ذلك، كان مئات الآلاف من الفلسطينيين الذين سكنوا المنطقة التى باتت تعرف باسم «إسرائيل» (حسب خطوط وقف إطلاق النار المرسومة عام 1949) إما يهربون من هذه المنطقة، أو يُطردون منها، ليصبحوا لاجئين فى الضفة الغربية، أو قطاع غزة، أو فى البلدان العربية المجاورة. أما من بقوا (حوالى مئة وخمسين ألفاً) فقد أصبحوا يشكلون أقلية فى الدولة اليهودية، البعض ضمن قراهم ومدنهم الأصلية، والبعض الآخر فى مناطق داخلية أخرى هُجروا إليها.

ومما لا شك فيه أن تلك الحرب وما أعقبها كان له تأثير كبير على العلاقات اليهودية - العربية داخل إسرائيل، وكان البقاء لإسرائيل يمثل أولوية عليا. ولذلك، كانت تولى أهمية فى تشجيع وتسهيل هجرة اليهود من مخيمات النازحين والمُهجرين على امتداد أوروبا، بعد الحرب العالمية الثانية والمحرقة [Holocaust]، ومن البلدان العربية ودول أخرى بالمنطقة، وفى نفس الوقت كانت تمنع عودة اللاجئين الفلسطينيين. وقامت بتدمير وإخلاء المئات من القرى العربية التى كانت آهلة بالسكان. وبالنتيجة، أسفرت الحدود الجديدة، التى كانت وليدة الحرب، عن تقسيم عدد كبير من الأسر والعائلات والعشائر العربية، والأماكن التى كانت تتمتع بعلاقات اقتصادية واجتماعية قوية فيما بينها (والتى أصبحت معزولة تماماً بسبب الحدود التى رسمتها الحرب (الخط الأخضر).

وبالتالى فإن الفلسطينيين الذين بقوا فى إسرائيل لم يصبحوا مواطنين بمحض اختيارهم، بل نتيجة لما آلت إليه مجريات الحرب وويلاتها، فعاشوا حالة صعبة من التخبط، وكانوا مرغمين على التعاطى مع الوضع الجديد من جهة، ومع حملة التهجير الجماعى من جهة ثانية، فى وقت كانت إسرائيل تنظر إليهم بعين الريبة والحذر. وتشير التقارير إلى أن حوالى 400 قرية عربية كانت فى طور الإزالة، وعانى أهالى تلك القرى (حوالى ربع السكان الباقين) من التهجير الداخلى وبات المجتمع العربى المتبقى هدفه الوحيد هو البقاء والتمسك بأرضه.

الأوضاع المجتمعية والسياسية لعرب إسرائيل:

وخلال السنوات القليلة التالية، قامت إسرائيل باعتماد قانون الجنسية (1952)، والذى تضمن منع عودة الفلسطينيين الذين كانوا يسكنون المناطق التى أصبحت إسرائيلية، وترحيل الفلسطينيين الذين كانوا قد دخلوا إلى هذه المناطق بعد فترة 1947 - 1948 بدون إذن مسبق من السلطات، ولم تمنح أيضاً حق استعادة الأراضى والممتلكات لهم وأصبحت تابعة للدولة الإسرائيلية، وتم توزيعها فيما بعد على عناصر المجتمع اليهودى وأصبحت تلك الأراضى والمبانى ملكاً لأفراد يهود وجماعات يهودية؛ فى الوقت الذى تمت فيه مصادرة أراض وممتلكات تعود إلى سكان فلسطينيين شرعيين وإلى أشخاص عرب مُهجرين داخلياً بحجة أنهم مالكون غائبون.

من جهة أخرى، استفاد الفلسطينيون - إقراراً بالحق - فى إسرائيل من بعض المميزات كالتعليم المجانى وحرية التعبير وتأسيس الجمعيات الأهلية والفكرية مع منح المجتمع المسلم هامشاً من الاستقلالية فى مجالى العبادة والأحوال المدنية.

ويعيش فى «إسرائيل» حالياً حوالى مليون وتسعمائة مواطن عربى، وهم يشكلون نسبة من 19 إلى 20٪ من إجمالى عدد السكان «الإسرائيليين» البالغ عددهم حوالى 9 ملايين نسمة. وحسب بعض التقديرات، المختلف عليها، والتى تثير جدلاً حاداً فى الأوساط الإسرائيلية المعنية، فإنه يمكن أن ترتفع هذه النسبة لتصل إلى 31٪ فى العام 2050.

ويتواجد السكان «الإسرائيليون» العرب فى ثلاث مناطق رئيسية، هى:

- الجليل فى الشمال، بما فى ذلك بلدات الناصرة وسخنين وشفاعمرو.
- المثلث الصغير، فى وسط «إسرائيل»؛

محمد صلاح النجم المصرى العالمى حائز لقب أحسن لأعب فى إفريقيا للعام الثانى على التولى

وهى المنطقة الممتدة غربى «الخط الأخضر» الذى يفصل «إسرائيل» عن المناطق المحتلة؛ والتى يعيش فيها حوالى 30 ٪ من السكان «الإسرائيليين» العرب، وتشمل بلدات أم الفحم والطيبة والطيرة وباقة الغربية وكفر قاسم.

- صحراء النقب، فى الجنوب؛ حيث يعيش نحو مائة وأربعين ألفاً من السكان البدو، فى سبعة أماكن استيطانية رئيسية (تضم بلدة راحات)، وفى حوالى خمس وأربعين من «القرى غير المعترف بها».

وبالإضافة إلى ذلك، يعيش حوالى 10٪ من أبناء هذا المجتمع فى ست مدن يهودية - عربية مختلطة، هى: تل أبيب، يافا، حيفا، عكا، اللد، الرملة، والناصرة العُليا. وفى كل من المدن المذكورة يشكل العرب أقلية، ويسكنون فى الغالب فى أحياء منفصلة.

أما الدروز الذين يشكلون مجتمعاً دينياً منفصلاً، والذين تعترف بهم الدولة على هذا الأساس، فيعيشون فى ست عشرة قرية فى قرى شمال إسرائيل. وعلى الرغم من كونهم أقلية داخل أقلية، يتمتع الدروز بوضع مختلف، وبأفضلية نسبية من نواح عدة. ففى ظل قانون الجنسية الإسرائيلى يُصنف هؤلاء دروزاً، وليس عرباً؛ ولهم قانون أحوال شخصية خاص بهم، ولديهم ممثلون فى مؤسسات الدولة؛ ويتمتعون بمزايا فى الشبكات غير الرسمية وفى مختلف الدوائر الحكومية، مقارنةً بغيرهم من العرب الإسرائيليين. وجدير بالذكر أيضاً أن الدروز يؤدون الخدمة العسكرية الإلزامية، منذ عام 1956، ويستفيدون من الامتيازات التى يحصلون عليها مقابل تأدية هذه الخدمة، خلافاً لما هو حال العرب المسلمين والمسيحيين، الذين لا يمكنهم تأدية الخدمة العسكرية فى الجيش الإسرائيلى إلا تطوعاً.

أما بالنسبة للمواطنين العرب فى القدس الشرقية «المقدسيون» فيتراوح عددهم حوالى 350 ألفاً وفقاً للإحصائيات الرسمية الإسرائيلية، وهم مقيمون دائمون فى إسرائيل، إلا أنهم ليسوا مواطنين فيها، ولا يحوزون جواز سفر إسرائيلى، يحصلون على «وثيقة مرور إسرائيلية» (- passer laissez) ولأجل السفر للخارج، ويمكن لهم المشاركة فى الانتخابات لمؤسسات السلطة الفلسطينية، لكنهم لا يحوزون جواز سفر فلسطينى (خلافاً لسكان الضفة الغربية)، ويحظر على السلطة الفلسطينية العمل أو القيام بأى نشاطات فى مكان سكنهم فى القدس الشرقية. وعليه فإن الفلسطينيين فى القدس الشرقية هم سكان بدون مواطنة معترف بها، ولا يتمتعون بحقوق المواطنة الكاملة. فعلى الرغم من أنهم يملكون الحق فى التصويت فى انتخابات السلطات المحلية لمدينة القدس إلا أنهم يقاطعونها بالنظر لما يعتبرونه اعترافاً بالاحتلال الإسرائيلى للمدينة، إلا أنهم فى المقابل لا يستطيعون التصويت فى انتخابات الكنيست لكونهم غير مواطنين.

ويتمتع عرب 48 بالانفتاح الفكرى والثقافى والحضارى فى مجتمعهم بشكل خاص ومميز جداً، فهم يصنفون على أنهم أكثر الفلسطينيين انفتاحاً وتحضراً وثقافة. ويحرصون على تنظيم فعاليات اجتماعية وحضارية وثقافية لتنمية الوعى الفكرى والثقافى لديهم ولدى أبنائهم، فهم يحيون سنوياً ذكرى النكبة والتى أقرت إسرائيل قبل فترة وجيزة منع إحيائها، وكذلك يوم ٣٠ مارس من كل عام إحياءً لذكرى يوم الأرض فى 30 مارس 1976 والتى كانت أول وقفة فلسطينية للاحتجاج على مصادرة إسرائيل لآلاف الدونمات من الأراضى الزراعية فى القرى العربية، فانتفض الفلسطينيون من عرب 1948، وسقط منهم ستة شهداء وأصيب المئات.

كما يقوم عرب 1948 بمسيرات الأعياد، ومسيرات للكشّافة وحفلات وطنية، وأخرى اجتماعية وفنية والفعاليات المدرسية والمدنية والدينية...إلخ، ويتميزون أيضاً بالعقلية المنفتحة والمثقفة والحضارية، مع وجود أيضاً نسبة كبيرة من المحافظين فى الوسط العربى.

ومن الناحية السياسية، انخرط عرب 1948 فى العملية السياسية داخل إسرائيل

الصورة النمطية لعرب 1948

فى ظل المنـــاخ الديمقراطـــى، وكان أول حزب ينال أصوات العرب هو حزب «ماكى» الشـــيوعى (الخيار الوحيـــد اليهودى غير الصهيونى) والذى اجتذب عـــدداً كبيراً من العرب الأكثر نشـــاطاً على الحلبة السياسية وذلك لمواقـــف هذا الحزب الـــذى عارض مصـــادرة الأراضى، وطالـــب بإنهاء الحكم العسكرى ووقف السياسات الرسمية الأخرى التى تتسبب فى معاناة للمجتمع العربى.

وفى عـــام 1965، انحل حزب «ماكى»؛ فبدأ العرب يشاركون فى الأحزاب اليسارية التـــى كانت لها مواقفهـــا التقليدية المؤيدة لبعض حقوق الفلسطينيين. وحالياً خاضت القائمـــة الانتخابية لانتخابات الكنيســـت الأخيرة بقائمة موحدة. لتوحيد الجهود ومنع تفتت الأصوات، حيث ترأس القائمة الموحدة المحامى أيمن عودة من الجبهة الديمقراطية للسلام والمســـاواة إلى جانب حزب التجمع الوطنـــى الديمقراطى والحركة الإســـلامية الجنوبية والحركة العربية للتغيير وجميعها أحزاب عربيـــة، وإن كان بعضها له أجندته الخاصة، ولكن فى النهاية انتماءها فلسطينى وتدافع عن الحقوق المشـــروعة للشـــعب الفلسطينى داخل الكنيست وتتصدى للتيارات اليمينية المهيمنة. وحديثـــاً خاضت القوى السياســـية العربية - باختلاف انتماءاتها - انتخابات الكنيســـت الأخيرة بقائمة موحدة، لتوحيد الجهود ومنع تفتت الأصوات حفاظاً على تمثيلهم بالكنيست والذى يتراوح عادة ما بين عشـــرة إلى 12 مقعـــداً من مجموع مقاعده البالغ عددها 120.

السلطة الفلسطينية وعرب إسرائيل

يعلـــم القاصى والدانى - وإســـرائيل بالضـــرورة - أن هناك صـــلات قائمة بين السلطة الفلســـطينية وعرب إسرائيل، بحكم وشـــائج القربـــى والمصاهـــرة أو الهوية والانتمـــاء، صلات قد تصـــل أحياناً إلى حد التنسيق والمشاورة، وهؤلاء يواجهون وضعاً صعباً حقاً فهـــم مواطنو دولة تقهر وطنهم الأم! هم أشـــبه براكب الدراجـــة عليه دائماً الموازنة والمواءمة فى كل شـــىء وأى شىء وقبـــل ذلك ضرورة الاســـتمرار فى التحرك للأمام، فعليهـــم مواصلة الدفاع عن حقوقهم وصولاً إلى حد المســـاواة مـــع اليهود فى الدولة التى ينضوون تحت عباءتها ويحملون جنســـيتها، وفى ذات الوقت التحرك الواعى للعمل كظهير سياسى لصالح السلام والحق الفلسطينى عبر الصلات القائمة مع السلطة ودعم قوى السلام بإسرائيل! هم - فى ذلك - يتعاطون السياسة بحرفية لتكثيف الجهود لمنع الغلو والشـــطط الســـائد على الساحة الإسرائيلية منذ انحسار قوى اليسار وتزايد المد اليمينى بدرجاتـــه المختلفة بالمجتمع الإسرائيلى فى السنوات الأخيرة!

ملكيون أكثر من الملك ذاته

خلاصـــة القول أنه من الافتراء أن نعتبر عرب 48 هم أعداء أو خونة ولكنهم فى حقيقة الأمر هم فلســـطينيون مخلصون لقضيتهم ووطنيون بامتياز، صحيح أنهم يعيشـــون فى ظروف استثنائية توفر لهم حياة كريمة ويتمتعـــون بخدمات عالية المســـتوى فى التعليم والعلاج والمواصلات وحكم القانون، إلى جانب الحقوق فى المساواة بقدر كبير، إلا أنهم لم ولن يغيروا من مواقفهم وسيظلون يقاومون الاحتلال ولن ينسوا شهداءهم الذين ســـقطوا بالمئات. بل إنهم يواجهون تمييزاً لكونهم عرب لاســـيما فى تطوير الخدمات أو البنية التحتية فى المدن والقرى العربية، إضافة إلى إقرار إسرائيل مؤخراً قانون الدولة القومية للشعب اليهودى الذى أثر على مكانة اللغة العربية من لغة رســـمية إلى لغة ذات مكانة خاصة، فضلاً عن اقتصار حق تقرير المصير على الشـــعب اليهـــودى دون غيره وهو ما سعوا جاهدين للضغط على الحكومة الإسرائيلية للعدول عنه دون جدوى.

فى النهاية فهؤلاء الفلسطينيون يؤلمهم ما يشعرون به من جفوة بينهم وبين الشعوب العربية بســـبب الصـــورة الذهنية الخاطئة عنهـــم! ومن ثم فعلينـــا أن نتخلى عن هذه النمطية السائدة وألا نظلمهم أكثر، وكفاهم معاناة، وإذا كانت الســـلطة أو حتى الشعب الفلسطينى - سواء فى الأراضى الفلسطينية المحتلـــة أو فى المهجـــر - يعتبرونهم من جلدتهم فهل سنكون نحن فلسطينيون أكثر من الفلسطينيين أصحاب القضية، أو مثلما يقول المثل الدارج «ملكيون أكثر من الملك»؟

لقـــد فُرض على الفلســـطينيين العرب فى إســـرائيل أن يتعاطوا مع المجتمع الذى يعيشون فيه، وتمثل رياضة كرة القدم مجالاً آخر للتعاطى بين المجتمعين. فهناك فريقان عربيان يمثلان بلدتين عربيتين، وينافســـان فى الدورى الإسرائيلى، وأى لاعب عربى منهم لا يستطيع أن يشارك فى الدورى أو المنتخب الفلسطينى لأنه يعيش داخل إسرائيل ويحمل جواز الســـفر أو الهوية الإســـرائيلية ربما مضطراً وإلا ســـيكون بلا هوية ولا يستطيع مغادرة إسرائيل.

لقد تابـــع العالـــم الأداء المبهر للنجم المصرى العالمى المحبوب صلاح، حتى أن كبرى الدوريات الأمريكية والغربية تساءلت عما إذا كانـــت تلك «اليوفوريـــا» أو الزخم بشأن صلاح قد يســـقط الحواجز الثقافية بين المسلمين والغرب بسبب التأثير الطاغى للعبة الشعبية الأولى فى العالم. بالتأكيد وفى اعتقادى فإن صلاح أسهم فى تجسير الهوة الثقافية وتحسين صورة العرب والمسلمين، ولذا فإننى أطرح ســـؤالى مـــرة أخرى، هل اللاعب مؤنس دبور خائـــن لأن أجداده بقوا بأراضيهم؟ وهل من العـــار على صلاح أن يلعب بجانبه؟ ولو حـــدث أن انضم الأخير للعب بجانب صلاح، فهل ســـوف يسهم ذلك فى التعريـــف بالصـــورة الصحيحة لعرب إســـرائيل، أم أن هناك من ســـيلجأ للمزايدة والصراخ للعب على عواطف الجماهير لكسب الشعبية الزائفة أو اســـتغلال نقص الوعى بتلك القضية؟

إعادة بناء قرية العراقيب فى صحراء النقب بعد هدمها 136 مرة وقرية الخان الأحمر التى تنتظر الهدم

لم تعترف الحكومات الإسرائيلية المتعاقبة منذ قيام الدولة عام 1948 إلا بسبع قرى فقط من حوالى 54 قرية من قرى صحراء النقب المجاورة للحدود المصرية ويسكنها حوالى مائة ألف بدوى.

ويتكون النقب جغرافيا من مثلث مقلوب قاعدته المتخيلة هى الخط المستقيم من مدينة رفح إلى البحر الميت وطوله حوالى 120 كيلو متر تقع عليه بلدة «بئر السبع» ويحده شرقا الحدود الأردنية بحوالى 180 كيلو متراً وغرباً الحدود المصرية بطول حوالى 240 كيلو متر ورأسه مدينة إيلات «أم الرشراش» على رأس خليج العقبة ويعيش سكان القرى وغير المعترف بها معيشة الحياة فى العصر الحجرى.

فلا مياه نقية للشرب فى أنابيب لمساكنها، لكن يشترى السكان المياه من فناطيس تجرها الدواب ولا كهرباء حيث يستخدم السكان الحطب والأخشاب وبعض القادرين مولدات بدائية ولا يوجد صرف صحى، ولا طرق مواصلات، ولا مدارس، حيث يسافر الأطفال عشرات الكيلو مترات على الدواب للدراسة فى أقرب مدرسة ولا وسائل مواصلات ولا وسائل اتصالات من بريد أو برق أو تليفونات أو انترنت.

ولا خدمات للشرطة أو مراكز طبية للعلاج ولا مراكز إطفاء لكن يدير هذه القرى المخاتير «العمد» وللقرى اتحاد يمثلها أمام السلطات الاسرائيلية.

وتحاول إسرائيل بكل الوسائل أن تطرد سكان البدو وترحلهم من قراهم ومضاربهم وخرباتهم من الأرض التى يعيشون عليها منذ ما قبل قيام الدولة ويتوارثونها عن الآباء والأجداد ويملكون كواشين الطابور وهى كلمة تركية تعادل وثائق التسجيل لدى الشهر العقارى وتحاول إسرائيل تهجيرهم إلى قرى أخرى معترف بها بدعوى تقديم الخدمات لهم والهدف الحقيقى هو إقامة المدن الإسرائيلية والقرى التعاونية عليها وتفريغ الأرض من السكان وهو ما يحدث أيضا فى شمال إسرائيل «الجليل» وذلك لأن نسبة اليهود ضئيلة جدا فيهما والذين يتركزون فى منطقة المركز الإسرائيلى وأنشأت لذلك وزارة خاصة سميت وزارة تطوير النقب والجليل وهى «لتهويد» النقب والجليل ورئس الوزارة لأول مرة بعد إنشائها شيمون بيريز لأهميتها ولأن بقاء الأغلبية الفلسطينية «بدو وحضر» يشكل خطرا على إسرائيل «سواء بطلب الحكم الذاتى أو طلب الانضمام إلى الدول العربية المجاورة كما طالب بذلك وزير الدفاع الإسرائيلى السابق بالنسبة لشمال إسرائيل نقل الأرض ومن عليها» استسلمت قرية العراقيب بعد 136 مرة هدمت فيها قوات الجيش الإسرائيلى بسلاح الحدود الذى أغلبيته من الدروز «الدروز قوم موحدين لله سبحانه وتعالى ويؤمنون بالرسول محمد عليه الصلاة والسلام وبالقرآن الكريم لكنهم لا يؤمنون بالصلاة أو الصيام أو الحج وأخرجهم الأزهر الشريف فى الثلاثينيات من الملة المسلمة».

تقدم عمدة العراقيب إلى السجن بعد الحكم عليه لمقاومة السلطات وعدم هدم بيته بيده وإسرائيل هى المكان الوحيد فى العالم الذى يطلب من السكان هدم منازلهم بأيديهم بإدعاء أنها «غير مرخصة» وإلا تحملوا تكاليف الهدم وإذا لم يدفعوها فإن مصيرهم السجن وودعه حتى السجن جماهير غفيرة من النقيب واثنين من ممثلى العرب فى الكنيست الإسرائيلى «برئاسة رئيس الائتلاف أيمن عودة 13 عضوا من 120 فى الكنيست المنحل» وذلك بعد استبدال النائب

سفير محمود كريم

«باسل غطاس» المسجون بدعوى تقديم تليفونات محمولة إلى المساجين من حركة حماس والجهاد الإسلامى فى السجون الإسرائيلية وجرح عشرات من البدو فى المواجهات مع الجيش الإسرائيلى وقتل عشرات منهم أخرهم المدرس «أبو القيعان» الذى استشهد أمام أطفاله الستة لدم بارد «وكان ممثل بدو النقب فى الكنيست وطلب «أبو عرار» الذى دخل الكنيست لأول مرة بزوجتيه البدويتين».

وعند قيام الدولة حاولة تفكيك تركيز البدو فى النقب فنقلت عشرات الآلاف منهم بالقوة إلى مضارب صحراوية شرق القدس كون إحداها قرية الخان الأحمر فى أرض الضفة الغربية التى احتلت فى 5 يونيه 1967 وسكانها اليوم فلسطينيين عكس بدو النقب الذين يحملون الجنسية الإسرائيلية ويخدم القليل منهم فى الجيش الإسرائيلى تطوعا وعندما قتل بعض جنوب البدو فى الجيش الإسرائيلى «وهم مسلمون سنة» رفض الشيوخ الصلاة عليهم لذلك أنشأت الجيش الإسرائيلى إدارة برئاسة شيخ مسلم برتبة عميد لرعاية شئون المسلمين البدو فى الجيش الإسرائيلى والصلاة على قتلاهم.

وعلى عكس المستوطنات الإسرائيلية غير الشرعية «فى نظر الحكومة الإسرائيلية» وقد كانت 101 مستوطنة أثناء حكم شارون أصبحت الآن حوالى 20 فقط بعد شرعنتها تدريجيا.

وجميع المستوطنات فى الأرض الفلسطينية المحتلة عقب حرب 5 يونيه 1967 غير شرعية من وجهة نظر القانون الدولى وجميع الدول ولا تعترف بها أى دولة فى العالم سوى الولايات المتحدة الأمريكية التى لا تعتبر الضفة الغربية أرض محتلة بل متنازع عليها.

استسلمت العراقيب وقبل السكان الترحيل إلى قرية «راهط» البدوية على أن يعوضوا عن أرضهم لقيام بدلا منها كيبومتز «حيث يمتلك أعضاء هذه القرية التعاونية اليهودية كل منهم جزء من الأرض» أو الموشاف «الذى تكون فى ملكية الأرض جماعية».

والمستوطنات غير الشرعية اليهودية تقدم لها الحكومات الإسرائيلية المتعاقبة المياه النظيفة والكهرباء والصرف الصحى «والذى غالبا ما يكون من مستوطنة على جبل إلى قرية فلسطينية أسفله» وتسوى لها الطرق وتخدمها المواصلات العامة وتمدها بوسائل الاتصالات «التليفونات والانترنت» وأهم من ذلك حراسة الجيش بأعداد كبيرة لمستوطنة يعيش فيها أفراد قلائل كما حدث فى قطاع غزة قبل انسحاب القوات الإسرائيلية منه بالنسبة لمستوطنة «نتساريم» التى كان يسكنها أربعة عائلات وتحميها فصيلة من الدبابات.

ويخدم قليل من البدو «حوالى 300 فى العام» فى الجيش الإسرائيلى ليستخدمهم فى قتل إخوانهم الفلسطينيين وقد يكونوا فعلا أبناء عمومتهم «فعلى سبيل المثال «إسماعيل هنية» رئيس حماس عندما هجرت أسرته من جنوب فلسطين فإن أحد أفرادها «إسماعيل» ذهب إلى قطاع غزة بينما شقيته تعيش فى بئر السبع إسرائيلية الجنسية ويقدم الجيش الإسرائيلى إغراءات كثيرة للبدو للانضمام فى صفوفه «خدمة لمدة عامين فقط، بينما يجند الشبان اليهود إجباريا لمدة ثلاثة أعوام والشابات اليهوديات عامين وتسببت رغبة الأحزاب المتدينة فى إسرائيل فى إعفاء وعدم تجنيد أبنائهم وبناتهم فى الجيش إنهيار حكومة نتنياهو فى ديسمبر 2018 كما يقدم لمن انتهت خدمته العسكرية تخفيضات فى السكن وإعفاء من رسوم الدراسة الجامعية وأولوية فى الحصول على الوظائف ومعاملة متميزة فى بقية نواحى النظام الإسرائيلى نتيجة للخبرات التى يحصلون عليها أثناء التجنيد وكذلك اللغة العبرية وذهبت الإغراءات لحد تطوع فتيات بدويات مسلمات فى الجيش».

كما تهتم مصر بصحراء النقب حيث قامت إسرائيل ببناء سور على طول الحدود ليضمن لهم كما يدعون وقف تهريب المخدرات والسلاح والأفارقة والسيدات من الكتلة الشرقية السابقة من مصر.

كما تهتم مصر بمراقبة تطبيق بنود اتفاق السلام الذى قسم سيناء إلى مناطق أ - ب - جـ وكذلك المنطقة د. فى إسرائيل التى تشرف عليها القوة متعددة الجنسيات «وليس الأمم المتحدة» ومركزها روما بإيطاليا والجورة فى سيناء، كما يوجد المفاعل الإسرائيلى الأول القديم فى ديمونة وتحيق به أخطار انفجاره نتيجة الزلازل أو انتهاء صلاحيته وهو أحد ثلاثة مفاعلات نووية فى إسرائيل ولا شك أن المياه الجوفية ولا الحشرات والأمراض ولا التيارات البحرية التى تنقل الصرف الصحى غير المعامل فى غزة إلى الحدود المصرية لا تخضع للحدود ومن ثم فهى مبعث اهتمام مصرى.

المستجدات على طريق حل الأزمة السورية سياسياً

تبلغ الأزمة السورية فى مارس 2019 نحو ثمانى سنوات من عمرها، وقد تراوحت الأزمة خلال هذه الأعوام ما بين أقصى درجات التصعيد فى المواجهات العسكرية والسياسية والإعلامية إلى التهدئة النسبية والتقاط الأنفاس. كما شهدت تغيرات كبيرة فى مواقف بعض الأطراف الإقليمية والدولية وتغير بالتالى دورها فى الصراع سواء مباشرة أو عن طريق وكلائهم المتحاربين، وكان للتغيرات الميدانية منذ التدخل العسكرى الروسى المباشر فى نهاية سبتمبر 2015 أثر فعال لتغيير موازين القوى لصالح النظام السورى المدعوم من روسيا وإيران وميليشيات حزب الله اللبنانى وميليشيات الحشد الشعبى العراقى.

سفير رخا أحمد حسن

rakhahassan@yahoo.com

وقد كان تبنى مجلس الأمن القرار رقم 2254 بشأن الحل السلمى للأزمة السورية بالإجماع فى 18 ديسمبر 2015 بداية الاتجاه نحو الحل السلمى، وقد أعقب ذلك عدة مؤتمرات فى جنيف وفيينا، وسوتشى - روسيا، وآستانا فى كازاخستان، وفى أنقرة وطهران وموسكو وبرلين ولندن وروما والرياض والقاهرة. وكانت فى كل مرة إما أن تنفض دون إحراز تقدم أو تناول موضوعات جزئية تساعد على الاقتراب من الاتفاق أو التوافق. وقد حققت مؤتمرات سوتشى وآستانا تقدماً كبيراً فى تخفيف حدة القتال، والذى أدى إلى وقف القتال فى عدة مناطق فى جنوب سوريا وإعادتها إلى السلطة السورية بمساعدة روسية وتوافق إيرانى تركى أمريكى إسرائيلى. وبدأت عودة اللاجئين السوريين إلى بلدهم من الأردن ولبنان وفتح الحدود السورية الأردنية ونقاط المراقبة بين الجولان الذى تحتله إسرائيل والأراضى السورية تحت رقابة دولية.

وكان من أهم معوقات بدء مفاوضات للتوصل لاتفاق على الحل السلمى والمرحلة الانتقالية ما يلى:

1 - دور الرئيس بشار الأسد سواء فى المرحلة الانتقالية أو ما بعدها. رأت عدة فصائل من المعارضة وعدة دول إقليمية وأوروبية وإلى حد ما الولايات المتحدة أن الرئيس الأسد جزء من الأزمة السورية ولا يمكن أن يكون جزءاً من الحل وأنه لابد أن يرحل.

وقد تطور هذا الموقف إلى قبول عام ببقاء الرئيس الأسد فى المرحلة الانتقالية بل وأبعد من ذلك فإنه إذا جرى انتخابه بعد ذلك فى انتخابات حرة ديمقراطية فإنه يمكن التعامل معه، وأهم الأطراف التى أكدت ذلك تركيا وبعض الدول الأوروبية والإقليمية العربية التى كانت تعارض بقاءه.

ويرجع هذا التطور إلى استرداد الجيش العربى السورى السيطرة على أكثر من 80٪ من الأراضى السورية بمساعدة حلفاء النظام السورى، وتراجع دور المعارضة والقوات المسلحة التابعة لها، بل وتراجع المنظمات الإرهابية.

2 - تعدد جبهات المعارضة إلى توجهات مختلفة منها منصة الرياض وأساسها الائتلاف الوطنى السورى المعارض فى الخارج، ومنصتا موسكو والقاهرة والجبهة الوطنية السورية المعارضة فى الداخل. وقد أخفقت كل محاولات تشكيل حكومة منفى للمعارضة، وكانت مواقف

حرس الحدود التركى يمنع اللاجئين السوريين

المعارضة خاصة الائتلاف الوطنى السورى المعارض تجهض كل المؤتمرات التى عقدت تحت مظلة الأمم المتحدة وبإشراف المبعوث الأممى ستيفان دى ميستورا.

وقد أمكن توحيد المعارضة فى وفد واحد نتيجة المتغيرات الميدانية لصالح النظام السورى من ناحية وتغير مواقف بعض القوى الإقليمية والدولية من ناحية أخرى وإدراك أنه لا أمل فى أى حل عسكرى، وأن مضى الوقت ليس فى صالح المعارضة التى بدأت تقبل ما تقبله الأطراف الداعمة لها.

3 - التداخل بين المعارضة السورية المسلحة والمنظمات والجماعات الإرهابية المسلحة فى عدة مواقع سورية خاصة القاعدة وداعش وجبهة النصرة (أصبحت جبهة تحرير الشام) وغيرها. وكانت عملية تخفيف تصعيد العمليات العسكرية لا تشمل المنظمات الإرهابية ولا جماعات المعارضة المتعاونة معها واستمر قصف القوات النظامية السورية، والروسية، والإيرانية لمواقعها والتوصل إلى تفاهمات مع من يستسلم منها وترحيلهم بأسلحتهم الخفيفة

قبول عام ببقاء الرئيس الأسد فى المرحلة الانتقالية

فقط إلى إدلب وبقاء من يرغب فى مكانه شرط أن يخضع لمعايير عدم ارتكاب جرائم عنف أو أعمال إرهابية.

وبالرغم من اندحار داعش والمنظمات الإرهابية الأخرى إلا أن الخبراء يقدرون ما تبقى من قواتها فى مواقع متفرقة فى سوريا بنحو 14 ألف شخص دون تحديد ما إذا كانوا كلهم مقاتلين أم يشمل العناصر المساعدة.

أما المعارضة المسلحة سواء الجيش السورى الحر أو القوات الديمقراطية السورية أو قوات الدفاع الشعبى (والأخيرتان من الأكراد وبعض العرب) فإنهم يتجاوبون مع الاتجاه العام نحو التسوية السلمية مع ضمان حقوقهم وأمنهم.

4 - موقف إسرائيل التى تتحرك على عدة مستويات بعضها فى أضيق نطاق من العلانية وتجنب استفزاز داعش بل والتعاون معها لوجيستياً وإمدادهم بالمؤن وتوفير العلاج لجرحاهم. وبذلت إسرائيل مساعى كبيرة مع روسيا للتنسيق العسكرى لما تقوم به إسرائيل من غارات على بعض المواقع السورية والإيرانية فى سوريا، وتأمين جبل الدروز فى سوريا ضد أى عمليات عسكرية لما تبديه إسرائيل من اهتمام خاص بالدروز سواء فى إسرائيل أو خارجها. وقد أحدث سقوط طائرة استطلاع روسية فى سوريا على أثر هجوم جوى إسرائيلى أدى إلى أن تسقط الدفاعات الجوية السورية الطائرة الروسية وأدى إلى توتر شديد فى العلاقات بين موسكو وتل أبيب ووافقت عقبه روسيا على إمداد سوريا بصواريخ إس 300

ما وَراء الانسحاب الأمريكى من سوريا

الروسية وهو ما أثار قلقاً لدى إسرائيل ولكن بقى التشاور والتنسيق بين إسرائيل وروسيا.

5 - الوجود الإيرانى فى سوريا والذى يثير مخاوف وقلقاً لدى إسرائيل، وتدرك إسرائيل أن التدخل الإيرانى فى سوريا بناء على طلب رسمى من الحكومة السورية وبناء على تحالف مستمر منذ حكم الرئيس حافظ الأسد. وقد قامت الميليشيات والخبراء العسكريون الإيرانيون بدور مهم بالتعاون مع الروس فى دعم الرئيس بشار الأسد، وتخشى إسرائيل من وجود قوات إيرانية بالقرب من حدودها أو بالقرب من الجولان المحتل أو حتى بالقرب من الحدود اللبنانية وإقامة خط إمداد أرضى متصل بين طهران وحزب الله فى جنوب لبنان. ولا يتصور خروج إيران من سوريا، وإن كان من المستطاع إبعاد الوجود الإيرانى عن المناطق المشار إليها لطمأنة إسرائيل وهو ما تتفهمه روسيا وتتجاوب معه إلى حدود إيران.

6 - موقف تركيا من الأزمة السورية بصفة عامة والذى شهد تغيراً ملحوظاً من التعاون مع داعش التى دخلت سوريا من أراضيها وتقديم العلاج والمؤن لقواتها إلى القول بالانضمام للتحالف الدولى لمحاربة داعش والذى بلغ مؤخرا مداه بقول المسئولين الأتراك على عدة مستويات أنهم دخلوا إلى الأراضى السورية لمحاربة داعش ولن تبقى قواتها فيها بعد القضاء على داعش، وأبدت أنقرة استعداداً للتعامل مع الرئيس الأسد.

كما أن تركيا تصنف القوات الديمقراطية وقوات الدفاع الشعبى التى تتبع الأكراد السوريين ودربتها وسلحتها القوات الأمريكية خلال

اللاجئون السوريون على الحدود مع الأردن

السنوات الأربع الأخيرة، على أنها إرهابية وتوأم حزب العمال الكردستانى التركى المصنف إرهابياً من جانب النظام التركى. وقد احتدم الخلاف بين تركيا والولايات المتحدة بسبب الدعم الأمريكى لأكراد سوريا وهو ما دفع الرئيس الأمريكى ترامب إلى اتخاذ قرار مفاجىء بسحب الألفى جندى وضابط أمريكى من شمال شرقى سوريا خلال فترة من 60 إلى 100 يوم. مما أدى إلى استقالة وزير الدفاع الأمريكى وتعرض القرار لانتقادات من عدة جهات دولية وإقليمية وداخل الولايات المتحدة نفسها، واعتبره أكراد سوريا طعنة فى الظهر وخيانة للأكراد الذين ضحوا بدمائهم وهم يقاتلون داعش ودحرها فى المنطقة الكردية.

ولكن ترامب أراد بقراره إرضاء تركيا حتى لا تندفع أكثر نحو روسيا، وحتى لا تنفذ خطتها بالهجوم على أكراد سوريا وتدميرهم، ولكى يكشف الغطاء والحماية عن أكراد سوريا ليقبلوا الانسحاب من شرق الفرات بقواتهم كما تطلب تركيا تأميناً لحدودها، وجعلهم يعودون إلى طلب حماية النظام السورى والانضواء تحت لوائه، وهو ما يعنى حتى وإن لم يقصد ترامب مباشرة انتهاء حلم الحكم الذاتى أو الفيدرالية التى كان يطالب بها ويسعى إليها أكراد سوريا.

وقد أدى قرار الانسحاب الأمريكى من شمال شرقى سوريا إلى التنسيق بين تركيا وروسيا فى عدة اتجاهات، أولها ملء الفراغ الذى ستتركه القوات الأمريكية، وثانيها الإشراف على انسحاب القوات الكردية من شرق الفرات بالتوازى مع انسحاب القوات الأمريكية، وثالثها تجنب عملية عسكرية تركية كبيرة ضد الأكراد، ورابعها تنسيق روسيا مع النظام السورى وإيران لدفع قوات أرضية خاصة من الجيش العربى السورى إلى منطقة انسحاب القوات الأمريكية لضمان عدم التدخل العسكرى التركى وحماية الأكراد والتفاوض معهم على وضعهم فيما بعد التسوية وفى المرحلة الانتقالية.

وكما قال الروس وأطراف أخرى أن انسحاب القوات الأمريكية يساعد على الإسراع بالتوصل إلى التسوية السياسية للأزمة السورية. وأن انسحاب القوات الأمريكية قد أثار توتراً وقلقاً لدى عدة أطراف إقليمية ودولية لعدة أسباب أولها أنه لم يقض على داعش كلية كما قال الرئيس

زيارة الرئيس السودانى البشير لدمشق

إعادة الإعمار فى سوريا بعد صياغة التسوية السلمية

ترامب ومن ثم يخشى من عودتها إلى منطقة شمال شرقى سوريا، وثانيها اندفاع تركيا بالإعداد لشن حملة على أكراد سوريا وتدميرهم، وثالثها أن هذه المنطقة يوجد فيها نحو 90٪ من البترول السورى، ونصف إنتاج الغاز السورى، ومعظم إنتاج القطن والحبوب، والسدود الثلاثة الكبرى، ويمر فيها الطرق البرية بين إيران والعراق وسوريا ولبنان وهى طرق حيوية لمصالح إيران وميليشياتها. وهذه المنطقة يعول عليها النظام السورى وإيران وروسيا فى الإسهام فى عمليات إعادة الإعمار فى سوريا بعد صياغة التسوية السلمية.

وسيكون للتنسيق بين تركيا وكل من روسيا وإيران من ناحية وواشنطن من ناحية أخرى، أهمية كبيرة فى إعادة ترتيب شمال شرقى سوريا والمناطق منزوعة السلاح على الحدود التركية السورية.

7 - العلاقات العربية السورية

وما شهدته من تفاوت وتنوع كبير منذ القرار غير السليم بوقف عضوية سوريا فى جامعة الدول العربية، وقيام عدة دول عربية إما بقطع علاقاتها مع النظام السورى، أو سحب سفرائها وإغلاق سفاراتها.

وقد بدأت ملامح تطور أساسى بالاتجاه نحو تنشيط وإعادة العلاقات بين عدة دول عربية ودمشق وبدأت بزيارة الرئيس السودانى البشير لدمشق وإعادة فتح سفارتى كل من الإمارات العربية المتحدة والبحرين والحديث عن زيارات لزعماء عرب آخرين منهم رئيس موريتانيا والعاهل الأردنى الملك عبدالله الثانى وآخرون.

كما أن البرلمان العربى قد أوصى فى مؤتمره الأخير بإعادة عضوية سوريا إلى جامعة الدول العربية وتؤيد ذلك عدة دول عربية منها العراق والسودان ومصر وموريتانيا والأردن، ومن المرجح أن يتم ذلك خلال القمة الاقتصادية العربية فى لبنان فى يناير 2019 وقبل القمة العربية القادمة فى تونس.

وإن عودة الدول العربية إلى سوريا يأتى بعد أن ابتعدوا، أو بمعنى أدق أبعدوا عن المشاركة الفعلية والفعالة فى صياغة التسوية النهائية للحل السلمى للأزمة السورية، وأيقنوا أن روسيا وإيران لهما اليد العليا فى سوريا وأن أدوار الآخرين هى مجرد عوامل معطلة للحل السياسى، وبدأ التفكير فى إعادة إعمار سوريا وأنه من الحكمة عدم ترك عملية إعادة الإعمار لروسيا وإيران لأنها عملية ستستغرق وقتاً طويلاً وتكاليف باهظة، وسيكون للمشاركين فيها دور ووجود فى سوريا فى السنوات القادمة، وأنه إذا كانت إيران حققت مكسباً كبيراً بدعمها مع روسيا للرئيس بشار الأسد واضطلاع القوات البرية الإيرانية بدور فعال، فإن الدول العربية ويشاركها الرأى الولايات المتحدة الأمريكية وإسرائيل بأنه لا ينبغى ترك إيران تزيد نفوذها وتمددها فى سوريا فى مرحلة إعادة الإعمار وما بعدها، لذا كان الاتجاه للعودة إلى سوريا.

ولا شك أن موقف مصر المتزن بالإبقاء على الاتصالات مع النظام السورى ومع أطياف أو منصات المعارضة السورية المختلفة قد جعل لمصر قبولاً عاماً لدى جميع هذه الأطراف، ومن ثم فإن دورها مطلوب فى المرحلة الحالية من الإعداد للحل السلمى السياسى خاصة مع المبعوث الدولى الجديد جير بيدرسون النرويجى، والذى سيحل مكان ستيفان دى ميستورا خلال شهر يناير 2019، كما يتوقع أن يكون لمصر دور وحصة من إعادة إعمار سوريا بما لديها من خبرات فى هذا المجال.

اليمن إلى أين: ماذا بعد السويد؟

فى الواقع إن مفاوضات السلام اليمنية فى السويد، منتصف ديسمبر 2018، بشأن بحث سبل الحل السياسى للأزمة فى اليمن تكتسب أهمية كبيرة لأنها تمت تحت رعاية المبعوث الأممى الجديد بشأن اليمن البريطانى / مارتن جريفيث ونتيجة لجهوده التى بذلها فى هذا الشأن. كما شارك الأمين العام للأمم المتحدة أنطونيو جوتيريس فى الجلسة الختامية لها.

سفير يوسف الشرقاوى

yelsharkawy@yahoo.com

وتأتى تلك المفاوضات اليمنية التى عقدت فى استكهولم بعد جولة الكويت للمفاوضات اليمنية المستفيضة والمطولة والمعمقة بكافة أبعادها العسكرية والأمنية والسياسية والإنسانية وغير ذلك، التى امتدت حوالى أربعة أشهر بالكويت فى النصف الأول من عام 2016. وقد تشرفت بالمشاركة فى حضورها بصفتى سفيراً لمصر لدى اليمن حينذاك، وسفراء السعودية والإمارات والكويت والولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا والصين وروسيا واليابان وهولندا والاتحاد الأوروبى. وتبدو أهمية تلك المفاوضات التى تمت برعاية ممثل الأمم المتحدة لدى اليمن حينذاك الموريتانى إسماعيل ولد الشيخ والذى يشغل وزير خارجية الجمهورية الإسلامية الموريتانية حالياً، ولكن فشلت تلك المفاوضات فى وقف إطلاق النار فى اليمن.

- وفِى تقديرى أن مفاوضات استكهولم منتصف ديسمبر 2018 قد جاءت بدعم غير مسبوق دولى وإقليمى وبمساع من الإدارة الأمريكية خاصة على الصعيد الثنائى، وتصريحات وزيرى الدفاع والخارجية الأمريكيين فى هذا الشأن المطالبة بالعمل العاجل لوقف إطلاق النار، وعقد لقاء بهدف بحث سبل الحل السياسى للأزمة اليمنية. وقد تبلورت تلك الجهود على صعيد مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة، وكان من أهم ما أثمرت عنه- أى تلك الجهود- القرار الذى صدر عن مجلس الأمن رقم 2451، والذى شدد على استناد الحل السياسى على المرجعيات الثلاث ورحبت الحكومة الشرعية والحوثيون بذلك القرار.

- صدر بيان عن رئاسة الجمهورية اليمنية رحبت فيه بذلك - أى بقرار مجلس الأمن رقم (2451) الصادر 20 ديسمبر 2018 - والذى تضمن:

تجديد تأكيد المجتمع الدولى على وحدة وسيادة اليمن وسلامة أراضيه.

ومن المهم فى رأيى الإشارة إلى أن هذا القرار تضمن التشديد على ضرورة التوصل إلى حل سياسى شامل للأزمة اليمنية استناداً إلى المرجعيات الثلاث المتفق عليها المتمثلة فى:

- المبادرة الخليجية وآليتها التنفيذية.
- مخرجات الحوار الوطنى الشامل.
- قرارات مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة ذات الصلة لاسيما القرار رقم 2216.

كما رحبت الحكومة الشرعية فى اليمن بالدعوة إلى الالتزام باتفاق استكهولم وفقاً للجداول الزمنية المحددة له، بما فى ذلك انسحاب الحوثيين من مدينة الحديدة وموانئ الحديدة والصليف ورأس عيسى، وتنفيذ آلية اتفاق تبادل الأسرى وما ورد فى إعلان تفاهمات مدينة تعز.

وأكدت الحكومة اليمنية فى بيان لها، «أنها ومنذ الوهلة الأولى، ووفقاً لتوجيهات الرئيس هادى، رئيس الجمهورية، قدمت الكثير من المقترحات فى مشاورات استكهولم للتخفيف من معاناة الشعب اليمنى بما فى ذلك مقترح لفتح مطار صنعاء أمام الرحلات الدولية عبر مطار عدن الدولى، ومقترح لدعم المؤسسات المالية والإدارية للحكومة، ودعم البنك المركزى اليمنى فى عدن لتمكينه من دفع مرتبات جميع موظفى الدولة وفقاً لكشوفات ديسمبر 2014. إلا أن الجانب الحوثى حال دون ذلك، وكان الأحرى قيام المجتمع الدولى بإدانة هذا التعنت من قبل الانقلابيين الحوثيين المدعومين من إيران».

كما أكدت الحكومة اليمنية التزامها بكل ما ورد فى اتفاق استكهولم، وتدعو المجتمع الدولى إلى مراقبة الخروقات التى يرتكبها الطرف الحوثى فى محاولة لعرقلة ما تم الاتفاق عليه.

وأعربت الحكومة عن استعدادها الكامل للانخراط بكل إيجابية مع جهود المبعوث الأممى، والدعوة لمواصلة المشاورات السياسية فور تنفيذ كافة بنود ما تم التوصل إليه فى استكهولم، ولا ترى الحكومة أى جدوى من عقد جولات جديدة من المشاورات إلا بعد تنفيذ انسحاب الميليشيات الحوثية من الحديدة وموانئها، وضمان عودة السلطات الحكومية الشرعية والحفاظ على التسلسل الهرمى للسلطة وفقًا للقانون اليمنى، كما ورد فى اتفاق استكهولم حول الحديدة.

تجدر الإشارة إلى أن مجلس الأمن

اليمن يتألق بفنه المعمارى المتميز

قد حدد أن النزاع فى اليمن لا يمكن حله إلا من خلال عملية سياسية شاملة، على النحو الذى تدعو إليه قرارات مجلس الأمن ذات الصلة، بما فى ذلك قراره 2216 لسنة 2015، والبيانات وكذلك مبادرة مجلس التعاون الخليجى واتفاق آلية التنفيذ ونتائج مؤتمر الحوار الوطنى الشامل.

وفى رأيى أن وجود الأمم المتحدة فى الحديدة وقبولها بالرقابة يُعد مكسباً بحد ذاته، حتى يتم تحميل المسئولية لمن يقوم باحتجاز المساعدات الإنسانية. حيث ستطلع الأمم المتحدة ومعها ممثلو الشرعية والحوثيون فى لجنة المراقبة فى الحديدة على ممارسات كافة اليمنيين.

وأعتقد أن الإشكاليات الآن ستكمن فى التنفيذ لاتفاق الحديدة بحسن نية ووفقاً لقواعد القانون الدولى المتعلقة بإبرام الاتفاقات.

وعملية استكهولم منصة مهمة لكشف دعاة السلام من دعاة الحرب أمام المجتمع اليمنى أولاً، وأمام الأمم المتحدة والمجتمع الدولى والإقليمى ثانياً.

وفى تقديرى أن اتفاق السويد يمثل أيضاً قوة إيجابية للحل السياسى فى اليمن، وجاء ضمن ترحيب دولى وإقليمى مازال متدفقاً حتى الآن، ومن ذلك البيان الجيد الصادر عن وزارة الخارجية المصرية فى هذا الشأن وترحيب الولايات المتحدة والسعودية والإمارات والأمم المتحدة وغيرهم بالاتفاق، مما يعزز العمل على تنفيذه فى أقرب وقت على الأرض. وأن الجولة الأخيرة من المفاوضات فى السويد تمثل نقلة نوعية على صعيد حل الأزمة اليمنية، وجاءت بعد القناعة بضرورة تعزيز الحل السياسى للأزمة اليمنية، ويجب أن تتحول لخطوات عملية. والمهم فى هذا الشأن فى رأيى تنفيذ خطة نشر المراقبين التابعين للأمم المتحدة فى الحديدة ذات الأهمية الإستراتيجية والعسكرية والاقتصادية والإنسانية والديموغرافية.

وفى تقديرى أن أهمية ميناء الحديدة تنبع أيضاً باعتبار أنه يعد فى رأيى آخر الموانئ الإستراتيجية فى اليمن، التى كانت فى أيدى الحوثيين بعد تحرير مينائى المخا وميدى الإستراتيجيين، وأصبحا تحت أيدى الحكومة اليمنية.

كما أن ذلك الميناء به أيضاً الممر الأول إلى كافة الجزر اليمنية ذات العمق الإستراتيجى، وأهمها: جزيرة حنيش الكبرى والصغرى وجبل صقر الذى يرتفع أكثر من 3700 قدم عن مستوى سطح البحر.

هذا ووضع ذلك الميناء الإستراتيجى تحت رعاية الأمم المتحدة إن تحقق، سيلقى بظلاله على الملاحة البحرية فى باب المندب، إلى جانب مرور المساعدات إلى اليمنيين. كما أنه يقع على مقربة من صنعاء العاصمة بحوالى 220 كيلو متراً ويعد بوابة إستراتيجية لها مع العالم الخارجى.

كما أن انسحاب قوات الحوثيين والالتزام بوقف إطلاق النار فى الحديدة دون غموض، والسماح بمرور وتوزيع المساعدات الإنسانية، ودفع المرتبات، وحل مشكلات تعز ومطار صنعاء الدولى لأهميته ورمزيته، ووقف شامل لإطلاق النار، والإعداد لجولة الاجتماعات المقبلة فى السويد، ليترجم الخطوات العملية بسرعة تنفيذاً لما تم الاتفاق عليه، وما يمكن أن أسميه باستكهولم1، والإعداد للاجتماع الثانى مستقبلاً فى استكهولم2 تحت رعاية الأمم المتحدة لوضع إطار شامل لحل الأزمة اليمنية.

ولا شك أن تنفيذ عملية استكهولم1 تتوقف على:

- وجود إرادة سياسية حقيقية للأطراف الإقليمية والدولية فى إطار حل للقضايا الإقليمية المعقدة خاصة السورية.
- كما تتوقف أيضاً على مدى توفر إرادة حقيقية لأبناء اليمن أولاً لتحقيق وحدة وسلامة اليمن.
- والأهم من ذلك مواصلة العمل السياسى بأيدى اليمنيين لتنفيذ قرار الأمم المتحدة 2216 والمبادرة الخليجية ومخرجات الحوار الوطنى.
- والأخذ بأهمية سرعة تبادل الأسرى.
- وبناء عملية الثقة الحقيقية بين الجانبين.

وتتلخص أهداف ذلك فى وضع خريطة طريق تتضمن:

- تجديد وتعميق العمل على وقف إطلاق النار.
- وضع ممرات آمنة لدخول المساعدات الإنسانية إلى اليمن.
- وضع إطار يمنى عملى وعقلانى مقبول للحل السياسى الشامل للأزمة اليمنية بما فى ذلك حل مشكلات تعز وحضرموت والجنوب فى اليمن بشكل سلمى وعادل.

النظام الدولى فى 2019 .. اضطراب أم استقرار؟

طوى عام 2018 صفحاته والنظام الدولى يعيش حالة من الاضطراب وعدم الاستقرار. حيث تصاعدت مصادر تهديد الأمن والسلم الدوليين. ما بين المصادر التقليدية ومصادر التهديد الجديدة غير التقليدية. وهو ما جعل العلاقات الدولية والنظام الدولى أكثر ضبابية.

فقد تمثلت مصادر تهديد السلم والأمن الدوليين فى:

أولاً: انتشار وتصاعد سباق التسلح بين الدول الكبرى الفاعلة فى النظام الدولى: فقد شهد العام الماضى سباقاً محموماً بين كل من الولايات المتحدة وروسيا على تطوير الأسلحة النووية التقليدية والأسلحة النووية التكتيكية وهى قنابل نووية ذكية تستهدف مدناً ومناطق بعينها. وتعد أكثر تدميراً. كما شهد هذا العام سباق تسلح فى مجال الصواريخ الباليستية المتوسطة والبعيدة المدى. وقد أطلق إعلان الرئيس الأمريكى دونالد ترامب بالانسحاب من معاهدة الحد من الصواريخ القصيرة والمتوسطة المدى. والتى تم توقيعها فى عام 1987 بين الرئيسين جورباتشوف وريجان. العنان لاشتعال سباق تسلح جديد بين القوى الكبرى فى النظام الدولى وهو ما يؤثر سلباً على الأمن والسلم العالميين. ويعيد إنتاج فترة الحرب الباردة من جديد ولكن بأشكال مختلفة أكثر خطورة. وقد جاء إعلان ترامب بالانسحاب من المعاهدة بعد اتهامات لروسيا بخرقها ونشر صواريخ إس إس 20 فى غرب روسيا بما يشكل تهديداً لأوروبا

د.أحمد سيد أحمد

خبير العلاقات الدولية فى الأهرام

ahmedsaidahmed@hotmail.com

وللقوات والقواعد الأمريكية الموجودة فيها. بينما نفت روسيا تلك الاتهامات. وأعلن وزير الخارجية الأمريكى بومبيو إعطاء روسيا مهلة شهرين لإثبات التزاماتها، وإلا فإن أمريكا ستنسحب من المعاهدة.

ويعنى الانسحاب الأمريكى من المعاهدة عدم التزام الولايات المتحدة بالحد من تلك الصواريخ وقيامها بإنتاج أعداد كبيرة منها خاصة مع رفع الميزانية العسكرية الأمريكية لما يقارب 750 مليار دولار. وفى ظل مساعى ترامب بإعادة بناء القوة العسكرية الأمريكية وفقاً لشعار أمريكا أولاً. كما أن الانسحاب سيؤدى إلى انسحاب مقابل من روسيا من المعاهدة ودخولها أيضاً فى سباق إنتاج تلك الصواريخ القادرة على حمل رؤوس نووية ونشرها على حدودها مع أوروبا مما يزيد من اضطراب الأوضاع. لكن الأخطر هو أن الانسحاب من تلك المعاهدة يأتى فى سياق سباق تسلح مشتعل على أرض الواقع بين أمريكا وروسيا خاصة فى عام 2018 والذى شهد تحولاً نوعياً باتجاه العسكرة واستعراض القوة. فالرئيس الروسى بوتين أعلن فى مارس الماضى عن قيام روسيا بإنتاج أسلحة فتاكة غير تقليدية مثل إنتاج طائرات تعمل بالوقود النووى وصواريخ شبح باليستية أسرع من الصوت لا يمكن للرادار رصدها. وبالفعل كشفت روسيا أخيراً عن سلاح جديد يعمل وفق أنظمة الليزر بيرسفت القتالية، ولديه قدرة فائقة على تدمير الأهداف فى كسور من الثانية ولا يمكن رصده أو اعتراضه. فى المقابل قامت الولايات المتحدة بإنتاج أسلحة نووية تكتيكية. صغيرة الحجم

وقادرة على استهداف مدن ومناطق بعينها. وقامت بالفعل بإنتاج ما سمته أم القنابل واستخدمتها فى أفغانستان ضد مواقع للقاعدة وداعش. كذلك لم يقتصر سباق التسلح على الأسلحة التقليدية وغير التقليدية مثل النووية. وإنما امتد أيضاً إلى الفضاء الخارجى وعسكرته عبر نشر منظومات عسكرية فى الفضاء. وقد أنشأت الإدارة الأمريكية وكالة عسكرية متخصصة للفضاء بمواجهة التحركات والتهديدات الروسية والصينية فى الفضاء.

وقد دخل سباق التسلح العديد من القوى الدولية الأخرى مثل الصين التى عرضت فى أبريل الماضى، أحدث صواريخها النووية العابرة للقارات، وهذه الصواريخ، القادرة على حمل رؤوس نووية، من طراز 26 – DF، تفوق سرعتها سرعة الصوت. وقد شهد العام 2017، زيادة فى الإنفاق العسكرى للدول الثلاث. حيث أنفقت روسيا 66 مليار دولار، فى حين بلغت نفقات الولايات المتحدة 600 مليار دولار، وصرفت الصين على نشاطها العسكرى 228 مليار دولار. وهو ما يعنى أن الميزانية العسكرية لكل من أمريكا وروسيا والصين تقارب التريليون دولار. وهو ما يتعارض تماماً مع الأزمات الاقتصادية التى تواجهها الدول الثلاث. ومن المتوقع أن يشهد عام 2019 استمرار سباق التسلح بين الدول الكبرى.

ثانياً: استمرار خطر المصادر غير التقليدية المتمثلة فى خطر الإرهاب والتنظيمات الإرهابية. فرغم اندحار تنظيم داعش الإرهابى فى سوريا والعراق خلال عام 2018 وتحرير معظم الأراضى التى كان يسيطر عليها فى البلدين. إلا أن خطر التنظيم لا يزال قائماً مع وجود العديد من الخلايا النائمة التابعة له وظاهرة الذئاب المنفردة والتى قامت بالعديد من العمليات الإرهابية والانتحارية فى العراق وسوريا والعديد من الدول العربية الأخرى مثل ليبيا والدول الأخرى مثل أفغانستان وباكستان ونيجيريا وبعض الدول الأوروبية. بل وتصاعد خطر تنظيم داعش والتنظيمات المتطرفة الأخرى فى مناطق كثيرة من العالم. خاصة أفريقيا التى تسعى التنظيمات الإرهابية إلى إيجاد حاضنة جديدة فيها وتوظيف حالة الصراعات الطائفية والقبلية فى العديد من دول القارة لبسط نفوذها. كما تستغل حالة الفقر التى يعانى منها أغلب شباب القارة الأفريقية وتدفعهم إلى الهجرة غير المشروعة. ويقوم التنظيم بتجنيدهم. وكذلك استغلال حالة السيولة والحدود الطويلة المفتوحة بين الدول الأفريقية وغياب السيطرة الأمنية الحكومية للتسلل والتمدد فى مناطق كثيرة كما فى ليبيا والعديد من دول غرب ووسط أفريقيا. وتنشط التنظيمات الإرهابية فى مجال الفضاء الإلكترونى وتجنيد أعضاء جدد.

ويشكل تصاعد الإرهاب فى مناطق عديدة فى العالم عائقاً أمام التنمية وتحقيق الأمن والاستقرار وسقوط ضحايا كثيرة للهجمات الإرهابية وزيادة تدخل الدول الكبرى فى شئون الدول الصغرى تحت مظلة ومبرر محاربة الإرهاب بينما لا تزال العديد من الدول الكبرى تقوم بتوظيف التنظيمات الإرهابية لخدمة أجنداتها ومصالحها.

ثالثاً: تصاعد الأزمات التى تهدد البشرية مثل تصاعد خطر الجوع والتصحر فى العديد من المناطق مثل أفريقيا. كذلك تصاعد خطر الأمراض العالمية ومشكلات التغير المناخى التى تصاعدت بعد الانسحاب الأمريكى من اتفاقية باريس للمناخ. وعجز فرنسا عن قيادة التوجه العالمى لحماية البيئة ومواجهة التغيرات المناخية بعد الاحتجاجات الكبيرة التى شهدتها فرنسا نتيجة لفرض الحكومة الفرنسية ضرائب على الوقود الأحفورى وهو ما دفعها للتراجع.

رابعاً: تصاعد الشعبوية فى العالم وصعود التيارات المتطرفة فى الدول الغربية مثل اليمين المتطرف الذى وصل إلى السلطة فى العديد من الدول الأوروبية. ويتخذ مواقف عدائية ضد المهاجرين وهو ما يزيد من حالة الكراهية فى العالم وتزايد الصراعات على أسس طائفية ودينية وثقافية. كذلك تزايد ظاهرة الانسحابات من الاتفاقيات العالمية مثلما فعلت الولايات المتحدة بعد انسحابها من اتفاقية التغير المناخى واليونسكو والشراكة عبر المحيط الهادى وغيرها.

خامساً: تصاعد الحرب الباردة الجديدة بين الدول الكبرى عبر التصارع فيما بينها فى مناطق الصراعات والحروب وعلى رأسها منطقة الشرق الأوسط. التى شهدت صراعاً للنفوذ والحروب بالوكالة سواء بين روسيا أو أمريكا أو دول مثل إيران التى ترعى الإرهاب وتوظف أذرعها المختلفة فى لبنان واليمن وسوريا والعراق لتنفيذ أجندتها وتهديد استقرار المنطقة. كما تسعى تركيا إلى توسيع نفوذها فى منطقة الشرق الأوسط. ومن المتوقع أن تتصاعد الحرب الباردة الجديدة فى عام 2019 فى ظل صراع النفوذ بين القوى الدولية والإقليمية وتعارض مصالحها وأجنداتها.

سادساً: استمرار الصراعات والحروب الأهلية فى العديد من دول العالم. كما هو الحال فى ليبيا واليمن وسوريا والصومال والسودان وأوكرانيا وغيرها. ورغم تراجع حدة العنف فى هذه الأزمات إلا أنها لم تنته بشكل كامل فى ظل صعوبة التوصل إلى تسويات سياسية دائمة لحل تلك المشكلات كما هو الحال فى سوريا واليمن وليبيا وأوكرانيا نظراً لتشابك أدوار القوى الخارجية مع أطراف النزاع ودعم كل طرف دولى لأحد أطراف النزاع مما أدى إلى تعقد تلك الأزمات وإطالة أمدها وتعقد التوصل إلى حلول سياسية نهائية لها. ولذلك فمن غير المتوقع أن يشهد عام 2019 تسوية دائمة لتلك النزاعات والصراعات رغم تراجع حدة العنف فيها.

سابعاً: تصاعد الحروب التجارية بين الدول الكبرى كما هو الحال بين أمريكا والصين بعد أن فرضت الولايات المتحدة رسوماً جمركية بنسبة 15.25٪ على الصلب والألومنيوم المستورد من الصين وردت عليها الصين بفرض رسوم تجارية على السلع الأمريكية. ورغم اتفاق الرئيسين الأمريكى والصينى على وقف حرب الرسوم فى قمة العشرين. إلا أن الحرب التجارية قد تتصاعد بشكل أكثر ضراوة فى ظل تباطؤ النمو الاقتصادى العالمى. وتوسع هذه الحرب لتشمل الأطراف الأخرى مثل روسيا والاتحاد الأوروبى وكندا واليابان وغيرها.

ثامناً: ضعف دور الأمم المتحدة ومجلس الأمن الدولى فى الحفاظ على السلم والأمن الدوليين فى ظل عجز مجلس الأمن عن معالجة العديد من الأزمات والحروب نتيجة لانخراط الدول الكبرى فى تلك الأزمات واستخدامها حق الفيتو. وسعت تلك الدول إلى معالجة تلك الأزمات والحروب بعيداً عن ساحة مجلس الأمن. كما فشل المجلس فى تسوية الأزمات التقليدية مثل القضية الفلسطينية. وتعانى الأمم المتحدة من أزمات مالية كبيرة وتحتاج إلى إصلاح شامل. ما زال يواجه بصعوبات وتحديات كبيرة من جانب الدول الكبرى. كما أن قواعد القانون الدولى التقليدية مثل احترام سيادة الدول وعدم التدخل فى شئونها تواجه تحديات كبيرة فى ظل انتهاك العديد من الدول الكبرى لهذه القواعد. وهو ما يجعل العلاقات الدولية أكثر اضطراباً.

ولذلك من غير المتوقع أن يتجه النظام الدولى فى عام 2019 نحو الاستقرار فى ظل استمرار تلك التحديات. وفى ظل الصراع بين القوى الكبرى على إعادة تشكيل النظام الدولى. حيث تسعى كل من روسيا والصين إلى إقامة نظام دولى متعدد الأقطاب وإنهاء القطبية الأحادية الأمريكية. بينما تسعى الولايات المتحدة إلى استمرار هيمنتها على النظام الدولى وهو ما يسفر عن الكثير من الصراعات والأزمات فى العالم سواء سباق التسلح بين الدول الكبرى أو الحروب التجارية أو صراع النفوذ فى العديد من المناطق والأزمات فى العالم. وبدلاً من أن تتكاتف الدول الكبرى فى ضبط قواعد النظام الدولى والعمل على مواجهة المشكلات العالمية وتوجيه الموارد نحو التنمية ومساعدة الدول الفقيرة ومعالجة مشكلات الجوع. نجدها تنجرف إلى سباق تسلح. جوهره الصراع على تشكيل بنية النظام الدولى الجديد. سيكون ثمنه عالماً أكثر اضطراباً وتداعياته أكثر خطورة على البشرية كلها.

آلية هامة لتطوير التعليم والبحث العلمى بمصر

فى الآونة الأخيرة اســـتطاعت بعض الدول العربية الشقيقة أن تحتل مراتب متميزة فى التصنيفات الدولية للجامعات نظرا للتطورات الكبيرة التـــى تحققت فى منظومة التعليم والبحث العلمى بها خلال العقود القليلة الماضية، ولا شـــك أن المتتبع للحراك الثقافى والعلمى الذى مرت به هذه الدول يلمس توجه حكوماتها خلال تلك الفترة إلى تعظيم دور اســـتقدام خبراء وأساتذة زائرين من جامعات عالمية مرموقة، لعلمها بأن وجودهم يثرى البحث العلمى والتعليم معاً. فقد أولت هذه الدول عناية خاصة بتوفير المجال أمام أعضاء هيئة التدريس والباحثين بجامعاتها من أجل إقامة علاقات بحثية متميزة مع علماء وأســـاتذة من جامعات عالمية مرموقة ممن لهم نشر علمى مكثف فى المجلات العلمية المصنفة .

أ. د. محمود السعيد

عميد كلية الاقتصاد والعلوم السياسية

mamahmou@feps.edu.eg

ومن وجهة نظرى الشخصية فإن من أهم وأنجح الآليات التى يمكن أن تتبعها الحكومة المصريـــة، إذا أرادت النهـــوض بمنظومة التعليم والبحـــث العلمى، تخصيص ميزانية معقولة للتعاقد مع علمـــاء لهم تميز علمى ولديهم نشـــر علمى يعتد بـــه فى المجلات العالميـــة البـــارزة. وهو أمـــر كان معتاداً ومتعارفاً عليه فيما مضى، حيث استضافت مصر الكثير من أســـاتذة العالم فى شـــتى المجالات العلمية منذ عصر محمد على باشا. فمن خلال تبنى هذه الآلية يلتقى الأســـتاذ الزائر بباحثى وأساتذة الجامعة وفق جدول زمنى محدد وبرنامج عمـــل صارم، للقيام بالأبحاث والمشـــاركة فـــى تدريس بعض المقررات والإسهام فى الندوات وسيمنارات الأقسام العلمية. وتمكن هذه الآلية الباحثين بالجامعـــات المصرية من إجـــراء الأبحاث العلمية المشـــتركة مع الأســـاتذة الزائرين ومن ثم النشـــر العلمى فى المجلات العلمية العالمية المتميزة، كما يســـتفيد الطلاب فى الجامعة المصرية مـــن التعرض لمدارس علمية متنوعة واتجاهات فكرية حديثة على نحو يصقـــل مهاراتهم ويوســـع مداركهم ويطور قدراتهـــم التفاعلية. هذا بخلاف أن أحد المعايير المهمة فى تصنيف الجامعات هو عدد الأســـاتذة الزائرين الذين تستقبلهم تلك الجامعات. وتجدر الإشـــارة هنا إلى أن استقدام أســـاتذة مرموقين لمصر يتطلب تكاليف باهظة قد لا تستطيع ميزانية الدولة تحملهـــا، ولذلك فإن هنـــاك أهمية قصوى لمســـاهمة رجال الأعمال وانخراط شركاء التنمية من الهيئات والمؤسســـات المختلفة فى تمويل برنامج الزيارات تشجيعاً للانفتاح على كل ما هو جديد مـــن أفكار واتجاهات وطرائق بحث وتدريس.

إن عديـــداً من التجارب الدولية يثبت أن الأستاذ الزائر إنما يمثل قيمة مضافة للتعليم والبحث العلمى، وذلك من خلال خلق مجالات بحثية جديدة وتشـــكيل مجموعات تهتم بها وإطلاق قـــدرات الباحثين المتميزين تمهيداً للاســـتفادة منهم فى كبريـــات الجامعات العالميـــة. ولا تقتصـــر فوائد اســـتضافة الأســـاتذة والخبراء المرموقين على مجالىّ التعليم والبحث العلمى فقط، بل تتعدى ذلك إلى مســـاهماتهم المقدرة فى جهود التنمية الاقتصاديـــة بالدول المســـتضيفة. فعلى ســـبيل المثال لا الحصر يعتبر الكثيرون أن أفكار العالم الأشـــهر فى القرن العشـــرين فى مجـــال ضبط الجودة ويليـــام إدواردز ديمنـــج William Edwards Deming كانت السبب المباشـــر فى انطلاق اليابان نحـــو التقـــدم وتحقيق طفـــرة اقتصادية غير مســـبوقة بعد الحرب العالمية الثانية. فبغرض النهوض ونفض ركام الدمار الذى لحق اليابان بعد هزيمـــة دول المحور فى 1945، لجأت الحكومة اليابانية عام 1950 إلى إستراتيجية تقوم على تشجيع الشركات الغربية وخصوصًـــا الأمريكية بهدف جذب الاستثمارات وكذلك دعوة أساتذة مرموقين للنهوض بالتعليم والاقتصاد، وقد أدت هذه الإستراتيجية إلى انتقال عدد كبير من رواد علم الإدارة الأمريكيين إلى اليابان وخصوصًا من لم يجد منهم اهتمامًا بأفكاره فى بلده أى فى الولايات المتحـــدة، ففى طوكيو صادف هؤلاء الرواد ترحيبًا كبيـــراً وكانت أفكارهم موضع تقدير عال من قبل المسئولين وطلاب العلم سواء بســـواء؛ ومن أشهر هؤلاء الرواد الذين قصدوا اليابان كان إدواردز ديمنج.

لقد وجـــد ديمنج فى اليابـــان مناخًا خصبًا لتطوير أفـــكاره واختبارها اختبارًا عمليًا تطبيقيًا ميدانيًا، فتطور مفهوم ديمنج للضبط الإحصائـــى للجودة إلى مفهوم أكثر شمولاً وهو «رقابة الجودة الشاملة» Total Quality Control؛ وهـــو مفهـــوم يركز على أهميـــة العنصر البشـــرى العامل فى خط الإنتاج أو محل الخدمة، ويشـــركه فى قرارات المؤسسة فيما يخص الجودة، وذلك كله فى مناخ من الحريـــة الفكرية واحترام الرأى المختلف. ويتمثـــل الغرض النهائى من ذلك كله فى تحســـين المنتج أو الخدمة المقدمة إلى المستهلك أو العميل عن طريق تقليل الأخطـــاء فى العمل والحد من العيوب فى الســـلعة أو الخدمـــة ومعالجة القصور فيها ما أمكن ذلـــك، أما الهدف النهائى فهو حيازة ثقة المســـتهلك، وتحقيق الربح فى إطار من التنافسية، وبالتالى تحقيق الجودة بمفهومها الشامل. ولقد حققت أفكار ديمنج، التى تجاهلها أبنـــاء وطنه، نجاحًا باهرًا فى غربته، وهى مفارقة تؤكـــد المعنى الدارج عند العرب أنه «لا كرامـــة لنبى فى وطنه». وبنجاح أفـــكار ديمنج الأمريكية فى اليابان ازدهرت الصناعة اليابانية فى وقت قياسى قصير لم يتجاوز عشـــرين عامًا من لحظة وصوله؛ حيث غزت المنتجات اليابانية العالم أجمع بجودتها الشـــاملة، غزت حتى بيوت الأمريكيين وشوارعهم وأسواقهم. وكان هذا دافعًا للإدارة الأمريكيـــة لتطلب من ديمنج العودة إلى وطنه وتطبيق أفكاره المثمرة بعد ثلاثة عقود من هجرته إلى اليابان.

«الابتكار أم الاندثار»: قراءة فى تقرير عربى مهم

صدر مؤخراً تقرير مهم بعنوان «الابتكار أم الاندثار» عن مؤسسة الفكر العربى بالعاصمة اللبنانية بيروت، وهى أحد أهم مراكز الفكر والبحث حالياً فى الوطن العربى، ويتولى مسئولية إدارتها الأستاذ الدكتور هنرى العويط، والتقرير يعتبر التقرير السنوى العاشر الذى يندرج تحت سلسلة تقارير «التنمية الثقافية العربية»، التى تصدرها المؤسسة وتتناول موضوعات حيوية، هى ثقافية فى الأساس، ولكنها فى دلالاتها وانعكاساتها وتأثيراتها تمس مختلف جوانب الحياة فى الوطن العربى الكبير وبلدانه وأقاليمه الفرعية. وقد شرفت بتلبية الدعوة للمشاركة كمتحدث فى ندوة حول التقرير نظمتها حوله مؤسسة الفكر العربى بالتعاون مع أكاديمية البحث العلمى والتكنولوجيا المصرية فى نوفمبر الماضى بأحد فنادق العاصمة المصرية القاهرة، وافتتحها السيد وزير التعليم العالى والبحث العلمى المصرى الأستاذ الدكتور خالد عبد الغفار، والسيد رئيس أكاديمية البحث العلمى والتكنولوجيا المصرية الأستاذ الدكتور محمود صقر، والمدير العام لمؤسسة الفكر العربى الأستاذ الدكتور هنرى العويط.

سفير د. وليد محمود عبد الناصر

walidabdelnasser@yahoo.com

وقد ساهم فى صياغة التقرير نخبة من الشخصيات العربية ذات الوزن والثقل والقيمة فى المجالات المرتبطة بموضوع الابتكار، الذى هو موضوع بطبيعته متشعب فى المجالات التى يتداخل معها، مثل التعليم، بمراحله المختلفة، والبحث العلمى والملكية الفكرية وتمكين المرأة والشباب والنشء والأطفال، وموضوعات الاختراع والإبداع، وغير ذلك من موضوعات متعددة ومتنوعة ذات صلة. ومن المساهمين فى إعداد التقرير على سبيل المثال لا الحصر نجد أسماءً لامعة مثل الأستاذ الدكتور محمود صقر رئيس أكاديمية البحث العلمى والتكنولوجيا بمصر والأستاذ الدكتور معتز خورشيد وزير التعليم العالى والبحث العلمى المصرى السابق والدكتورة مها بخيت مدير إدارة الملكية الفكرية والتنافسية بجامعة الدول العربية، وغيرهم من أصحاب القامات فى مجالات تخصصاتهم ذات الصلة فى وطننا العربى الكبير.

وقد أظهر التقرير والمناقشات التى جرت حوله، سواء فى ندوة القاهرة أو فى ندوات أخرى نظمت فى عواصم ومدن عربية أخرى حوله ولمناقشته، أن الوطن العربى لا يعانى من نقص فى الباحثين الجادين أو فى الدراسات ذات القيمة، التى يمكن للكثير منها أن تتحول إلى مشروعات قابلة للتنفيذ، بل على العكس فإن الوطن العربى يعانى وفراً شديداً فى هذا الميدان، والدليل على ذلك هو حجم رسائل الماجستير والدكتوراة التى أجازتها الجامعات العربية والتى تصل فى المجموع إلى عشرات الآلاف من تلك الرسائل، إلا أن الواقع المخيب للآمال، حسب ما أثبته التقرير ودعمته آراء المعلقين والمعقبين عليه، هو أن نسبة قليلة فقط من تلك الرسائل هى التى وجدت طريقها إلى حيز التطبيق وتحولت إلى مشروعات حقيقية ومنتجات ملموسة متوافرة أمام المنتج أو المصنع أو رجل الأعمال أو رجل المال أو المستهلك فى بلداننا العربية. وتكمن الإشكالية فى حقيقة مؤداها أن هناك غياباً شبه تام للعلاقة العضوية المفترضة بين عالم الجامعات ومراكز الأبحاث من جهة وبين عالم الصناعة وقطاع الأعمال من جهة أخرى. ويعود هذا الانقطاع الغالب فى جزء مهم منه إلى حقيقة أخرى غالبة على المنطقة العربية، وهى أن غالبية الجامعات ومراكز الأبحاث هى حكومية، أى تتولى الحكومات العربية فى نهاية الأمر عبء تمويلها والإنفاق عليها، بينما مثلاً فى حالة البلدان الصناعية المتقدمة فإن جل هذه الجامعات والمراكز هى ممولة من قطاع الصناعة والأعمال ذاته بشكل مباشر، بل إن جزءًا مهماً من مراكز الأبحاث هناك يمثل فى حقيقة الأمر جزءاً لا يتجزأ من الهيكل التنظيمى والتركيبة الهرمية للمؤسسات الاقتصادية المختلفة، والتى هى بدورها فى أغلبها خاصة، وبالتالى توجه سياساتها البحثية بما يلبى احتياجات هذه المؤسسات، أى احتياجات السوق، سواء كان هذا السوق محلياً أو إقليمياً أو شبه إقليمى أو عالمياً.

أما النقطة الأخرى المهمة التى أثبتها التقرير، وشكلت محوراً مهماً للمناقشات حول مضمونه، فهى الاستمرار الواضح للفجوة بين الذكور والإناث فى مختلف البلدان العربية فى مجال البحث العلمى والابتكار، فبالرغم من حقيقة أن الإناث تساووا مع الذكور فى نسب التسجيل للدراسة بالجامعات كطلاب، تقريباً فى الغالبية العظمى من البلدان العربية، بل وتفوقوا عليهم فى العديد من تلك الدول فى تلك النسب، فإن الإحصائيات تؤكد أن الفجوة لا تزال قائمة، بل إنها فجوة كبيرة ومتسعة فى العديد من الحالات، بين الذكور والإناث فى مجالات الابتكار، خاصة فى قطاع البحث العلمى من جهة وقطاعات الاختراع والإبداع من جهة أخرى. وبالتأكيد لا توجد وصفة سحرية لتجسير تلك الهوة فى وقت قصير، ولكن من الضرورى أن تتم دراسة البدائل لحل هذه المعادلة الصعبة، ربما من خلال توفير الحوافز للنساء والفتيات العرب لاستثمار تفوقهن فى الدراسات المدرسية والجامعية وترجمته إلى استمرار فى الدراسات العليا ومجالات

الابتكار أم الاندثار

البحث العلمي، على نفس النحو الذى يتبعه الرجال والشباب، أو من خلال صيغ أخرى تثبت فعاليتها وكفاءتها وقدرتها على التأثير.

كذلك تمت الإشارة فى هذا السياق إلى الندوة الإقليمية العربية المشتركة التى نظمتها المنظمة العالمية للملكية الفكرية (الويبو) بجنيف وجامعة الدول العربية فى مايو 2017 حول «تشجيع الابتكار لدى المرأة العربية»، والتى تمت أيضاً بالمشاركة مع منظمة غير حكومية كورية جنوبية متخصصة فى هذا المجال وتسعى لنقل خبرات ودروس التجربة الكورية الجنوبية فى هذا المقام إلى بلدان أخرى، وكذلك إلى تخصيص المدير العام لمنظمة «الويبو» الدكتور «فرانسيس جارى» موضوع «تشجيع دور المرأة فى الابتكار والإبداع» كموضوع لليوم العالمى للملكية الفكرية فى عام 2018، وهو يوم 26 أبريل من كل عام، وأخيراً تمت الإشارة إلى تخصيص يوم كامل ضمن فعاليات الاجتماع الدورى لمدراء مكاتب الملكية الصناعية العربية، والذى نظمته «الويبو» بالتعاون مع أكاديمية البحث العلمى والتكنولوجيا المصرية ومكتب براءات الاختراع المصرى وإدارة الملكية الفكرية والتنافسية بجامعة الدول العربية، واستضافته أكاديمية البحث العلمى والتكنولوجيا المصرية فى القاهرة فى أبريل 2018، لموضوع تعزيز قدرات الابتكار لدى المرأة العربية وتشجيع المرأة العربية المبتكرة على الاستمرار والتطوير لقدراتها الابتكارية والنظر فى كيفية المساعدة على تمكينها فى هذا المجال الحيوى والمهم.

وقد تناول التقرير فى أجزاء عديدة منه التقارير السنوية التى تصدرها المنظمة العالمية للملكية الفكرية (الويبو) بجنيف حول المؤشر العالمى للابتكار، والذى بدأ فى الصدور منذ أحد عشر عاماً، وكيف أن مكانة غالبية البلدان العربية متدنية فيه أو حتى غير موجودة كليةً بسبب نقص البيانات أو عدم إرسالها إلى «الويبو» فى التوقيت المطلوب أو عدم تحديثها على نحو كاف، والاعتبارات الموضوعية الكامنة وراء هذا الواقع وسبل تجاوزه وكيفية تحقيق ذلك، وتطرق التقرير إلى المؤشرات التى تكون المؤشر العالمى للابتكار وكيف أن بعضها يرتبط بمؤشرات أساسية منها على سبيل المثال نسبة الطلاب للمدرسين، وطرح التقرير فكرة أن تتبنى كل دولة عربية هذه المؤشرات الفرعية على الصعيد الوطنى بما يساعدها بصفة مستمرة على إجراء قياسات وطنية أو حتى فيما بين الوحدات المحلية المتعددة المكونة للدولة الواحدة، فيما يتعلق بالتقدم الجارى فى تلبية هذه المؤشرات الفرعية، وهو الأمر الذى من جهة يخدم مصالح وطنية بحتة، ومن جهة أخرى يساهم فى تحسين مكانة الدولة فى المؤشر العالمى للابتكار بشكل سنوى ومتواصل.

وتمت فى هذا السياق الإشارة إلى بعثات الخبراء الفنيين التى ترسلها المنظمة العالمية للملكية الفكرية إلى العديد من البلدان النامية، بما فيها بلدان عربية، بغرض تعريف المسئولين وصناع القرار فى مختلف الجهات الحكومية وغير الحكومية ذات الصلة فى هذه البلدان بكيفية احتساب المنظمة للمؤشرات الفرعية التى تكون مجتمعة المؤشر العالمى للابتكار، بما يساعد كل دولة على البدء باتخاذ الخطوات التى من شأنها تحسين الوضع النسبى للدولة ضمن هذا المؤشر المهم، الذى باتت الكثير من مؤسسات التمويل والاستثمار الدولية والخاصة تأخذه فى الاعتبار بشكل متزايد عند اتخاذ قرارات الاستثمار فى أو نقل التكنولوجيا إلى هذا البلد أو ذاك.

وفى خضم النقاش الجاد والمثمر حول التقرير، تم أيضاً تناول موضوع الحاجة من جانب كافة البلدان العربية إلى تنظيم معارض ومسابقات للابتكار والاختراع بشكل دورى ومنتظم، وبما لا يقتصر فقط على العواصم، أو حتى المدن الكبرى، بل يمتد أيضاً إلى كل مكان داخل

حدود الدولة به تجمعات مهمة ومؤثرة للشباب والنشء، وتقديم جوائز لأفضل الابتكارات والاختراعات المقدمة فى سياق تلك المعارض والمسابقات حسب لجان تحكيم لها مصداقيتها. وفى هذا السياق، تمت الإشادة بدول أصبح لها باع طويل فى هذا المجال، بالإضافة إلى دول أخرى بدأت فى تنظيم تلك المعارض خلال السنوات القليلة الماضية، ودول استأنفت تنظيم تلك المعارض فى الأعوام الأخيرة. فقد مثلت هذه المعارض فرصاً ووفرت محافلاً للتلاقى والتحاور والتفاعل فيما بين المبتكرين والمخترعين والمؤسسات الراعية لهم من جهة وما بين المؤسسات والأفراد المندرجين تحت قطاعات الأعمال والصناعة من جهة أخرى، بما يساهم، ولو بدرجات متفاوتة ف تجسير الهوة بين الطرفين وف تعريف كل طرف بالآخر وما يملكه، وذلك بدون تحميل أى من الطرفين عبء تكلفة مادية كبيرة لا تطاق. كذلك فإن تقديم الجوائز المادية والعينية للمتميزين من بين صفوف المبتكرين والمخترعين، خاصة من الشباب والنشء، قد أثبت أنه وسيلة فعالة وناجعة تقدم الحافز لهؤلاء وأقرانهم من بين نفس فئاتهم العمرية على مواصلة الإبداع والتألق فى الاختراع والابتكار والتميز لما لذلك من تقدير مادى ومعنوى يلاقونه.

ولا شك أن تقريراً بهذه الأهمية مثل تقرير «الابتكار أم الاندثار» الصادر عن مركز فكر وبحث عربى بحجم وأهمية مؤسسة الفكر العربى ببيروت لم يكن ليتناول موضوع الابتكار بدون تناول العلاقة العضوية، والإيجابية، بين الابتكار من جهة وحماية حقوق الملكية الفكرية من جهة أخرى. فما من شك فى أن بناء وعى عام بحقوق الملكية الفكرية وصولاً إلى إيجاد ثقافة للملكية الفكرية فى البلدان العربية، وإصدار القوانين المحدثة والشاملة المتضمنة لأحكام تضمن احترام حقوق الملكية الفكرية، وإيجاد الوسائل والسبل اللازمة لإنفاذ تلك الأحكام، وكذلك تشييد البنية المؤسسية اللازمة لقيام هيئات وسلطات وطنية قائمة على أمور الملكية الفكرية فى كل دولة تملك كل منها الخبرات والمعارف اللازمة، كل ذلك من شأنه أن يشكل ضمانة حقيقية لأن تصبح حماية حقوق الملكية الفكرية بفعالية وكفاءة حافزاً مشجعاً للمبتكرين والمبدعين والمخترعين بأن إنتاجهم الذهنى وجهدهم ووقتهم المستثمر فى ذلك لم يضع هباء، بل هو مصون تماماً، وهناك جهات وطنية تسهر على تطبيق الأحكام واللوائح المنصوص عليها فى كل دولة فى هذا الصدد، وتقوم بردع من تسول له نفسه الاجتراء على هذه الحقوق أو خرقها أو التعدى عليها ومحاولة سلبها من أصحابها الشرعيين.

كما تطرق التقرير والمناقشات التى دارت حوله إلى مسألة أهمية تبنى البلدان العربية لإستراتيجيات أو سياسات وطنية متكاملة فى مجال الابتكار، حيث إن هذه الإستراتيجيات أو السياسات تعكس وجود إرادة حقيقية على المضى فى طريق تشجيع الابتكار وتبنى نتائجه بشكل مدروس وممنهج وموضوعى، كما أنها أيضاً تعتبر شاهداً على وجود رؤية شاملة للابتكار تضعه فى المكان الصحيح والمتقدم الذى يستحقه باعتباره قاطرة مهمة لجهود التنمية الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والتكنولوجية، ووسيلة لخدمة الأولويات التنموية حسب ما تقرره خطط وتصورات التقدم فى كل دولة عربية. وفى هذا السياق تبرز حالات دول سعت فى الماضى، أو لاتزال تسعى فى الحاضر، وقد تسعى فى المستقبل القريب أو البعيد، لبلورة إستراتيجيات وطنية فى مجال الابتكار، وذلك بالتعاون مع المنظمات الدولية ذات الصلة مثل المنظمة العالمية للملكية الفكرية ومؤتمر الأمم المتحدة للتجارة والتنمية (الأنكتاد) وغيرهما، وهى منظمات تقدم خبراتها ومشورتها الفنية وتعليقاتها القانونية فى هذا المجال، ولكن تبقى تلك الإستراتيجيات والسياسات فى البدء وفى الختام ملكية وطنية خالصة للدولة المعنية، تأتى المبادرة ببلورتها منها وينتهى الأمر بتبنيها لها بما يلبى احتياجاتها الوطنية وأولوياتها التنموية وتصورات رؤاها المستقبلية.

وهكذا نرى مما عرضنا له من مجرد بعض الموضوعات المختارة فى تقرير «الابتكار أم الاندثار» لمؤسسة الفكر العربى فى بيروت، وكذلك ما تناولته المناقشات حول التقرير، الأهمية البالغة والعاجلة لهذا الموضوع الحيوى والنابض لكل مجتمع عربى، بل لا نبالغ إذا قلنا ولكل مواطن عربى، والوضعية الراهنة للابتكار فى وطننا العربى، وهى وضعية مازال أمامها الكثير والكثير لتحقيقه لكى ينتقل الوطن العربى إلى مصاف الدول المتقدمة فى مجال الابتكار وسياساته وإستراتيجياته ونتائجه، من خلال تخطى الصعوبات والعوائق وأوجه القصور القائمة وحسن توظيف الفرص المتاحة لبلوغ المراد، الذى هو مجرد وسيلة وأداة لخدمة الجهد الأعم الخاص بتحقيق التنمية والتقدم والرفاه للشعوب العربية كافة عبر التوظيف الأمثل لكافة الموارد والثروات والأرصدة المتاحة بشرياً ومادياً ومؤسسياً، وتشريعياً وتنفيذياً وقضائياً، وصولاً إلى المكانة التى تستحقها الأمة العربية فى مصاف الأمم الكبرى التى صنعت التاريخ والحضارة الإنسانية على مدار قرون مضت فى الأزمنة الخوالى، ويمكنها أن تساهم فى ذلك فى المستقبل أيضاً.

كيف وظفت الصين الشبكات الاجتماعية فى خدمة التنمية؟

تعد الصين من الدول التى استطاعت أن تقود عملية التنمية التكنولوجية باعتبارها السبيل الوحيد لدعم المكانة الوطنية والدولية، وكان هناك اهتمام مبكر لدى القيادة الصينية بالاقتصاد الرقمى، ودوره فى خدمة التنمية المستدامة إلى جانب أبعاده الإستراتيجية لخدمة الأمن القومى الصينى، ولتحقيق ذلك اتبعت الصين عدداً من السياسات والتطبيقات، والتى من شأنها تعزيز القدرة على تقوية المناعة الوطنية أولاً، وكأساس للتعاطى مع العولمة ثانياً، وبخاصة فى التعامل مع الإنترنت كأحد مؤسساتها، ونجحت الصين فى التقدم فى مجال الصناعات الإلكترونية إلى جانب التطبيقات، مثل إطلاق علاماتها التجارية فى مجال صناعة الهواتف الذكية، أو تدشين محرك البحث عبر الإنترنت، إلى جانب تطبيقات التجارة الإلكترونية.

د. عادل عبد الصادق

مدير مشروع المركز العربى لأبحاث الفضاء الإلكترونى

adelsadek@hotmail.com

وحظيت تطبيقات الشبكات الاجتماعية على اهتمام خاص من قبل الحكومة الصينية فى بلد يتميز بالبيانات الضخمة والرقابة الصارمة والسوق الضخم والنظام التسلطى الذى يسيطر فيه الحزب الشيوعى على مؤسسات الدولة والمجتمع، وهو ما أثار العديد من التساؤلات حول مدى قدرة الصين على التقدم التكنولوجى فى ظل تلك البيئة الاستبدادية؟ وكيف تم توظيف ذلك فى تعبئة الموارد لتحقيق الأهداف القومية؟ وكيف تم توظيف خصائص ومقدرات البيئة المحلية فى خلق نموذج عالمى؟ وما هى أهمية الشبكات الاجتماعية للصين ولماذا تحظى باهتمام صينى فى وجودها المحلى؟ وفى نفس الوقت تزيد معها قدرة الحكومة الصينية على السيطرة عليها؟ وما هى الدوافع لشعبية الشبكات الاجتماعية وما يميزها عن غيرها؟ وما هى أبعاد ذلك الاقتصادية والأمنية وانعكاسها على المجتمع والدولة فى الصين؟ وهل حققت الصين بديلاً وطنياً للشبكات الاجتماعية فى مواجهة المنافسة العالمية؟ وما هى الدروس المستفادة من التجربة الصينية فى تقدمها فى مجال الشبكات الاجتماعية؟

رؤية استراتيجية للتعامل مع الانترنت

نشأ أول اتصال فى الصين مع الإنترنت فى 20سبتمبر 1987 بين «أى سى إيه «بكين وجامعة «كارلسروه «فى ألمانيا، وبذلك فقد دخل الإنترنت إلى الصين منذ ما يقارب 28 عاماً، وكانت أول رسالة إلكترونية ترسلها إلى العالم «من وراء سور الصين العظيم، يمكننا الوصول إلى أى ركن فى العالم»، وربما كشفت تلك الرسالة عن الإستراتيجية الصينية على المدى القصير والطويل، والتى تمكنت فى غضون بضعة عقود من الوصول بالفعل إلى العالم ليس كمستهلك بل كمنتج ومساهم فى التطور العلمى والتكنولوجى، وتبنت الصين الإنترنت فى عام 1989. فى 20 أبريل 1994، تم تدشين أول خط اتصال بالإنترنت يربط الصين بالعالم بجهود أكاديمية العلوم الصينية وبالتعاون مع جامعة ستانفورد فى الولايات المتحدة.

وشهدت الصين خلال تلك الفترة طفرات هائلة فى الانتشار والاستخدام للإنترنت حتى أصبحت تستضيف أكبر قاعدة لمستخدمى الإنترنت فى العالم، إلى جانب ظهور الإنترنت فى الصين كظاهرة جديدة كما هو الحال فى الغرب حيث التمايز الدينى والأيديولوجى والثقافى والسياسى.

ويتحرك الموقف الصينى من الإنترنت وفق سبعة خطوط حمراء، لا يجوز المساس بها أو تعريضها للخطر على الإنترنت هى: قيم الحفاظ على القانون، والاشتراكية، والنظام السياسى، ومصلحة الدولة، وحقوق الآخرين، والأنظمة الاجتماعية والأخلاق، وصحة المعلومات.

ومرت طريقة التعامل تلك بثلاث مراحل أساسية لعل أهمها، اتخاذ الصين موقفاً متحفظاً من حالة الانفتاح العالمى، ثم فى مرحلة تالية اتجهت إلى التعامل مع المتغيرات الدولية، ثم انتقالها إلى مرحلة الفاعل الدولى، وهو ما يعد نموذجاً لبناء تجربة وطنية للتعامل مع المتغيرات العالمية المتصلة بالعلم والتكنولوجيا بشكل عام، وبناء رؤية مضادة أو بديلة للمنظور الغربى، حيث إنها لم تربط تمددها التكنولوجى بأية تدخلات سياسية أو مساع ظاهرة للهيمنة، بل احتفظت بكونها شريكاً تجارياً نشطاً للعديد من دول العالم، واعتبرت نفسها طوال الوقت دولة نامية، وأصبحت شريكاً لكبرى الماركات العالمية فى مجال التكنولوجيا، ونجحت الصين فى جذبها فى البداية إلى سوقها الذى يتسم بالضخامة، وبالتمتع بمزايا العمالة الرخيصة وبتشجيع لافت من الحكومة الصينية، ثم استطاعت فى مرحلة لاحقة من إطلاق «علاماتها» التجارية فى مجال الصناعات والتطبيقات التكنولوجية.

وعلى الرغم من حجب مواقع للإنترنت من قبل الحكومة الصينية، ومن تصنيفها فى موقع متقدم فى عداء حرية الإنترنت، استطاعت الصين أن توظف ذلك فى بناء تطبيقات وطنية بديلة لتلك التى تمتلكها الشركات الغربية، وبخاصة فى مجال

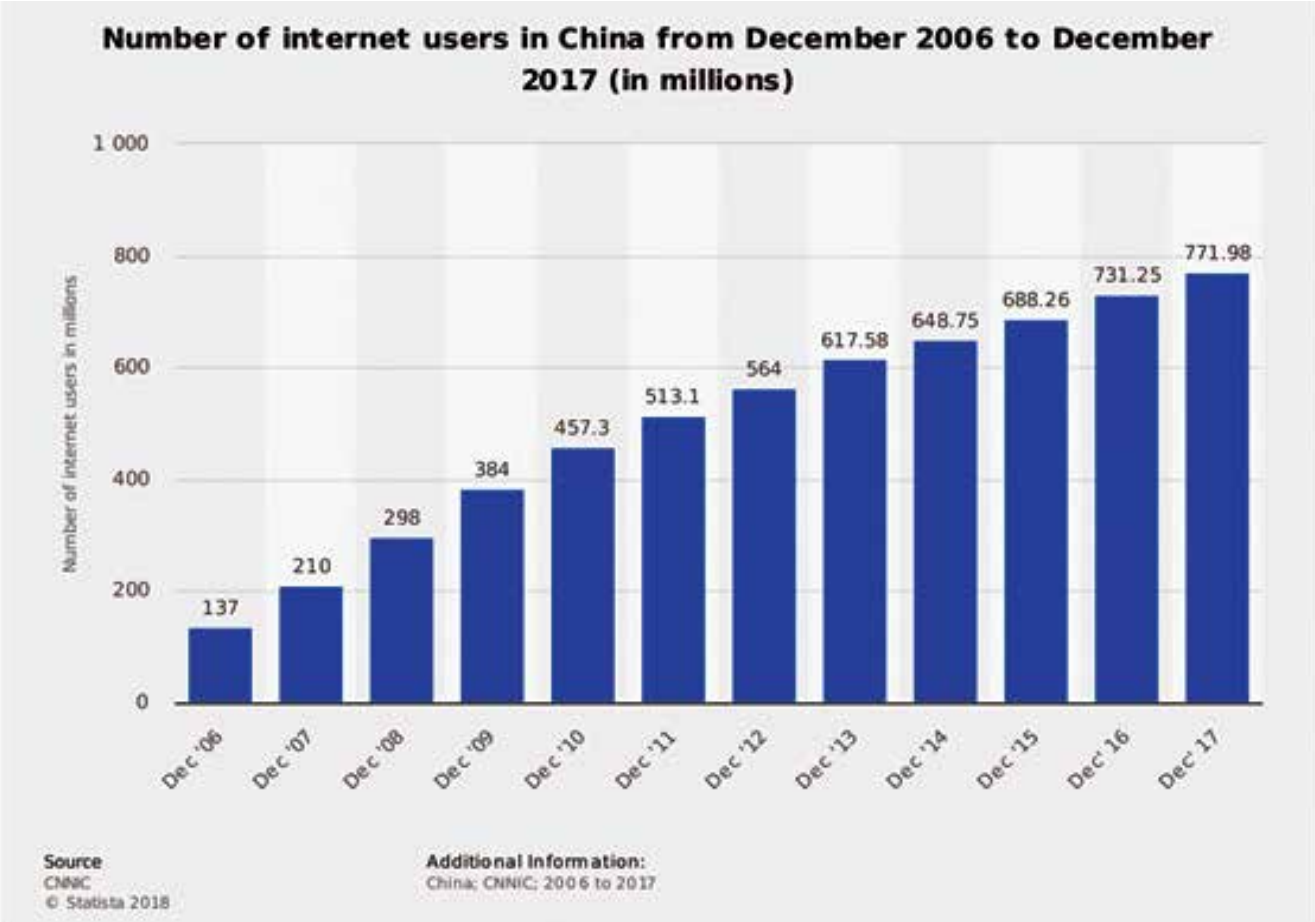

بناء شـــبكة إنترنت محلية وبناء جدار نار خاص للحماية وتدشين محركات للبحث ومنصات للتجارة الإلكترونية والشـــبكات الاجتماعية، وحظيت الأخيرة باهتمام بالغ من قبل الحكومة الصينية إما لأسباب ترجع لتخوفها من تأثيرات الشبكات الاجتماعية الغربية على اســـتقرارها من جهة، وإلى التأثير الاقتصادى الســـلبى المحتمل على الداخل الصينى من جهة أخرى.

ولا تمـــارس الرقابة علـــى الإنترنت من قبل الحكومة الصينيـــة بمفردها بل يتعاون معها شـــركات الإنترنت الخاصة وبعض المؤسسات الأهلية، وترى الصين أن الهجوم الغربى على سياســـتها تجاه الإنترنت مبعثـــه الخوف مـــن الصعود الصينـــى واســـتخدام الإنترنـــت كورقة ضغط عليهـــا، إلا أن تلك الضغوط خفت فى الفترة الأخيرة مع ســـعى الصين لأن تكون لاعباً فى صياغة السياسات الدولية المتعلقة بالإنترنـــت، ومطالبتها بتدويل إدارة الإنترنت، وحشد المجتمع الدولى فى فعاليات صينية متعلقة، ومن جهة أخرى أقدمت الدول الغربية والمصنفة ديمقراطياً على تعزيز رقابتها علـــى الإنترنت، وهو الأمر الذى كان محل نقـــد للصين، والتى كانت رائدة فى مجال الحجب للمواقع التى تبث الشائعات أو دعاوى إسقاط الدولة أو الطائفية أو المـــواد الإباحية، وهناك تفهم واضح من الشـــعب الصينى وبخاصة مع نجاح الخطاب الصينى المرتكز على أهمية الحفاظ على الطاقات البشرية التى تنعم بهـــا الصين من أخطـــار الإنترنت ناهيك عن تأثيـــر ذلك على قيـــم العمل والوقت والجماعة، وهـــى قيم صينية أصيلة تعمل على تعزيز الاستفادة من الإنترنت.

ملامح الصعود الصينى فى التواصل الاجتماعي

أدركـــت الصيـــن أهميـــة العلـــم والتكنولوجيـــا فى ممارســـة الهيمنة فى الســـاحة الدولية ومن ثمّ لجأت إلى العمل على تعزيز قدراتهـــا الذاتية فى مواجهة الهيمنة الغربية، والتـــى حملت مضامين ثقافية وسياســـية واقتصاديـــة، والتى ترســـخت بتطبيقات العولمة، والتى رأت فيها الصين وسائل للاســـتعمار الجديد، وعلى هـــذا الأثر بدأت فـــى تحويل ذلك التحدى إلى اســـتجابة تقودها الدولة، من خلال تبنى سبل الحفاظ على الخصوصية الصينية.

ونجحت فى تحقيق إستراتيجيتها بأن باتت تتبوأ مركزاً عالمياً فى مجال الصادرات التكنولوجية، وفـــى مجال التطبيقات إلى جانب حجم الانتشـــار والنفاذ للإنترنت، وحظيـــت بالمركـــز الأول عالمياً فى عدد مستخدمى خدمة الإنترنت عام 2017، فى ســـنة واحدة ارتفع عدد المستخدمين إلى 41 مليوناً، وزاد الاستخدام بنسبة 5.6٪، ووصل عدد المستخدمين إلى 772 مليوناً، وهو ما يمثل ما نسبته 55.8٪ من مجموع الســـكان البالغ عددهم 1.4 مليار نسمة، وهناك 753 مليون صينى يســـتخدمون الإنترنت من خلال المحمول وهو ما يمثل 97.5٪ من عدد المستخدمين.

وهو ما كان له انعكاس كبير فى نمو التجـــارة الإلكترونية، بلغ عدد المتعاملين معها 14.3٪ عـــام 2017، وارتفع ليصل 533 مليونـــاً من بينهـــم 68٪ يقومون بإجراء العمليات عبـــر هواتفهم الذكية. ويأتى إلى جانب ذلك الاهتمام الذى توليه الحكومـــة الصينية بدعـــم البنية التحتية وإطلاق خطة «إنترنت بلاس» التى تهدف إلى تعزيز نمو الاقتصاد الرقمى وتشجيع الشركات الناشئة والإبداع والابتكار.

وترتكـــز الرؤية الصينيـــة على دعم الاستقلالية من خلال تشجيع التطبيقات الوطنية بالرغم من المشكلات التى واجهتها فى البداية، فاحتلت الصين مركزاً متقدماً فى مجال التجـــارة الإلكترونية من خلال

كيف وظفت الصين الشبكات الاجتماعية فى خدمة التنمية؟

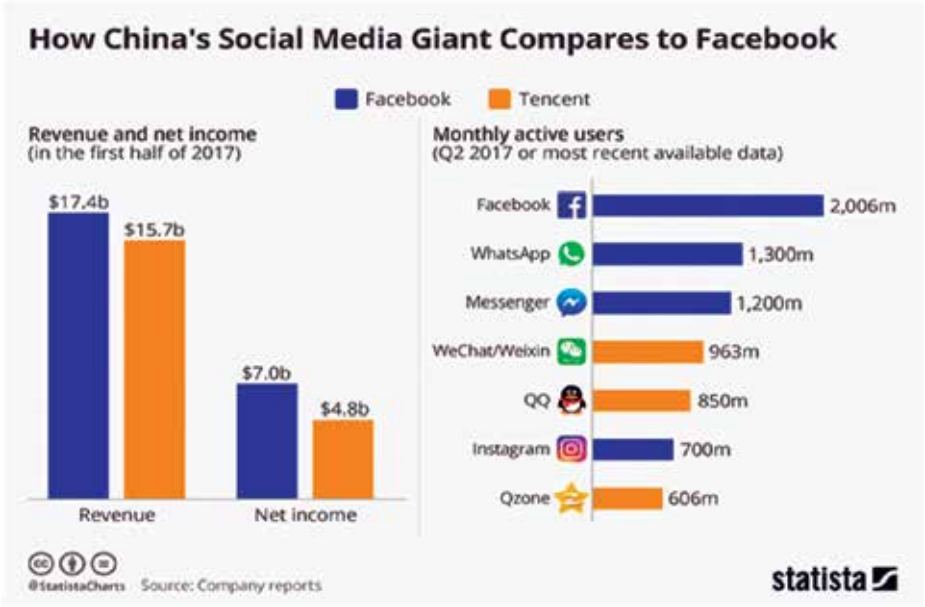

موقع «على بابـــا»، واحتل محرك البحث الصينى «بايدو» Baidu مركزاً مســـتقلاً عن محركات البحـــث العالمية، ولم تفلح الضغوط الغربية على الصين بالســـماح لشركة «جوجل» للعمل فى الصين بحجة حرية التجارة وبمســـتقبل العلاقات بين أمريكا والصين.

وهنـــاك موقـــع «تاو تـــاو» للدفع الإلكترونـــى وهو المقابـــل لمنصة «أى باى»، وهناك أيضاً «إيكاشا» و«إيكسون» ويقومـــان مقام موقع «فليكـــر» لتبادل الصـــور، ويقابـــل موقـــع «ويكيبيديا» الموســـوعى نظيـــر آخـــر صينـــى هو «هودونج»، وتوجد منصـــة يوكو وتودو فى مقابل اليوتيوب، وتســـتخدم منصات الفيديو عبر الإنترنت فى الصين بشـــكل مختلـــف تمامًا عـــن كيفية اســـتخدام الأمريكيين لموقـــع YouTube. فبدلاً من مقاطع الفيديو القصيرة الخاصة التى قد تحظى بشـــعبية بين مراقبى YouTube، تمتلئ Youku وTudou بمحتوى أطول، ويتم إنتاج ما يصل إلى 70٪ منها بشكل احترافى. يقضى المستخدمون فى الصين ما يصل إلى ساعة يوميًا فى الموقع، مقارنةً بأقل من 15 دقيقة قضاها الأمريكيون على YouTube.

وتوجد منصة «كايشين» و«تيسينت»، و«ســـينا» و«ويبو» فى مقابـــل تويتر، حيث يتم نشـــر تغريدات من 140 حرفاً إلا أنه يتميز بنشـــر الفيديوهات والصور والتعليقات يُترجم 114 حرفًا فى الصينية إلـــى 434 حرفًا باللغـــة الإنجليزية، إلى مـــا يتجاوز حد النص «تغريـــدة» باللغة الإنجليزية. هذه الكفـــاءة اللغوية تحول المدونات الصغيرة فى الصين إلى منصة تشـــبه المدونة. وعلى الرغم من انتشـــار الفيســـبوك فى الدول الغربية كشـــبكة اجتماعية إلا أنه توجد شـــبكات عدة فى الصين بما يعمل على تقسيم المستخدمين بينها.

إلا أنـــه تهيمن شـــركة «تنســـنت» Tencent على الشبكات الاجتماعية والتى يعتقد أنها مجرد واجهة للحكومة الصينية، وذلك عبر موقعها «كوزون» Qzone، والذى يضم قرابة 606 ملايين حســـاب نشط، وهو الأكثر شـــهرة بين الناطقين باللغة الصينيّة. إلى جانب «ويتشات» WeChat، والتى تضم 963 مليون مستخدم شهرى نشط. ويقضى أكثر من ثلث المستخدمين ما يزيد عن أربع ســـاعات فى اليوم على الخدمة. مقارنة بمتوسط الوقت المستغرق فى Facebook، وهو 22 دقيقة فى اليوم. فإن شـــبكة QQ لايزال لديها حوالى 850 مليون مســـتخدم نشط شـــهريًا، وقد تم تســـجيل أكثر من 266 مليون مستخدم باستخدام QQ فى وقت واحد.

وارتفعت أســـعار أســـهم «تنسنت» وهى أول شـــركة آسيوية تنضم إلى نادى الشـــركات التى يتم تداول أسهمها بشكل عام وتقدر قيمتهـــا بأكثر من 500 مليار دولار. وفـــى هـــذه العملية، تـــم إقصاء الفيسبوك من أكبر خمس شركات عالمية من حيث القيمة الســـوقية. وبلغ صافى الأرباح عام 2017 ما يقترب من 7 مليارات دولار، مقابل صافى دخل الفيسبوك بـ4 مليارات دولار فـــى النصف الأول من عام 2017.

دوافع شعبية الشبكات الاجتماعيةفى الصين

بلغ عدد الحسابات على الـــشبكات الاجتماعيـــة 596 مليون مســـتخدم فى عام 2017 وبما يزيـــد على 520 مليون حساب نشـــط، والمتوقع أن تصل نهاية عام 2018 إلى 616 مليون مســـتخدم، ومتوقع أن تصل إلى 725 مليون مستخدم عام 2025، ويصل معدل الانتشار الحالى ما يزيد عـــن 40٪، بما يقترب من المعدل العالمـــى وهو 38٪. وتتميز الشـــبكات الاجتماعية فى الصين بأنها تحوى نســـبة كبيرة جداً من الحســـابات النشطة، وهو برهان على مواجهة الحســـابات المزيفة، واستخدام الأسماء الحقيقية فى التسجيل، وهى بذلك تختلف عن الشبكات الاجتماعية الأخرى مثل الفيس بـــوك، والذى يحوى الآلاف من الحسابات الخاملة، وإلى جانب المزيفة أو المكررة، وهو ما ينعكس على حجـــم التفاعل وإنتـــاج المحتوى، وعدد المستخدمين الفعلى بما يكون له انعكاس على الفاعلية والتأثير.

وتتيح الشـــبكات الاجتماعية المحلية للحكومة الصينية القـــدرة على مواجهة قدرة تلك الشـــبكات فى تعزيز مشاركة المواطنيـــن فى المجال العام، واتســـاع نطاق المشـــاركين وتزايد عـــدد القضايا المثارة، والذين توفر لهم منصات الشبكات الاجتماعية القدرة على التعبئة والحشـــد والانتشـــار، ويتيح ذلك مـــن جهة أخرى القدرة على التنبؤ واتخـــاذ القرار اللازم من قبل الســـلطات الرسمية كحالة احتواء الاحتجاجات فى عام 2014.

وتعزز الشبكات الاجتماعية من فرص التحرك فى مجال مكافحة الفساد، وخلق وظائف جديدة من خلال بناء رأس المال الاجتماعـــى من خلال العلاقة المباشـــرة بين الشـــركات والعمـــال «المحتملين»، ووجود وظائف جديدة ترتكز على مهارات الاقتصاد الرقمى، وهـــو الأمر الذى يفيد خطط التنمية من قبل الحكومة الصينية، ودمج الشـــباب فى سوق العمل، وتحقيق

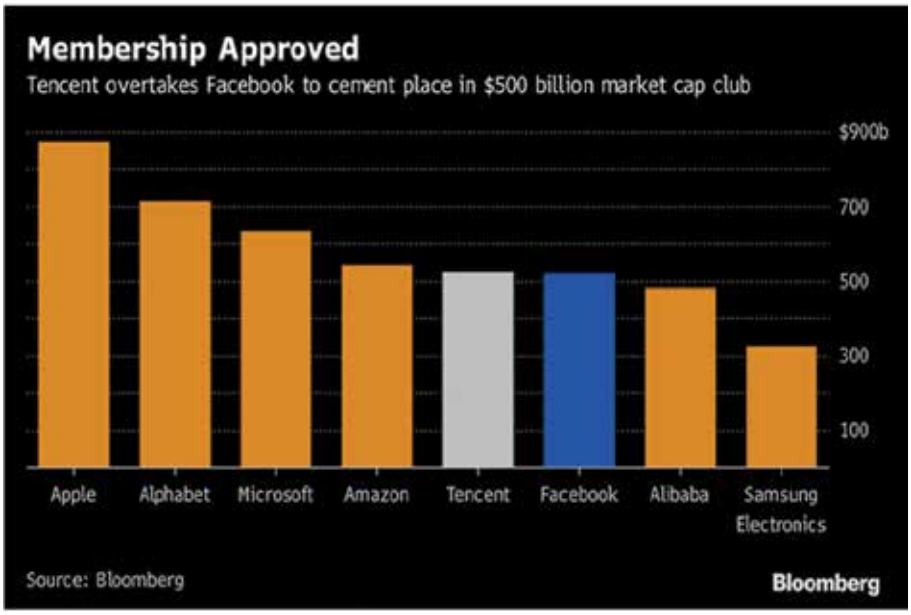

أهداف التنمية المستدامة للأمم المتحدة 2030.

وهناك العديد من الدوافع وراء شعبية الشبكات الاجتماعية فى الصين، واهتمام الحكومة المتصاعد بها من جهة أخرى:

أولاً: يساهم محتوى الشبكات الاجتماعية فى تعزيز الوعى والمعرفة لدى المواطنين بما تشمله من معلومات، بما يعمل على تقييد قدرة الحكومة على تعزيز رقابتها.

ثانياً: أن استخدام تلك الشبكات لا يحمل فرص توجيه اتهامات بالعمالة أو بالتدخل الخارجى فى الشئون الداخلية نتيجة الطابع الصينى لها سواء فى اللغة المستخدمة أو فى حجم المستخدمين الضخم بما يزيد على نصف الشعب الصينى أو فى الطابع المحلى لإنتاج تلك التطبيقات.

ثالثاً: خضوع تلك الشبكات المحلية للرقابة الحكومية الصارمة بما عمل على توجيه نمط الاستخدام وترشيده وتوجيه طاقات الشباب إلى العمل وتعظيم الفائدة من الاستخدام.

رابعاً: قيام الحكومة الصينية بحجب الشبكات الاجتماعية الخارجية لاعتبارات تتعلق بأمنها القومى، إلى جانب تأثير علاقاتها الخارجية مع الغرب على نمط تعاملها مع الشركات الغربية.

خامساً: تزايد شعبية الشبكات الاجتماعية جاء نتيجة الهجرة من الريف إلى الحضر التى تعزل الأسر عن ذويهم، وبخاصة فى المناطق الاقتصادية البعيدة.

سادساً: أدى تبنى الصين سياسة «الطفل الواحد» إلى انعكاس ذلك فى العزلة والشعور بالوحدة لدى هذا الجيل بما يجعل هناك رغبة فى التعارف وبناء العلاقات الاجتماعية.

سابعاً: عدم الثقة فى المعلومات من وسائل الإعلام التى تسيطر عليها الحكومة جعل هناك حوافز للجوء إلى الإعلام البديل كمصدر للمعلومات.

ثامناً: نمط الاستخدام والاستهلاك حيث أن مستخدمى الإنترنت فى الصين متواجدون عبر الإنترنت بمعدل 2.7 ساعة فى اليوم، أى أكثر بكثير من البلدان النامية الأخرى وبالتقارب مع أنماط الاستخدام فى اليابان والولايات المتحدة.

تاسعاً: ضخامة عدد سكان الصين والذى وصل إلى 1.4 مليار، يعيش قرابة 65٪ منهم فى مناطق حضريّة، وهو ما يكون له دور فى جذب السوق الصينى للاستثمار المحلى فى مجال الشبكات الاجتماعية، وهو سوق تتكالب عليه كبرى الشركات العالمية.

أخيراً، أدت عملية فرض الشروط للتسجيل ناهيك عن الرقابة ضد الانتهاكات من قبل الحكومة إلى تعزيز الثقة فى الاستخدام، وزيادة الحسابات النشطة وهو ما يكون له تأثيرات إيجابية.

انماط الاستخدام وتنظيم الشبكات الاجتماعية

يشير نمط الاستخدام فى آسيا للشبكات الاجتماعية إلى أن المستخدمين يكون لديهم عدد متقارب من الأصدقاء ما بين الشبكات الاجتماعية ومن خارجها، بينما يشير نمط الاستخدام الصينى إلى أن المستخدمين للشبكات الاجتماعية يكون لديهم أصدقاء يفوق ما لديهم فى الواقع. وهو ما يكشف عن مدى اندماج تلك الشبكات الاجتماعية فى حياة الصينيين.

وتختلف أنماط الاستخدام لمنصات التواصل الاجتماعى فى الصين، عن مثيلاتها فى الدول الأخرى، وهذا ليس مبعثه حالة الرقابة من قبل الحكومة كما هو الحال فى بعض دول آسيا، بل يرجع بالدرجة الأولى إلى التنوع فى اللغة والثقافة ومستويات التنمية الاقتصادية وحالة التطور فى البنية التحتية، وهذا التوجه نحو التطبيقات المحلية موجود كذلك فى اليابان وكوريا الجنوبية.

بالنسبة للشركات العاملة فى الصين، فإن ظهور الشبكات الاجتماعية يفتح فرصًا للتواصل مع المستهلكين، وفى بعض الأحيان تجنب المشاكل، ومن ثمّ فإن تجاهل الشبكات الاجتماعية قد يؤدى إلى أزمة بين المستهلكين والشركات المنتجة. حيث تستخدم الأخيرة الشبكات الاجتماعية لإجراء أبحاث التسويق ومعرفة أذواق المستهلكين، وتغيير تفضيلات العلامة التجارية، والإعلان عن المنتجات، ومتابعة المحادثات والتعليقات عنها عبر الشبكات الاجتماعية، والتى أصبحت تلعب دوراً تجارياً ووسيطاً بين المنتج والمستهلك.

وترى الحكومة الصينية أن الشبكات الاجتماعية ليست فقط منصة غير جذابة لتنظيم حركات الاحتجاج الاجتماعى مع حالة الرقابة، ولكنها أيضاً مفيدة كوسيلة لمراقبة الموظفين وقياس المشاعر العامة ومنصة لنشر الدعاية من قبل الحكومة، بينما يرى المواطنون، أن قياس أية فوائد مبتغاة من الشبكات الاجتماعية أمر يتوقف على السياق العام لفرض التشريعات الجنائية، والممارسات الأمنية للرقابة عليها.

يستفيد النظام ومستخدمو الشبكات الاجتماعية من محاربة الفساد المحلى وإساءة استخدام السلطة من قبل القادة المحليين. وتلعب دوراً إيجابياً فى الشئون العامة على المستوى المحلى، مما يحسن من فرص وصول الجمهور إلى المعلومات، والمشاركة فى النقاش العام، وقدرتها

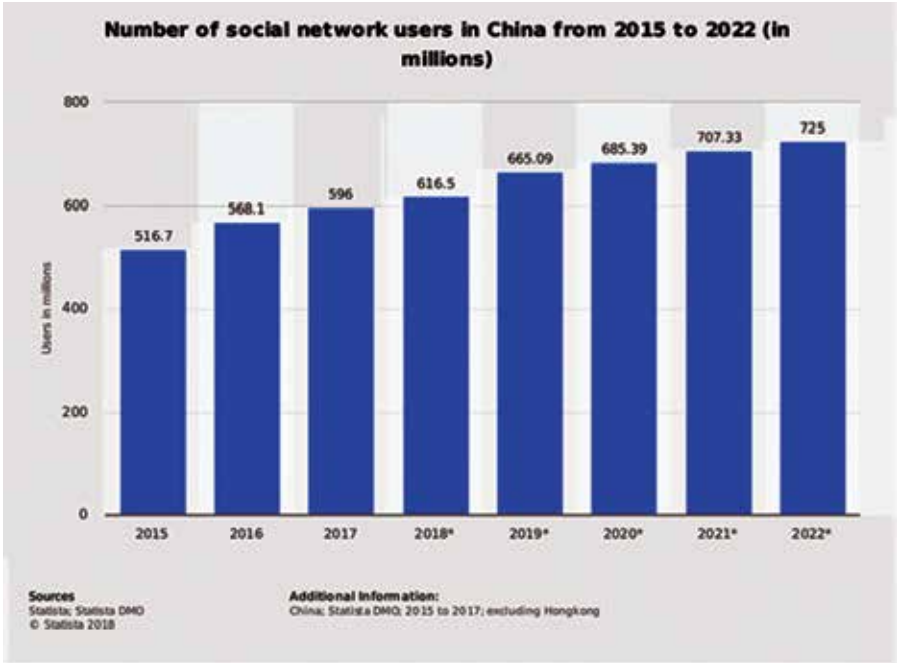

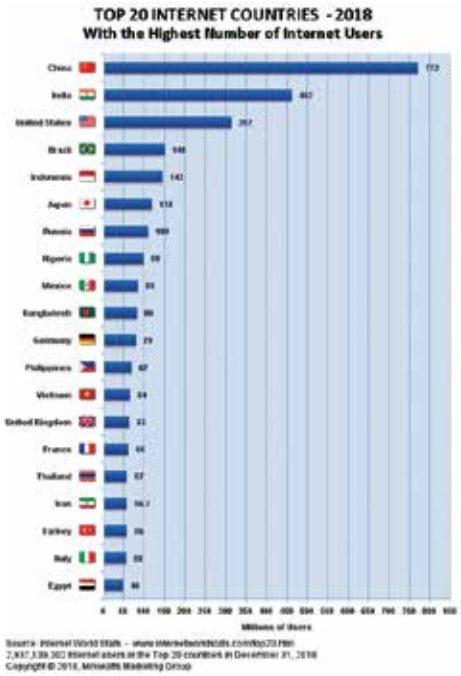

كيف وظفت الصين الشبكات الاجتماعية فى خدمة التنمية؟

على تنسيق حزمة الإجراءات والاستجابة للمشاكل المحلية.

وهناك محدودية فى مشاركة المسئولين الحكوميين والقادة المحليين إما لاعتبارات تتعلق بممارسة الرقابة الذاتية على نشاطهم الإلكترونى أو الخوف من الرقابة الحكومية الصارمة، أو لعقوبات الحزب الشيوعى الصينى.

ومن ثمّ فإن خطورة توظيف تلك الشبكات الاجتماعية فى الاحتجاجات أو العصيان المدنى أو ما شابه ذلك تكون محدودة الأثر، على الرغم من صعوبة السيطرة الحكومية على كل النشاط عبرها أو من خلالها، وبخاصة مع توظيف الحكومة المركزية فى بكين الشبكات الاجتماعية فى تعزيز سلطتها ومركزيتها تجاه الأقاليم المحلية.

وذلك من خلال نقل رسائل الشبكات الاجتماعية فى شكل إلكترونى من خلال بنية تحتية تتحكم بها عادة الحكومة. وساعدت التطورات الحديثة فى تحليل المحتوى وتطبيقات الذكاء الاصطناعى والبيانات الضخمة والحوسبة فى تخفيض التكاليف إلى حد كبير، ويمكن للحكومة استخدام هذه الطرق لتتبع وتحليل الأنشطة عبر الإنترنت، لقياس الرأى العام، واحتواء التهديدات قبل انتشارها.

بدءاً من شبكات التواصل الاجتماعى إلى الإنفاق على بطاقات الائتمان. وتعتزم الدولة منح جميع المواطنين تصنيفاً للضمان الاجتماعى بهدف القضاء على المشاغبين المحتملين. وبالإضافة إلى ذلك، تجبر السلطات شركات التكنولوجيا على الامتثال للقوانين الصارمة الجديدة ومتطلبات الهيئات التى تتعامل مع الأمن السيبرانى. وترى الصين أن المجريات الأخيرة بشأن مزاعم عن التدخل الروسى فى الانتخابات الأمريكية تفرض الاستمرار فى السيطرة على شبكات التواصل الاجتماعى، وبخاصة مع فرص توظيف الشبكات الاجتماعية فى نشر الأخبار الزائفة وسرقة البيانات الشخصية خاصة بعد فضيحة شركة «كامبريدج أناليتكا» عبر الفيسبوك، وتطالب الحكومة الصينية بتخصيص مقاعد فى مجلس إدارة تطبيقات ويشات، ويبو، وتينسنت، فضلاً عن الوصول إلى البيانات الشخصية لمستخدميها وبخاصة مع نجاحها فى إجبار شركة «أبل» مؤخرا على إقامة مركز للبيانات عن المستخدمين فى الصين.

وتتضمن الشروط الصينية لاستخدام الشبكات الاجتماعية المحلية باستعمال الأسماء الحقيقية ويتم الدخول ببطاقة الهوية الوطنية، وعدم محاكاة ألقاب لشخصيات مشهورة أو السخرية منها أو بتدشين حسابات تدعو للإرهاب، أو تلك التى تروج للعب القمار أو العنف أو الإباحية أو نشر الأخبار الكاذبة أو الشائعات، ويتم إعطاء مهلة معينة لأصحاب الأسماء المستعارة لتغييرها وفى حال عدم تغييرها يتم إغلاق حساباتهم الشخصية، إلى جانب حجب المواقع العالمية مثل فيسبوك وجوجل، وذلك بحجة ضمان وحماية الأمن القومى. وترى الدول الأخرى تلك القيود على أنها منافية لحرية التعاملات التجارية.

وأطلقت الصين نظاماً جديداً يعتمد على منح ترخيص السفر اعتماداً على متابعة الحسابات الشخصية للأفراد على التواصل الاجتماعى، وتحاول الصين الآن ربط ذلك باعتماد نظام تقييم المواطنين بنقاط على أساس السلوك المالى والاجتماعى والأخلاقى على الشبكات الاجتماعية، يتم أخذها فى الاعتبار عند حصول هذا المواطن على الخدمات الحكومية مثل الضمان الاجتماعى. ومن المقرر أن يتم الانتهاء من تكوين هذا النظام الجديد بحلول 2020.

الدروس المستفادة من التجربة الصينية

تكشف التجربة الصينية عن كونها أنموذجاً تنموياً ليس فقط فى مجال الشبكات الاجتماعية بل كذلك فيما يتعلق بسياسات الإنترنت، وتعد حالة فريدة فى خصائصها وفى ملامحها وسبل تطورها، ولكنها تحمل دروساً وخبرة يمكن تطبيقها خارج حدود الصين، ومن

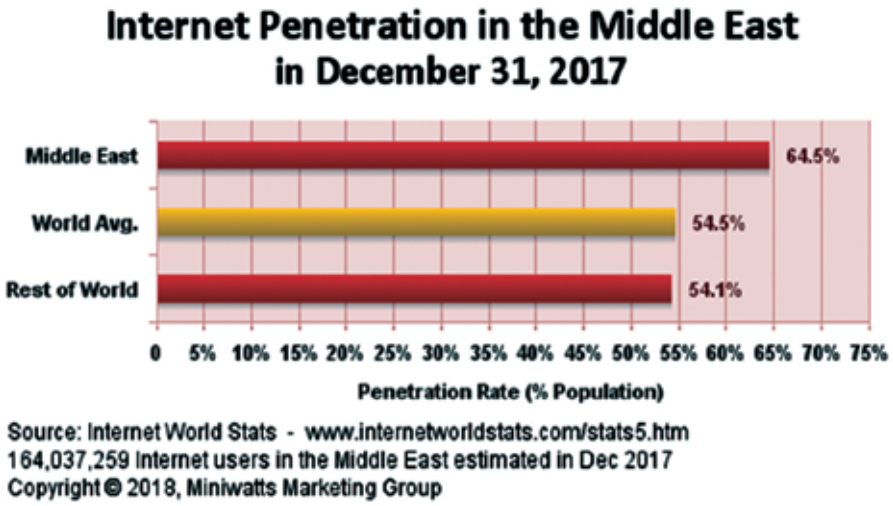

أبرز ملامح تلك التجربة أن تنمية القدرات الذاتية هى السبيل الوحيد لرفعة المكانة الوطنية، والدولية كذلك، والاعتماد على العناصر الوطنية فى التطوير والتنمية وليس بالضرورة على شركات أجنبية، وإن تمت الاستعانة بها تتم وفق مقتضيات المصلحة الوطنية.

ولعل ضخامة السوق قد ساعدت فى نجاح التجربة الصينية إلى جانب عوامل أخرى، وهو ما يجعلنا نبحث عن حدود الاختلاف والتشابه مع التجربة المصرية، وحيث تمكنت مصر فى الفترة الأخيرة من زيادة صادراتها من الصناعات التكنولوجية، وهناك محاولات لإطلاق تطبيقات جديدة، إلا أن تطبيقات الشبكات الاجتماعية وغيرها يتطلب إستراتيجية وطنية شاملة لتوفير بديل وطنى من المنصات، ويتوقف نجاح الشبكات الاجتماعية على الخدمات التى تقدمها، وحماية أمن المستخدمين، وتوفير مرونة كبيرة فى التعامل مع المستخدمين، ومواكبة زيادة الطلب، والتحديث بشكل مستمر، واعتماد نموذج أعمال لها يتميز بالاستدامة، فعلى سبيل المثال لن تكون هناك شبكة اجتماعية ناجحة بدون القدرة على وجود مشغلات فيديو، لأنه لم تتم إجازة استخدام اليوتيوب عليها إلا بإذن مسبق من الشركة، وفى سوق تنافسى يتطلب امتلاك كافة وسائل القوة فى مجال الشبكات الاجتماعية.

وتكشف لنا التجربة الصينية أن المواطنين شركاء فى نجاح الشبكات الاجتماعية مع شعورهم بالانتماء واستخدامهم للبديل الوطنى، ناهيك عن أن مقتضيات الأمن القومى حال استخدامها، المساهمة فى ترشيد الاستخدام من خلال وضع الضوابط والشروط والتحقق منها بما يكون له انعكاس على حجم التفاعل الإيجابى.

وتساهم عملية إيجاد بدائل وطنية للشبكات الاجتماعية فى منع التدخل فى الشئون الداخلية، وتعبئة الموارد لتحقيق الأهداف القومية، وتحول الشبكات الاجتماعية إلى مساهم فى عملية التنمية الاقتصادية، وساهم البعد الثقافى للمجتمع الصينى فى التأثير فى نمط الاستخدام، وذلك من خلال تعزيز قيمة العمل والوقت وقيم الجماعة وهى قيم لازمة لمواجهة الاستخدام السيئ للشبكات الاجتماعية.

ويتطلب ذلك المنحى فى التطور استثمار القدرات المصرية فى مجال البنية التحتية وفى الكوادر البشرية وحجم الانتشار والنفاذ للإنترنت والهاتف المحمول، حيث يوجد فى مصر 50 مليون مستخدم للإنترنت و38 مليون مستخدم للفيسبوك، وما يزيد على 100 مليون مشترك فى خدمة التليفون المحمول، وبلغ مستخدمو الإنترنت فى العالم العربى ما يزيد على 170 مليون مستخدم، ناهيك عن انتشار الهواتف الذكية، ودعم البنية التحتية للمعلومات، كل ذلك وغيره يفضى إلى القول أن عملية استثمار ذلك يمكن أن يتم من خلال إطلاق شبكة تواصل اجتماعى موجه باللغة العربية كمرحلة أولى وذلك للاستفادة من السوق الضخم وبالقدرات المالية خاصة فى دول الخليج العربى.

ويتوقف نجاح عملية إطلاق شبكة تواصل اجتماعى وطنية على التوسع فى السوق العربى، والقدرة على تقديم الدعم اللازم من قبل الدولة سواء فى مجال دعم الصناعات التكنولوجية أو التطبيقات، بالإضافة إلى الرؤية الشاملة المرتكزة على تعزيز البعد الوطنى أو العربى فى استخدام الإنترنت بشكل عام من خلال تبنى تطبيقات متكاملة مثل مشغلات الفيديو أو بوابات الدفع الإلكترونى أو التجارة الإلكترونية أو محركات البحث أو فى مجال الشبكات الاجتماعية، خاصة وأن الشركات الكبرى تستفيد من السوق العربى دون أن تدفع شيئاً من وعائها الضريبى إلى الدولة، وتعزيز سيطرة الشركات العابرة للحدود على السوق المحلى، وجنى أرباح طائلة سنوياً من الإعلانات بما يؤدى إلى خسائر للاقتصاد القومى نتيجة تسريب رؤوس أموال محلية إلى الخارج والإضرار بقطاع الإعلانات الوطنية، ناهيك عن التأثير الأمنى على المجتمع والدولة، بالإضافة إلى تعرض البيانات الشخصية للمستخدمين المحليين للخطر من قبل شركات عابرة للحدود، وصعوبة السيطرة على تيار تدفق المعلومات من الخارج ونشر التطرف والإرهاب. وهذا لا يعنى أن هذه المنصات الموجودة شريرة على طول الخط بل يتوقف الأمر على طبيعة الاستخدام فتلك المنصات هى حيادية بطبيعتها ومن ثمّ فإنها تحد لمن لا يستطيع التعامل معها وفرصة كذلك للقادر على فهمها، بما يكفل له دور فى عالم الحاضر والمستقبل، وبما يشكل ذلك ثقافة المستخدم، ومن ثمّ فعلينا الاستثمار فى تنمية العقول وفى التعليم.

إن عملية الاستثمار فى الإبداع والابتكار هى السبيل للدخول إلى العصر الرقمى، وهو ما يتطلب توظيف إدراك القيادة السياسية لأهمية التحول الرقمى فى المجتمع، والتقدم على المستوى التشريعى والتقنى والعلمى وإصلاح المناهج التعليمية، وتعزيز دور وسائل الإعلام كافة فى خدمة التنمية المستدامة.

هوية مصر فى عالم متغير

فى خضم العملية الشـــاملة للتنمية الجارية فى مصر، وفى خضم المعركة إلى نخوضها ضد التطرف الفكرى والدينى. ترددت فى الاونة الاخيرة على لســـان رئيس الدولة، والجماعات الفكرية والثقافية والاعلامية مقولة الحاجة إلى اعادة بناء الانسان المصري» ذلك ان من الواضح الارتباط العضوى بين عملية البناء ومواجهه التطرف وبين الانسان ومقوماته الصحية، والانسان مدركاته هو فى النهاية الذى يباشر وينفذ عملية التنمية، والانسان الواعى هو المحضن ضد دعاوى التطرف والعنف.

سفير د. السيد أمين شلبي

sams_maadi@yahoo.com

وترتبـــط عمليـــة بناء الإنســـان المصرى بالشخصية والهوية المصرية، والتى يعرف الجميع أنها قد تشـــكلت عبر قـــرون، وتعرضـــت للعديد من الثقافات والحضارات التى استوعبتها جميعاً، وإن كان قد لحق بها العديد من الســـلبيات التى كانت تطمس جوانبها الإيجابية.

فى ضوء هـــذا الاهتمـــام «ببناء الإنســـان المصرى» ومن ثـــم تأكيد هويتـــه وشـــخصيته والتركيز على جوانبهـــا الإيجابية وطمـــس ما علق بها من عناصر ســـلبية، فى ضوء هذا تبدو أهمية المساهمة الفكرية للسفير الدكتور محمد نعمان جلال فى كتابه «هوية مصر فى عالم متغير». وهو يبدأ بالتنبيه إلى أن مفهوم الهوية المصرية من أكثر المفاهيـــم تعقيداً، لأنه تطور عبر مراحل التاريخ المصرى والحضارة المصرية التى تعد من أقدم الحضارات إن لـــم تكن أقدمها علـــى الإطلاق. ثم يســـتدعى عدداً من المؤرخين الأجانب والمصريين الذين بحثوا فى الشخصية المصرية ابتداء من المؤرخ الشـــهير هيرودوت، وأرنولد توتبنى، ودوجلاس بريـــور، وإيملى تيتـــر، وابن خلدون وجمال حمدان، وشـــفيق غربال، ود. نعمات أحمد فـــؤاد. ويتعرض الكتاب لقضية طالماً كانت موضع نقاش وهى قضية العلاقة بيـــن هوية مصر وبين العروبة والإســـلام. وكذلك من خلال ما كتبه أســـتاذان أمريكى وإسرائيلى، ويتابـــع ذلك منذ الخلافـــة العثمانية حتى الثورة المصرية 1919 والأفكار التى سادت فى هذه الفترة من تجميد القوميـــة العربية مقارنـــة بالقومية العثمانية خاصة بين الطبقة الوسطى. ويناقش الكتاب قضية موضع النقاش والجـــدل حتـــى اليوم وهـــى قضية الإســـلام والنظام السياسى للدولة وما تثيره هذه القضية خاصة بعد صعود تيارات الإسلام السياسى من تساؤلات حول الدولة المدنية والنظام السياسى والديمقراطية وحقوق الإنسان، ويوضح كيف أنه إزاء التطـــورات اللاحقة فى انتشار الإسلام فقد تطور مفهوم الدولة فى الفكر والممارسة الإسلامية نتيجة عدة عوامل منها:

1 – اتساع رقعة الفتوحات الإسلامية إلى خارج شبه الجزيرة العربية.

2 – تنوع الشعوب التى دخلت فى الإســـلام من حيث عاداتها وثقافاتها وحضاراتها ونمط اقتصادها ونظامها السياسى والاجتماعى.

3 – الانفتاح الفكرى على حضارة الإغريـــق والفرس والهنـــود وترجمة المؤلفات العملية والفلسفية وبخاصة فى عصر الخليفـــة المأمون، ومن ثم ظهرت المدارس الفقهية والفلســـفية الإســـلامية كمـــا ظهر علـــم الكلام وتصارعت تلك المـــدارس مع بعضها البعض.

4 – بروز عدم إمكانية قيام سلطة مركزية فى عاصمة الدولة الإســـلامية بعد الفتوحات الكثيرة التى ترتب عليها اتساع رقعة الدولة ثم ظهرت الولايات شبه المستقلة بل إن بعضها دخل فى صراع مع السلطة المركزية.

5 – تعمق الانقســـام المذهبى فى الإســـلام من حيث بروز أهل الســـنة والجماعة من ناحية والشيعة من ناحية أخرى، والانقســـامات الفلسفية حتى داخـــل المذهب الواحد حـــول مفهوم الدولة.

وينتقل الكتاب إلى مناقشة قضية الفكر الإسلامى وقضايا الفكر العالمى المعاصر، ومـــن أهم قضايـــا الفكر العالمى المعاصر التى يبرزها الكاتب هى:

- قضية العلم ومكانته.
- حقوق الإنسان.
- الإقرار بحقـــوق المرأة ودورها واحترامها.

فى ختام هذا الفصـــل نود إعادة التأكيد على ثلاثـــة موضوعات بالغة الأهمية بالنسبة لمفهوم النظام المدنى للدولـــة، وهى ذات صلـــة بالتطورات المعاصـــرة فـــى المنطقـــة العربية الإسلامية وهذه الموضوعات هى:

1 – حضارة الأصـــوات المتعددة أمام الدولة الدينية خاصة والعقائدية عامة فهى تعبر عـــن حضارة الصوت

غلاف الكتاب

الواحد، وهـــذا يـــؤدى للديكتاتورية والملك العضـــوض كما وصف الفقهاء حكم الدولة الأموية الذى جاء بعد انتهاء عصر الخلفاء الراشدين الأربعة.

2 - أهمية التفاعل بين السياســـى والمفكر (المثقـــف) أما الدولة الدينية فتعبر عن ســـيطرة السياســـى على المثقـــف وخضوع المثقـــف وثقافته للسياسى وهو ما يؤدى إلى وأد الإبداع الفكرى والعلمى ومن ثم يقودنا للجمود والعصور المظلمة القديمة.

3 - مفهوم التعدد فى السياســـة والدين والثقافة والاقتصـــاد والفكر، وهو وثيق الصلـــة بمفهوم الحرية أما الدولة الدينيـــة فهى تقوم على مفهوم الوحدانية والواحدية فهى دولة شمولية تؤمن بالفكر الواحـــد، والمبدأ الواحد، وما عداه فهو كفـــر وهرطقة وخيانة ونحو ذلـــك وهنا خلط بيـــن مفهوم الوحدانية لله باعتباره أســـاس عقيدة بالإســـلام وبين المظاهر السياســـية والاجتماعيـــة والثقافيـــة بما فى ذلك احترام الأديان الأخرى فى الدولة (انظر فى هـــذا المعنى قول اللـــه تعالى فى سورة الكافرون «لكم دينكم ولى دين».

الثانى: ركائز العمـــل فى الدولة المدنية تتمثل فى:

1 - أنه لا يمكن الإصلاح مع وجود الفساد.

2 - أن النظام السياســـى لابد أن يقوم على مؤسســـات حتى لا يحدث التراجع.

الثالث: الإســـلام فى جوهره نظام مدنى للدولة:

1 - إن الإســـلام يقوم على تعدد الأديان فى الدولة الواحدة وعلى احترام هذا.

2 - إن الممارســـة العمليـــة فى صدر الإسلام قامت على أساس احترام العادات والتقاليد والشعائر الدينية فى البلاد المفتوحة، ولم يجبر المســـلمون أهالى تلك البلاد المفتوحة على اعتناق الإسلام، وعلى سبيل المثال ظلت مصر عدة قرون ذات أغلبية قبطية.

3 - إن مبـــدأ الاجتهاد يعنى تعدد وجهات النظر حتـــى فى الدين الواحد وفى عصر الجمود الفكرى أفتى بعض الفقهاء بإغلاق باب الاجتهاد.

4 - إن الكـــون لا يقوم على كيان واحد أو فكر واحد وأن التنوع هو إثراء والتنوع يعنى الاختـــلاف فى الجوهر وفى الدور وفى الكينونة.

ومن أجل هـــذا تبدو عملية التنمية السياسية كضرورة حتمية لازمة لإعادة بنـــاء الهوية الوطنيـــة للدولة ذلك لأن كثيراً من مظاهـــر الانحراف مرجعها التخلف السياسى، وهذا بدوره مرتبط بالتخلـــف الاقتصادى، الذى بلاشـــك يرتبط بالتخلف الاجتماعى والثقافى.

ولتوضيـــح هذه العلاقـــة لابد أن نناقش بعـــض الإشـــكالات المتصلة بمفهوم التنمية السياســـية ثم تناول الهوية المصرية فى ضوء ذلك:

الأول: النظـــر للتنمية السياســـية باعتبارهـــا شـــرطاً ضروريـــاً prerequisite للتنمية الاقتصادية.

الثانـــى: اعتبـــار التنميـــة السياســـية بمثابة تحديث سياســـى Modernization وهـــذا يعنى النظر للتنمية السياســـية كمرادف للتحديث السياسى وضرورة توافر عناصر معينة فى العملية السياســـية تتصل بالقيم والســـلوكيات من شأنها إنشاء حكومة تحترم ذاتها وحقوق المواطنين ويربط القائلون بهذا التوجه بينه وبين التنمية السياسية.

الثالث: التنمية السياسية كأداة لبناء الدولة الوطنية من حيث مؤسســـاتها وقيمتها وهذا يعنى استبدال السياسات القائمة على مفهـــوم الإمبراطورية أو الطائفية.

الرابع: التنمية السياســـية كإطار للتنمية الإدارية والقانونية.

الخامس: التنمية السياسية كإطار لبناء الديمقراطيـــة وهو ما تعمل بعه الدولة المتقدمة.

السادس: التنمية السياسية كإطار للاستقرار والتغيير المنظم.

الســـابع: التنمية السياسية كأداة للتعبئة والقوة أو الســـلطة ودعاة هذا التوجه يتصورون أن التنمية السياسية تحتاج لمزيد من السلطة والقوة لتحقيق التنميـــة وأن الديمقراطيـــة تضعف السلطة وتقلل من كفاءة وفعالية الإدارة ويميلون لأخذ القرارات على أســـاس ســـلطوى وهذا التصور يؤخذ عليه أنه يخلط بين الهدف والوسيلة.

الثامن: أن شـــعب مصـــر اليوم يواجه تحدى الهويـــة الحضارية التى تسعى لسلبه خصائصه وإسهاماته فى الحضارة الإنسانية وإنجازاته العظيمة وتسعى لطمس هذه الهوية.

التاســـع: إن شـــعب مصر اليوم يواجه تحدياً أكثـــر خطورة من حيث أمنه ودوره فى المنطقة العربية الشرق أوســـطية. ومن حيث تماسكه الوطنى ومن حيث صورته الوطنية National Image.

ويناقـــش الكتـــاب الخصائص الحضارية للمجتمع المصرى المعاصر:

فالقـــول إن المجتمـــع المصرى المعاصر يتســـم بخصائص فريدة فى نوعها وتنبع من ظروفه الخاصة:

هوية مصر فى عالم متغير

الخاصية الأولى: أنه مجتمع عريق فى الحضارة مغرق فى القدم.

الخاصية الثانية: أنه مجتمع ينتمى إلى إقليم تسوده الاضطرابات والقلاقل والتوترات السياسية والاجتماعية ويتسم بالتمايز الاقتصادى والاجتماعى.

الخاصية الثالثة: أن مصر، بحكم بعدها الحضارى وكثافتها السكانية وتقدمها الاقتصادى والسياسى وقوتها العسكرية نسبياً فى المنطقة المحيطة بها أصبحت تتطلع للقيام بدور قيادى، كما أصبحت دول الإقليم تتوقع منها ذلك. وبين حالتى التطلع والتوقع لعبت مصر دورها. فى مرات عديدة أصابها الفشل فى هذا الدور القيادى التوحيدى، وفى فترات قليلة حالفها التوفيق، وأثر ذلك كله فى نظرة مصر لذاتها ولهويتها ولدورها، وفى نظرة دول الإقليم لها.

الخاصية الرابعة: تتصل بأثر التقدم الاقتصادى فى المنطقة المحيطة بمصر خاصة تدفق البترول والغاز فى البلاد المجاورة لمصر.

الخاصية الخامسة: اتجاه المجتمع المصرى للهجرة للخارج، وهذه ظاهرة جديدة.

الخاصية السادسة: اتجاه المجتمع المصرى نحو حالة من الخلل الطائفى، أدت إلى حالة من التوتر والصراع فى بعض الأحيان.

ومثلما يؤكد الكتاب على الخصائص الإيجابية للشخصية المصرية فهو يناقش كذلك المظاهر السلبية المؤثرة فى الهوية المصرية.

ويظهر استقراء الأوضاع فى مصر أن الشخصية المصرية شهدت تدهوراً خلال نصف القرن الماضى، وبرزت معالم هذا التدهور المتزايد فى عدة مظاهر:

1 - علاقة المدرس بالتلميذ: حيث أصبحت العملية التعليمية متدنية ليس فقط نتيجة تكدس الفصول فى المدارس، والمدرجات فى الجامعات، بل أيضا لانخفاض القيم التى يتصرف فى ضوئها المدرس أو الأستاذ الجامعى.

2 - علاقة الموظف بالمواطن: وهذه امتداد للعلاقة الأولى.

3 - علاقة الصحفى ورجل الإعلام بمن يتلقى الرسالة الإعلامية.

4 - ظاهرة الوزير الفرعون.

والسؤال الرئيسى: كيف نواجه هذه الظاهرة السيئة وهذه المظاهر السلبية؟ وكيف نحول دون حدوث مزيد من التدهور، إن أول خطوات الإصلاح هو الإقرار بالواقع والاعتراف بالمرض فى الجسم.

أما ثانى خطوات الإصلاح فهو اختيار العنصر الكفء وفقاً لمعايير واضحة ومحددة تعلن على رؤوس الأشهاد.

أما ثالث خطوات الإصلاح فهو التغيير المستمر فى المواقع والقيادات،

هذا التغيير هو الذى يحول دون تكوين الجماعات الشللية أو مراكز القوى.

أما رابع الخطوات الإصلاحية فهو الاعتماد على التخصص والتدريب المستمر.

يصل الكتاب إلى مرحلة متقدمة من تاريخ مصر ويناقش مراحل الصراع على السلطة وهوية مصر فيوضح أنه منذ سقوط نظام الرئيس الأسبق حسنى مبارك عاشت مصر حالة من الصراع على السلطة فى الدولة وهوية المجتمع.

وفى الجولة الثانية تم الاستيلاء الإخوانى على السلطة باستغلال الدين.

ويشدد الكتاب على العامل الوطنى وتعميق الهوية المصرية حيث تلعب النزعة الوطنية دوراً رئيسياً فى حياة الشعوب، وهذا الدور تمثل بعمق فى هوية مصر، وفى سلوك المصريين ورد فعلهم تجاه الأحداث التى تعرضوا لها، وتعتمد النزعة الوطنية لأى مجتمع:

1 - الإحساس بالانتماء إلى شعب أو أمة يعتز بها الإنسان.

2 - نجاح أى نظام سياسى يتوقف على مدى قدرته على تعزيز روح الانتماء للوطن، وحث الأفراد على العمل والإنجاز.

3 - توسيع نطاق الطبقة المتوسطة حيث تشير بعض الدراسات السياسية إلى أن توسيع وزيادة حجم الطبقة المتوسطة فى المجتمع يساعد على تعزيز الانتماء.

4 - من الضرورى أن يشعر المواطن العادى بأن هناك هدفاً يسعى لتحقيقه.

5 - تجديد الدماء لا شك أنه من العوامل المهمة فى تعزيز الهوية الوطنية وإشعار أفراد المجتمع بحيوية النظام.

ويذهب الكتاب إلى استشراف هوية مصر فى القرن الواحد والعشرين ومن أجل هذا يميز بين الثوابت والمتغيرات حيث يوضح فى هذا:

1 - إن القرن الحادى والعشرين أصبح يوصف بأنه يتسم بسمات ثلاث هى:

الأولى: التغير السريع فى السياسة والاقتصاد والاجتماع والعلوم والمبتكرات.

الثانية: تزايد وعى الشعوب وإدراكها بما حولها من المتغيرات والتطورات نتيجة ثورة تكنولوجيا المعلومات وبروز دور الشباب القادر على استيعاب التكنولوجيا الاتصالية الحديثة.

الثالثة: تزايد ظاهرة التقليد والتأثير بين مناطق العالم.

2 - القرن الحادى والعشرون أو على الأقل بدايته شهد تهميشاً واضحاً لا يمكن للباحث المدقق أن يخطئ إدراكه أو مشاهدته لمجموعتين من الدول هما المنطقة العربية، والمنطقة الأفريقية، هذا التهميش مرجعه تراجع الأداء الاقتصادى، وتراجع البنية الديمقراطية، وضعف النخب السياسية الواعية بمستقبل بلادها لصالح نخب سياسية.

فى هذا الإطار كله يمكننا النظر إلى هوية مصر فى القرن الحادى والعشرين ونبدأ بمجموعة من الملاحظات العامة:

الأولى: إن مفهوم الهوية بالنسبة لأية دولة يقوم على عنصرين أحدهما المقومات الثابتة، وثانيهما الظروف المتغيرة. ورغم ما أشرنا إليه من تغير الزمن والمكان، وما طرأ عليهما من اعتبارات، فمازال لهما نوع من الثبات النسبى، فالموقع الإستراتيجى لمصر وسبقها الحضارى مازالا يتركان بصماتهما على هويتها فى القرن الحادى والعشرين، وبالتالى على دورها فى دائرتين أو ثلاث دوائر من اهتماماتها السياسية والثقافية والاقتصادية.

الثانية: إن مصر ليست دولة عالمية سواء فى إستراتيجيتها أو طموحاتها فليست لها مثل هذه الإمكانات، ولكنها دولة إقليمية، وينبغى أن تبنى إستراتيجيتها وهويتها على هذا الأساس.

الثالثة: إن هوية مصر ودورها فى هذه المرحلة موضع تساؤل، وموضع نقاش بل وموضع شك، لتراجع إمكاناتها، وضعف خططها الإستراتيجية، وضعف المشاركة السياسية.

الرابعة: إن مصر فى حاجة لتجدد شبابها أسوة بما حدث فى الصين أو الهند، هذا التجديد لشباب الدولة (أية دولة) يعنى أربعة أمور:

الأول: بلورة فكر سياسى واقعى ورؤية إستراتيجية واضحة وواقعية.

الثانى: إطلاق حرية النخب السياسية والحزبية وفق ضوابط قانونية موضوعية تؤدى لإفراز نخب ذات مصداقية سياسية وحزبية.

الثالث: بناء إستراتيجية علمية وتكنولوجية تعتمد على خطة شاملة وكوادر حقيقية ومؤسسات علمية وتعليمية وتربوية.

الرابع: إنه لا يمكن قيام النظام على أساس استبعاد أى شخص، أو أية فئة أو جماعة من المجتمع، من المشاركة فى تطويره اقتصادياً وسياسياً واجتماعياً.

وهكذا نرى أن الدكتور نعمان جلال يمزج بين الجانب التاريخى للشخصية والهوية المصرية وبين الجانب الحديث منذ أن بدأ مفهوم الهوية المصرية يتبلور مع بدايات القرن العشرين وتطوره إلى ما نعيشه اليوم من جدل حاد خاصة منذ صعود تيارات الإسلام السياسى وهو فى هذا يؤكد على ضرورة إبعاد الدين عن السياسة إبعاداً كاملاً. ولعل فى تجارب دول ربطت الدين بالسياسة أو السياسة بالدين ما يقدم العبرة، إذ يتحول الحكم الدينى إلى حكم استبداد الفرد المطلق، ويحول دون التنافس السياسى على أساس المواطنة والمساواة.

مراكز الفكر والمتغيرات العالمية الراهنة

سفير د .عادل السالوسي

dr.adelelsaloussy@hotmail.com

أولاً: مفهوم مراكز الفكر Think Tanks:

1)يستخدم مصطلح مراكز الفكر كمرادف لمراكز الأبحاث والدراسات، وينصب دورها فى إنتاج الأبحاث والدراسات فى مجالات متعددة تخدم السياسات العامة للدولة، وتقدم رؤى مستقبلية تهم الفرد والمجتمع وصانعى القرار، وتسمى السلطة الخامسة.

2)وتكتسب أهميتها وضرورة وجودها من الحاجة لها من النواحى العسكرية والدفاعية والأمنية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية وغيرها، وذلك من خلال ما تقدمه من إصدارات علمية وندوات متخصصة من شأنها مضاعفة مستوى الوعى لدى صانع القرار والمؤسسات والأفراد، ومساعدتهم فى الربط بين الوقائع الميدانية وإطارها العلمى النظرى.

3)وبصفة عامة، فإن مراكز الفكر والدراسات Think Tanks هى مراكز للبحث العلمى والتعليم، ولكن ليست جامعات أو كليات، وهى ليست لديها طلبة، ولكن يمكن أن يكون لديها طلبة متدربون، إلا أنها فى الأهم تنظم العديد من ورش العمل والتدريب والمنتديات، كما أنها لا تحاول أن تقدم معرفة بسيطة أو سطحية، ولكن تركز بشكل معمق فى قضايا أساسية فى السياسات العامة.

4)أيضاً مراكز الأبحاث ليست مثل المؤسسات العلمية المانحة Foundations لأنها لا تقدم أو تعطى تمويلاً للبحث العلمى، بدلاً من ذلك هى تبحث عن جذب التمويل لدراساتها من المؤسسات المانحة وغيرها من المصادر، ومراكز الأبحاث ليست شركات تجارية، بالرغم من أن لديها منتجاً وهو الأبحاث والدراسات، وبالتالى هى ليست مؤسسات للربح المالى، أيضاً هى ليست مشابهة لجماعات المصالح حيث أن هدفها الرئيسى هو البحث والدراسة، وليس الضغط والنفوذ.

5)ومن ناحية تصنيف عدد مراكز الأبحاث حسب المناطق الجغرافية حتى عام 2012، فالولايات المتحدة وكندا تضم 1912، وأوروبا 1790، وآسيا 1197، وأمريكا اللاتينية والكاريبى 722، وأفريقيا 550، والشرق الأوسط وشمال أفريقيا 329.

6)ويرى بعض الباحثين العرب، أن مصر متأخرة حوالى 30 عاماً عن بعض الدول المناظرة لها مثل كوريا الجنوبية وماليزيا والهند والصين، وغيرها من النمور الآسيوية، والتى قامت باسترجاع علمائها من الخارج وخاصة أوروبا والولايات المتحدة وكندا، وأن الولايات المتحدة لم تكن لها أن تسيطر على العالم إلا بمراكز

جامعة اكسفورد

الأبحاث والمدن العلمية حيث كانت قد تبلورت فى العالـــم الغربى مع نهاية الحرب العالمية الثانية نظرية تفيد بأن العلم والبحـــث العلمى هما الضامنان لنمو ولرفاهية المجتمع الحر، وبأنهما لن ينجحا دون تخصيص موارد كبيرة لهما من الميزانية العامة.

ثانياً: التطور التاريخى لنشأة مراكز الأبحاث والدراسات:

1)تشـــكلت مراكز الفكر Think Tanks داخل الجامعات فى صورتها الأولى فـــى العالم الغربى، حيث برزت أولى الجامعـــات الأوروبية فى القرن 12 الميـــلادى، وقد أنشـــئت معظم الجامعات تأثرا بالجامعات الإسلامية فى مرحلة الحروب الصليبية 1096-1291 ميلادية، وفى تلك الأثناء أُسس ما يعرف بالكراســـى العلمية، وكان أول هذه الكراسى هو تأسيس كراسى الدراسات الشـــرقية فى بولونيا وروما وباريس، ثم سرعان ما أنشئت وقفيات نقـــلاً أيضاً عن الوقفيات الإســـلامية، وكانت أول وقفية فى بريطانيا اسمها وقفية ديمورتن فى جامعة أوكسفورد لتشجيع الدراسات الدينية بالتحديد.

2)ثم ظهر فى بريطانيا عام 1831 أول مركز أبحاث تحت اسم: «المعهد الملكى للدراســـات الدفاعية»، أما بعد الحرب العالمية الأولى 1914-1918 فكانت بمثابة منابر للنقاش الجماعى أو لدراســـة القضايا الســـاخنة التى تشـــغل المجتمع وصناع القرار، وفى الحرب العالمية الثانية 1939-1945 اســـتخدمت كلمة brain boxes أى صناديق الدماغ.

3)وكان أول ظهور لمراكز أبحاث فى الولايـــات المتحدة معهد كارنيجى للســـلام 1910، ثم معهـــد بروكنجز فى 1916، ثم معهـــد هوفر 1918، ومؤسســـة القـــرن 1919، ثم معهد انتربرايز الأمريكى لأبحاث السياسات العامـــة 1943، ثم معهد دراســـات الشرق الأوســـط الأمريكى 1948، ثم مؤسسة راند 1949.

ثالثاً: أهمية مراكز الأبحاث فى اتخاذ القرار وصنع السياسات العامة:

1)أصبحت مراكز الفكر أو الأبحاث والدراســـات فى معظـــم دول العالم بشكل عام، وأوروبا الغربية والولايات المتحـــدة وكندا بشـــكل خاص تلعب دوراً أساسياً فى إنتاج المعرفة والبحث العلمى، وما ينتج عنـــه من تطبيقات على صعيد توجيه وصيانة السياسات العامة للدول فـــى مختلف المجالات، بالإضافة إلى «عقلنة» وترشيد القرار، وفى كثير من الأحيان يتم اتخاذ القرار من المسئولين وصناع القرار فى قضايا معينة وفق ما تحدده نتائج دراســـات المراكز البحثية.

2)كمـــا وأن دور وتأثيـــر مراكز الأبحاث فى الولايات المتحدة، وكندا فى عملية صنع القرار، ورسم السياسات العامة يتفاوت بشكل كبير عن دورهم وتأثيرهم فـــى دول العالم الثالث، بما فى ذلك دول الوطن العربى.

3)وعموماً فإن مراكز الأبحاث فى الولايات المتحـــدة، والكثير من دول العالـــم المتقدم أصبحت جـــزءاً ثابتاً فى البنية السياســـية، إلى المدى الذى أصبحت تعتبر جزءاً عضوياً من عملية صنع السياســـات فى تلك الدول. الأمر الذى يظهر ارتباطاً واضحاً بين عملية التنمية المســـتدامة والبحوث العلمية والتطبيقية، بما فيها استطلاعات الرأى والبحوث الميدانية.

4)وهذا الارتباط ضرورى أيضاً فى حالة الدول النامية من أجل الكشـــف عن أولويـــات التنمية فـــى المجتمع، وتحقيقها من خلال استخدام الموارد المحليـــة، وتطوير مجـــالات البحث العلمى بما يتوافق مع احتياجات البيئة المحلية، مع توظيف الموارد الذاتية فى دعم اتخاذ القرار وجعله أكثر رشداً.

5)وبما أن عـــدداً كبيراً من صناع ومتخـــذى القرار وكبار المســـئولين ليس لديهـــم الوقت الكافى أو المعرفة المتخصصـــة فى بعـــض المجالات أو القضايـــا موضع القرار أو رســـم السياسات العامة، فإن مراكز الأبحاث تقـــوم غالباً بإجراء الأعمـــال البحثية والدراســـات من أجلهم. أى أن مراكز الأبحاث بالنســـبة لهم أصبحت بشكل أساســـى تقوم بالتفكيـــر للحكومة Government thinking، فخبـــراء مراكز الأبحاث يقدمون الأفكار الجديدة والرؤى الإبداعية بالاعتماد على أبحاثهم فى رسم السياسات العامة.

6)ومـــن الأدوار الحديثـــة التى أصبحـــت تقوم بها المراكـــز البحثية

هو ممارسة الدبلوماسية الأكاديمية Academic diplomacy، كأن يرسل بعض الخبراء والأكاديميين العاملين فى مراكز الأبحاث من قبل وزارة الخارجية أو مؤسسات أمنية أو غيرها، إما لمعرفة آفاق تسوية، أو المشاركة فى وساطة أو مفاوضات حول أزمة سياسية معينة، ويكون ذلك بشكل رسمى أو غير رسمى، أو بشكل معلن فى مسار موازٍ، كما حصل على سبيل المثال فى المرحلة السرية لما قبل الوصول إلى اتفاقية أوسلو، حيث قام تيد لارسون رئيس معهد أبحاث السلام فى أوسلو بترتيب عملية التفاوض بين الطرفين الفلسطينى والإسرائيلى فى أوسلو بالنرويج وبشكل سرى.

7)أيضاً من الأدوار التى تقوم بها مراكز الأبحاث الخاصة هو مرافقة خبراء من هذه المراكز لكبار المسئولين أو مع الوفود الرسمية الحكومية فى زياراتهم الرسمية للدول كمستشارين خبراء فى قضايا معينة موضع النقاش فى جدول أعمال الزيارة، وبالإضافة إلى ذلك تكون هذه المراكز بمثابة الباب الدوار Revolving Door بين الدبلوماسيين أو المسئولين فى المناصب العليا فى الدولة، وبين الخبراء والعاملين فى هذه المراكز البحثية، وذلك من حيث تداول المناصب، ففى كثير من الأحيان يتم اختيار أو تكليف بعض الخبراء فى هذه المراكز البحثية للعمل فى مناصب حكومية عليا مثل وزراء أو مستشارين للقيادة السياسية أو سفراء.

8)من أدوار مراكز الأبحاث أيضاً لعب دور مهم كقناة اتصال غير مباشرة أو غير رسمية بين الشخصيات السياسية أو كبار المسئولين، وخاصة الأطراف أو الشخصيات الدولية للتعرف على آرائهم السياسية وطبيعة اهتماماتهم وأدوارهم، وذلك لمعرفة الاتجاهات الدولية السائدة فى مجال قضايا سياسية أو اقتصادية أو غيرها، وذلك من خلال المشاركة فى أنشطة علمية مشتركة أو دعوة هذه الشخصيات أو المسئولين للمشاركة فى المؤتمرات والندوات التى تعقدها هذه المراكز البحثية.

9)أيضاً تلعب مراكز الأبحاث دوراً مهماً فى مجال استشراف المستقبل أو المجال الاستشرافى، خاصة مع تطور علم ودراسات المستقبل Future Studies، والتى أصبحت نتائج الرؤى المستقبلية من المتطلبات الأساسية للتخطيط الإستراتيجى فى دول العالم عموماً.

10) كما أن من ضمن الاهتمامات الأساسية وأولويات مراكز الأبحاث هو النشر العلمى، حيث يشكل أحد المخرجات الرئيسية لمراكز الأبحاث والدراسات، وذلك من خلال اعتماد هذه الأبحاث والدراسات والمؤلفات والنشر كجزء من عملية البحث العلمى، بالإضافة إلى الاستفادة من هذه المطبوعات فى العملية التدريسية لطلبة الجامعات والمعاهد فى مؤسسات التعليم العالى والأكاديميات التعليمية المختلفة.

رابعاً: مراكز الأبحاث فى الوطن العربى:

1)شهدت المنطقة العربية فى بدايات النصف الثانى من القرن 20 تزايد الاهتمام بمراكز الأبحاث والدراسات، فتزايدت أعدادها واهتماماتها، فلم تعد هناك دولة عربية تخلو من المراكز البحثية.

2)وبالرغم من أن هذه المراكز البحثية تقوم بإمداد أصحاب القرار السياسى ووسائل الإعلام بتحليلات ودراسات تتعلق بالقضايا المهمة والمحورية فى تلك الدول يجعلها مشاركة بدرجة أو أخرى فى تحديد المسارات التى يجب أن تسلكها الحكومات فى تعاملها مع هذه القضايا، إلا أن الدور يكون مختلفاً فى الوطن العربى، فبالإضافة إلى المعوقات والمصاعب التى تواجهها معظم هذه المراكز، فهى لم تأخذ مكانها الحقيقى، ولم تمارس دورها الحيوى فى المشاركة فى صناعة القرار، أو فى تقديم ما يلزم من المشورة أو الدراسات الوطنية لمتخذ القرار، ذلك لأنها ليست عاجزة عن أداء تلك المهمة، بل لأنها لم توكل إليها تلك المهام بسبب طبيعة الحياة السياسية العربية وطبيعة أنظمتها، وبعدها بدرجة كبيرة عن العمل المؤسسى المعمول به فى الغرب.

3)وقد نشأت المراكز البحثية بشكل أساسى فى الخمسينيات فى مصر، مع تأسيس المركز القومى للبحوث عام 1956 بالقاهرة، ثم مركز الأهرام للدراسات السياسية والإستراتيجية فى 1968 وهما يرتبطان بجهات حكومية،

معهد ماساتشوستس للتكنولوجيا

جامعة كامبريدج

كما تأسس مركز البحوث والدراسات العربية عام 1952 وكان يرتبط بالجامعة العربية، ثم تحول لاحقاً إلى التركيز على الأداء التدريسى، والتأهيل الجامعى على حساب العمل البحثى، وعلى صعيد المراكز البحثية الخاصة، تأسس مركز دراسات الوحدة العربية فى بيروت عام 1975 كمؤسسة بحثية غير ربحية علمية تركز نشاطها فى مختلف القضايا السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية التى تهم المجتمع العربى ككل.

4)إلا أنه منذ عقدى الثمانينات والتسعينات من القرن 20، انتشرت ظاهرة المراكز البحثية فى جميع الدول العربية، وإن ارتبطت بداياتها بالجامعات والمعاهد أو القطاعات الحكومية، ثم انتشرت لاحقاً مراكز الأبحاث الخاصة فى التخصصات المتعددة سواء السياسية أو الأمنية أو الاقتصادية أو الاجتماعية أو الهندسية والتكنولوجية والطبية وغيرها.

خامساً: مراكز الأبحاث الإسرائيلية ودورها فى صناعة القرار:

1)بدأ اهتمام الحركة الصهيونية بالبحث العلمى ومراكز الأبحاث منذ قيام دولة إسرائيل عام 1948. بل إن بعض مراكز الأبحاث الإسرائيلية تعود نشأتها إلى ما قبل الإعلان عن قيام دولة إسرائيل كمعهد هنريتا سالد الذى أسس عام 1941، وقد تركز اهتمام إسرائيل فى البحث العلمى فى مجال العلوم الطبيعية والعلوم الإنسانية على حد سواء.

2)وقد حذت إسرائيل حذو العالم الغربى بوضع البحث العلمى على رأس اهتماماتها، فطبقاً للجهاز المركزى للإحصاء فى إسرائيل، فإن نسبة الإنفاق القومى على الأبحاث والتطوير والتنمية المعرفية والثقافية فى عام 2015 وصلت إلى 4.3٪ من الناتج المحلى الإجمالى، أى ما يقرب من 50 مليار شيكل (ما يعادل حوالى 13 مليار دولار). كما وصل الإنفاق على الأبحاث للفرد الواحد عام 2015 إلى 1600 دولار، والذى يعتبر من بين أعلى المعدلات فى منظمة التعاون الاقتصادى والتنمية OECD. وحسب الأكاديمية الإسرائيلية للعلوم، فإن 1٪ من الأوراق والمقالات البحثية المنشورة فى العالم هى من إنتاج باحثين إسرائيليين، وأن إسرائيل تحتل المرتبة الرابعة على مستوى العالم فى نسبة الأبحاث المنشورة مقارنة بعدد السكان.

3)وقد تعددت مراكز الأبحاث فى إسرائيل واهتماماتها بسبب تعدد وتداخل الكثير من الاختصاصات حيث تشمل الأمن، والأمن والسلام، والتخطيط الإستراتيجى، والسياسات العامة، والقضايا الاجتماعية، والفكر الاقتصادى، والتعليم، والتاريخ والآثار، وغيرها.

4)فهناك معهد لأبحاث الأمن القومى تأسس عام 1977 ليكون مركزاً للأبحاث الإستراتيجية تابعاً لجامعة تل أبيب، ومركز الأمن القومى الذى تأسس عام 2000 ويتبع جامعة حيفا، والمعهد الدولى لمكافحة الإرهاب وأنشئ عام 1996 لتيسير التعاون الدولى ضد الإرهاب وهو عبارة عن مؤسسة بحثية مستقلة هدفها توفير خبراء فى مجال مكافحة الإرهاب والأمن الداخلى وتقييم المخاطر، والتحليل الاستخباراتى والأمن القومى والسياسة الدفاعية.

5)أيضاً مركز بيجين- السادات للدراسات الإستراتيجية وأسس عام 1993، ونشاطه فى الأمن والسلام، خاصة المجالات المتعلقة بالأمن القومى الإسرائيلى والسياسة الخارجية، والقضايا الإقليمية فى الشرق الأوسط، وأيضاً المركز الإسرائيلى الفلسطينى للأبحاث والمعلومات وأنشيء فى القدس عام 1988 عقب اندلاع الانتفاضة الفلسطينية فى 1987، ويهتم المركز بالبحث فى تطوير حلول عملية للصراع الإسرائيلى الفلسطينى على أساس دولتين لشعبين. أيضاً معهد هارى ترومان وقد تأسس عام 1965 فى الجامعة العبرية فى القدس بدعم شخصى من الرئيس الأمريكى هارى ترومان.

6)أيضاً معهد السياسات والإستراتيجيات «مركز هرتزليا متعدد المجالات» وقد تأسس عام 2000 لوضع سياسة وطنية لإسرائيل، ورفع مستوى عملية اتخاذ القرارات الإستراتيجية، حيث يهتم المعهد بالأمن القومى والإستراتيجية، والسياسة الخارجية، والمخابرات، والشعب اليهودى، والاقتصاد، والعلوم والتكنولوجيا، بالإضافة إلى السياسة الاجتماعية، والتعليم، كما يعمل المعهد على تعزيز علاقات العمل مع الحكومات، والمؤسسات العامة، ومؤسسات الفكر والرأى الدولية، ومعاهد البحوث وكبار الباحثين من جميع أنحاء العالم، ومركز موشى دايان وتأسس عام 1983 بدعم

مالى من ورثـــة دايان وأصدقائه وهو عبـــارة عن مركز غيـــر حزبى متعدد التخصصات يركز جهوده فى دراسات الشرق الأوسط المعاصرة وأفريقيا.

7)هـــذا بالإضافة إلى عشـــرات المراكـــز والمعاهـــد المتخصصة فى مجالات الأمن، والدفاع، والإستراتيجية، والشـــئون الخارجيـــة، والثقافيـــة، والتاريخ اليهـــودى، والآثار، وغيرها، فمثلاً تهتم المراكـــز المعنية بالجانب الأمنـــى، بالعقيـــدة الأمنيـــة للجيش الإسرائيلى، وتشـــكيل الخطاب العام المتعلق بأمن إســـرائيل القومى، كما تســـاهم فى تدريب المسئولين وكبار الضباط فى هذا المجال، وتعتبر بعض المراكز بمثابة منتدى مشترك لصانعى السياسات والباحثين الدوليين، وذلك لتبادل المعلومات والخبرات من خلال الأوراق البحثية والمنشورات الأكاديمية كمركز هرتزليا.

8)ربطت بعـــض المراكـــز بين مفهومى الأمن والسلام من خلال البحث فى قضايا الأمن والســـلام، وخصوصاً منها المتعلق بالأمن القومى الإسرائيلى والسياسة الخارجية ومختلف القضايا الإقليمية فى الشرق الأوسط، كما اهتم بعضها بدراسة المجتمع الفلسطينى مـــن خلال نظـــام الإعـــلام والثقافة والتعليم التابع للسلطة الفلسطينية.

9)كما مارست بعض المراكز دوراً سياســـياً واضحاً، كالمركز الإسرائيلى الفلســـطينى للأبحـــاث والمعلومات الذى اســـتخدم ليكون قناة خلفية فى مفاوضـــات تبادل الأســـرى (صفقة شاليط) بين إسرائيل وحركة المقاومة الفلسطينية الإسلامية «حماس».

10) كما استخدمت بعض المراكز، مثـــل المركز الأكاديمى الإســـرائيلى فى القاهـــرة، لتكون قنـــاة للتطبيع، عبر الســـعى إلى تعزيـــز العلاقات

مكتبة جامعة اكسفورد

مع الجامعـــات والباحثين بين مصر وإســـرائيل وذلك بواســـطة مساعدة الباحثيـــن من كلا البلديـــن للوصول إلى المكتبات والمحفوظات، وتشجيع المشـــاريع البحثية المشتركة، وتعدى ذلك إلى إقامة نشاطات هدفها التمهيد إلى تطبيع العلاقات مع الدول العربية، بل يمكن اعتبارها قنوات تفاوض غير رسمية، كما يحدث فى مؤتمر هرتزليا الســـنوى، الذى يحاضر فيـــه عادة مجموعة من الســـفراء العرب وبعض الشخصيات الفلســـطينية، وكذلك فى الندوة التى عقدهـــا مجلس العلاقات الخارجيـــة فى 2015 بيـــن ممثلين عن مركز أبحاث ســـعودى يترأســـه اللواء المتقاعد أنور العشقى (ضابط مخابرات ســـعودى ســـابق)، ومدير مركـــز أورشـــليم دورى جولد (مدير عـــام وزارة الخارجية الإســـرائيلية). وفـــى الندوة المذكورة ألقى عشـــقى محاضرة مشـــتركة بوجود جولد، أكد فيها على أن التوصل إلى ســـلام بين العرب وإسرائيل: «خطوة ضرورية من أجل التغلب على مشاكل المنطقة». كما أولت بعض المراكز، مثل مركز هرتزليا اهتماماً كبيراً بالتخطيط الإستراتيجى، والمســـاهمة فى وضع سياسة وطنية لإسرائيل، ورفع مستوى عملية اتخاذ القرارات الإســـتراتيجية بهدف زيادة المناعة القومية لدولة إســـرائيل. كما أن هناك بعض المراكز اهتمت بوضع رؤية إستراتيجية مستقبلية، مثل مركز شاسا الذى اهتم بنشر دراسات تتعلق بمستقبل إســـرائيل وفلسطين فى عام 2050.

11) أمـــا المراكـــز التـــى تعنى بالجانب الفكـــرى، فإنها تهتم بالفكر اليهودى والصهيونية والفلسفة العامة، والفكر الديمقراطى، وبحث السياسات الاجتماعية والاقتصادية وعلاقة الدين بالدولة، علاوة علـــى الاهتمام بتاريخ الشعب الإســـرائيلى وعلم الآثار، وذلك بهدف إثبات الحق التاريخى المزعوم فى أرض فلســـطين، مع التركيز على دراســـة ظاهرة معاداة السامية عبر العصـــور المختلفـــة، والعلاقة بين اليهـــود وغيرهم، خاصـــة فى أوقات الأزمات والصراعات، بهدف منع تكرار اضطهاد اليهود كما حدث فى أوروبا على يد هتلر.

12) من هنا يمكن اعتبار المراكز البحثيـــة والعلمية فى إســـرائيل من الجهات المؤثرة فى عملية صنع القرار، فبالرغم مـــن دورها فى وضع الخطط والســـيناريوهات المستقبلية، واقتراح القوانين بهدف ســـنها فى الكنيست، فإن لها دوراً فى تقييم أداء مؤسسات الدولـــة ككل، ومســـاعدة الحكومة

ومختلف الهيئـــات العامة فى التعامل مع الفجوة القائمة فـــى بنية النظام السياسى، والحاجة للتصدى للتحديات الإســـتراتيجية التى تواجهها الدولة، وذلك عبـــر التغلب علـــى المعوقات التى تحـــول دون تحقيـــق الأهداف الإستراتيجية.

13) وبالرغـــم من وجـــود مراكز بحثية حزبيـــة يســـارية أو يمينية، إلا أن مراكـــز الأبحاث الإســـرائيلية بالمجمل، تهدف إلى خدمة المشروع الصهيونى، وزيادة قوة دولة إسرائيل، وتلافى عوامـــل الضعف، فدور مراكز الأبحاث لا يقتصر على التوثيق وإجراء استطلاعات الرأى بل يتعداه إلى التحليل واستشراف المستقبل، ومحاولة إيجاد الحلول العملية للمعضلات التى تواجه إسرائيل، وتقديمها لصناع القرار.

سادساً: تداعيات اعتراف الرئيس الأمريكى ترامب بالقدس عاصمة لإسرائيل:

- تجاهل ترامـــب تحذيرات مراكز الأبحاث الأمريكية فى قرار القدس:

1)تعتبر مراكز الأبحاث الأمريكية من مراكز صناعة القرارات فى الإدارة الأمريكية، إذ يعمل بهـــا خبراء كبار مرتبطين بالإدارة الأمريكية من البيت الأبيض والخارجية والبنتاجون ووكالة الاســـتخبارات المركزية، وتناقش هذه المراكز الكثير من القرارات الأمريكية وتأثيرها سواء فى الداخل أو الخارج، وغالباً ما يستند الرئيس الأمريكى إلى تقديرات الموقف التى تجريها المراكز البحثية، قبـــل اتخاذ القرارات المهمة، حيث كانت المراكـــز الأمريكية بمثابة البوصلة لرؤساء الولايات المتحدة.

2)لكـــن بـــدا جليـــاً أن الرئيس الأمريكى الحالى ترامب قد انحرف عن تلك القاعدة، وتجاهل المراكز البحثية قبل اتخاذ القرار الـــذى أعلنه يوم 6 ديسمبر 2017 بشأن اعترافه بالقدس المحتلة عاصمة لإســـرائيل، ومطالبة وزارة خارجيته بنقل الســـفارة من تل أبيب إلى القدس، وقد سبق أن حذرت مراكز الأبحاث الأمريكية أسلاف ترامب من الرؤســـاء الأمريكييـــن من اتخاذ هذا القرار، نظـــراً لتداعياته الكارثية للمجتمع العربـــى بل والدولى والعالم الإسلامى ككل، وأرجعت تأجيل إصدار هذا القرار من قبل أســـلاف الرئيس الحالى إلى خطورته على الأمن القومى الأمريكى، وتجلى تجاهل ترامب لرؤى المراكـــز البحثية فى ردود الفعل التى صدرت عن تلك المراكـــز على القرار الصادم بشأن القدس.

3)فيـــرى جيك والـــس الباحث فـــى معهـــد كارنيجى للدراســـات السياســـية، أن إعـــلان ترامب يمثل تغيـــراً فـــى السياســـة الأمريكية المطبقة تجاه قضية رئيســـية وهى النزاع الفلســـطينى الإسرائيلى، وقد اتخذ الرئيس قـــراره على الرغم من التحذيـــرات القوية التى أطلقها قادة عرب وأوروبيـــون، والتحفظات التى أبداهـــا البعض داخـــل إدارته حول تداعياته. مضيفـــاً بأن إعلان ترامب يضع واشـــنطن بشـــكل واضح فى الصف الإســـرائيلى فى هذه القضية الأكثر إثـــارة للانقســـام، ولم يقدم ســـوى القليل لتخفيف الوطأة على الفلســـطينيين، خاصة وأن اعترافه الرســـمى بالمصالح الإسرائيلية فى القدس، لـــم يقابلـــه أى حديث عن المصالح أو الطموحات الفلســـطينية فى المدينة.

4)كما أكد كل من ديفيد ماكوفسكى وهو مدير مشـــروع عملية السلام فى الشـــرق الأوســـط فى معهد واشنطن للدراسات السياســـية والإستراتيجية، والســـفير دينيس روس وهو المساعد الشخصى السابق للرئيس أوباما على ضرورة قيـــام إدارة ترامب بتوضيح وجهة نظرها المختلطة بشأن القدس.

5)ورغم أن الحفـــاظ على أدبيات الرسائل لم يكن السمة المميزة للبيت الأبيض فـــى المقـــام الأول من فترة ترامـــب، لكنها أضحت أمراً أساســـياً الآن، فالتغريـــدات المضللة ممنوعة، كما أن المخاطر كبيرة للغاية، وأضاف المحللان، بأن الرئيس الأمريكى يتعين عليـــه التوضيح بأن إعلانـــه لا يتعلق بتحديـــد الوضع النهائـــى للقدس أو حدودها، وأن هـــذه القرارات يجب أن تتم عن طريق المفاوضات المباشـــرة بين الإســـرائيليين والفلســـطينيين والعرب بما فى ذلـــك الأردن، الذى تم الاعتـــراف بدوره فـــى رعاية الأماكن المقدسة كجزء من معاهدة السلام مع إسرائيل (اتفاقية وادى عربة 1994).

6)لمـــاذا أقدم ترامـــب على هذه الخطـــوة بالرغم مـــن كل التحذيرات التـــى وجهتها دول عربية وشـــركاء أوروبيون؟ كان هذا هو الســـؤال الذى أجاب عنه السفير مارتن انديك سفير أمريكا السابق فى إسرائيل، والمبعوث الخاص فى المحادثات الفلسطينية/ الإســـرائيلية، ونائـــب رئيـــس مركز بروكينجز للأبحـــاث «بأن القرار كان إغراء لقاعـــدة الإنجيلية المســـيحية المتشددة».

7)وبحسب مارتن انديك، فإن قرار ترامب بشـــأن القدس لا يتناسب مع أهدافه الأخرى فى الشـــرقين الأدنى والأوسط ويضيف: «حاول مستشاروه مواءمة القرار مع إستراتيجيته لإحلال الســـلام، لكن لم يكن هناك ثمة توازن يقلل من غضب الفلسطينيين.

8)ويتفق مع هذا ســـتيفن سبيجل مدير مركز تطوير الشـــرق الأوســـط فى جامعة كاليفورنيـــا، مضيفاً بأن إرضاء الداعمين اليهود والمســـيحيين المحافظين كان عاملاً أساسياً فى قرار ترامب، فى خلال الحملة الانتخابية أكد ترامب مراراً بأنه ســـيعترف بالقدس عاصمة لإســـرائيل وأنه سينقل سفارة بلاده هناك، وهو ما تم بالفعل يوم 14 مايو 2018، وقال سبيجل بأن ترامب بخطوته هذه حطم مســـاعى الحكومة الأمريكية فى منطقة الشـــرق الأوسط، وهى واحدة مـــن المناطق القليلة فى العالـــم التى كانت تتطلـــع بإيجابية لسياسة ترامب حتى وقت قريب.

عن «يوماً أو بعض يوم» لمحمد سلماوى

صدرت فى مصر مؤخراً مذكرات الكاتب الصحفى الكبير الأستاذ محمد سلماوى عن دار الكرمة، التى نفذت طبعتهـــا الأولى 2017 إبان الأيام الأولى لمعرض القاهرة الدولى للكتاب، وصدرت منذ أيام قليلة، طبعته الثانية منقحة 2018.

عرفت الأستاذ محمد سلماوى من خلال عمله فى الأهرام صحفياً متميزاً وجاداً، عندما يلتقى شخصاً ما لا تغيب الابتسامة عن وجهه. وتواصلنا معه كشباب فى لجنة تعديل دستور الإخوان.

د. أحمد خميس

khamada1@hotmail.com

وقد أتاحت الظروف لى فرصة لحضور مناقشـــة مذكراته يوم الأربعاء الموافق 28 فبراير 2018، بدعوة كريمة من مكتبة مصر العامة تحت قيادة قطـــب كبير من أقطاب الدبلوماســـية العتاة الســـفير عبد الرؤوف الريدى، والسفير رضا الطايفى. وشارك فى مناقشـــة المذكرات الكاتب الصحفى الكبير شريف الشوباشى.

السفير الريدى عن الأستاذ سلماوى

تحدث السفير عبد الرءوف الريدى عن الكاتب الكبير محمد ســـلماوى، واصفاً إياه بأنه شخصية عبقرية، وأن مذكراته متفردة وكشـــفت الكثير من الكواليـــس التاريخية والسياسية والأدبية، من ناحية النص الأدبى. أما من ناحية الصور الكثيرة التى تجاوزت الـــ 150 صـــورة، فقدمت ســـيرة ذاتية فوتوغرافية موازية.

ووصف ســـلماوى بأنـــه كائن منظم استطاع أن يوظف إمكاناته أعظم توظيف. وأنه يشـــبه إلى حد كبيـــر الدكتور بطرس بطرس غالى، الذى اتسم بقدرته الفائقة على تنظيم حياته والاســـتفادة من قدراته، فضلاً عن أناقته. وذكر ســـلماوى بطلب الدكتور بطرس غالى منه، أن يكون رئيســـاً لمركز الدراسات السياسية والإستراتيجية بجريدة الأهرام.

وأكد الريدى على وفاء سلماوى لوالدته «زينـــب هانم»، والتى لـــم يغفل ذكر قصة الحب التى عاشـــها سلماوى الأب مع زوجته قبل الارتباط بها.

من أين بدأت حكاية المذكرات؟

ذكر سلماوى أنه لم يكن يفكر فى كتابة مذكراته، إذ رأى كتابة المذكرات أو الســـير الذاتية حواديت شـــخصية، وكان يفضل أن تأتى سيرته فى محطات أو فى سياق أعمال أدبية تستلهم سيرته فى بعض من مواضعها.

وأشار سلماوى إلى أنه على أى مذكرات أن تكون جريئة ولا تســـقط أدق التفاصيل منها، مثلمـــا فعل الأوائل مثـــل جان جاك روسو، ولويس عوض وغيرهما من العباقرة المصريين، موضحاً أنه تحدث فى مذكراته مثـــلاً « عن أيام المعتقل، وعن المستشـــار عدلى حســـين وكيل النيابة الذى حقق معه -آنذاك- حين تم اعتقاله ثم صارا صديقين حميمين لاحقاً، كما تحدث عن تجربة إلحاد مر بها، وأيام الشـــقاوة صغيراً مع أصدقائه وصديقاته.

وأكد أن المصادفة لعبت دوراً كبيراً فى إقدامه على هذا المشروع، حين كانت الأهرام تحتفـــل بمرور 140 عامـــاً على صدورها، فطلبوا منـــه مقالاً عن الطابق الســـادس، الذى كان يضم النخبـــة الثقافية والفكرية ومنهم الأســـاتذة: توفيق الحكيم، ويوسف إدريس، ونجيب محفـــوظ، ولويس عوض، وبنت الشاطئ وغيرهم، وكانوا يطلقون على هذا الطابق متحف الخالدين. وذكر علاقاته المتميـــزة بالقامات الكبيرة فى هذا الطابق، ذاكراً أن الأســـتاذ توفيق الحكيم كان يلومه عندما يتغيب يوماً عن حضور جلســـة هذه النخبة.

وبعدما كتب مقاله عن الطابق السادس، وذكرياته مع النخبة فيه، تحدث معه صاحب دار الكرمة، وقال له لماذا لا تستكمل مذكراتك كلها، علـــى أن يصدرها له فى كتاب. فاقتنع بالفكرة وشرع فى تنفيذها لقرابة عام أنجز الجزء الأول منهـــا من 1945-1981، والآن يشرع فى استكمال الجزء الثانى من 1981 حتى 2014 حسبما ذكر سلماوى. واعتبرها سلماوى شهادة للتاريخ اختلط فيها الخاص بالعام.

وذكر سلماوى أنه ابن قناعات ناصرية نادت بالقومية والتحرر. وأثار نقطة محورية فى حديثه عن أفريقيـــا، إذ قال: إلى الآن لم يشعر أى مصرى أنه إفريقى، وحمل الدولة مسئولية هذا الشـــعور، مؤكداً أنه عيب فى سياســـات الدولة منذ عهد السادات ومروراً بحسنى مبارك وصولاً إلى الآن، وأننا نعرف إفريقيـــا من خلال ترجمـــات أعمالهم التى تصلنا ومازلنا فى حاجة لربط مصر بإفريقيا وليس على الصعيد السياسى فقط.

حضور رئيس النيابة عدلى حسين:

ذكر ســـلماوى فى مذكراتـــه تجربته فى الســـجن، بدءاً من لحظة القبض عليه، والتلفيق الـــذى تعرض لـــه، والتغيير فى مواعيـــد القبض عليـــه، والتحقيق معه فى النيابة من قبل رئيس النيابة عدلى حســـين، وصولاً إلى الإفراج عنه.

فوجىء ســـلماوى وغيره من الحضور، فى مناقشـــة مذكراته بمكتبة مصر العامة، بحضور المستشار عدلى حسين، الذى ذكره سلماوى فى مذكراته، باعتباره رئيس النيابة الذى حقق معه، وأمر بحبسه.

وتحدث المستشـــار عدلى حسين عن تجربته الفريدة فـــى التحقيق مع أكثر من واحد فى جيل سلماوى، والقضايا التى كان ممثـــلاً فيها للنيابة فـــى مواجهة المحامى نبيل الهلالى فى محاكمة المثقفين، وتجربة التحقيق مع إبراهيـــم منصور الذى تظاهر فى ميدان طلعت حـــرب رافعاً راية صغيرة مكتوباً عليها «يا للعار»، وطلب منه منصور ألا يحتجزه مع الإخوان فهـــو «أحمر قان» يعنى يسارى. وأكد على أن معظم من حقق معهم صاروا مـــن أقرب أصدقائه وأنه تولى التحقيق مع عناصر التكفير والهجرة وقضية الفنية العسكرية والناجون من النار.

محطات مفصلية فى حياة سلماوى

يعد الأســـتاذ محمد سلماوى أحد رموز الثقافة والصحافة فى مصر والعالم العربى. ولد فى أسرة مصرية ميســـورة الحال فى أواخـــر الحقبة الملكية، وتفجـــرت ملكاته مع قيام ثورة يوليـــو 1952، وحصل على الشـــهادة الثانوية فى مرحلة المد الثورى الناصرى، ليشـــهد خلال دراسته الجامعية انتصارات الثورة وانكســـاراتها، وعرضت أولى مســـرحياته قبيل حرب يونيو 1967، ثم عايش المرحلة الســـاداتية، وتفاعل مع تقلباتها من خلال الكتابة الصحفية والنشاط السياســـى، الذى أدى به إلى الاعتقال أثناء انتفاضة يناير 1977.

عرج الأســـتاذ ســـلماوى فى مذكراته إلى عائلته وأصل تســـميتها بـــ «سلماوى» و«شتا»، وثلاث مربيات أجنبيات ونسناس،

ومن الانطواء إلى حلقة يول بريز، وصولاً إلى الحديث الصحفى الذى أجراه مع رئيس وزراء أستراليا قبل الانهيار المهيب، وذلك فى 16 فصلاً.

حكى الأستاذ سلماوى عن إحساسه بنبض الطلبة المتذمرين فى الجامعة من بعض سياسات السادات، وكانوا يطالبون بالإفراج عن الطلبة المعتقلين. وعندما تحدث مع الأستاذ توفيق الحكيم عن ذلك، أيده فى إحساسه وقال له عليك أن توقع على هذا البيان الذى كتبناه نعارض فيه هذه السياسات. ففرح جداً بموقف الأستاذ توفيق الحكيم، ووقع وقال سلماوى لكل الناس بزهو بالغ، لقد وقعت على بيان المثقفين الذى كتبه توفيق الحكيم. فإذا بالـ 104 ممن وقعوا على هذا البيان تعرضوا للاعتقال إلا توفيق الحكيم، الذى وصفه السادات بأنه خرف الشيخوخة. فلما كتب الحكيم «عودة الوعى» الذى مثل نكوصاً عن أفكاره فى «عودة الروح» فرح السادات، وزالت عن توفيق الحكيم صفة الخرف. وذكر أن السادات قد اتهم هيكل بأنه هو الذى أوعز لسلماوى بكتابة هذا البيان، رغم أن هيكل كان مسافراً للخارج، وقال سلماوى أن ذلك البيان لم ينشر فى مصر، وإنما نشر فى جريدة لبنانية، ومنها حصل سلماوى على نصه.

وعن تجربته مع الأستاذ محمد حسنين هيكل، ذكر سلماوى اختبار الأستاذ هيكل لصحفى واثق من نفسه «سلماوى»، وصولاً إلى إبلاغ الأستاذ للصحفى عن سقوطه فى اختبار الأمم المتحدة. فحكى عن طلب سلماوى من الأستاذ هيكل أن يذهب لنيويورك لتغطية اجتماعات الأمم المتحدة. وإصراره على الذهاب، ومحاولته إقناع الأستاذ هيكل بذلك، حتى نجح فى إقناعه، وسافر.

«بعد مضى أقل من عام على التحاقى بـ«الأهرام»، دخلت على الأستاذ هيكل بمكتبه الذى كان دائمًا مفتوحًا أمام أى محرر يطلب مقابلته، على الرغم من مشاغله، لأطلب منه أن يرسلنى إلى نيويورك أثناء انعقاد الجمعية العامة للأمم المتحدة فى خريف عام 1971، فسألنى هيكل:

– إنت تعرف الأمم المتحدة؟ زرتها قبل كده؟

فلما أجبته بالنفى قال على الفور:

– تبقى عايز تروح تلعب.

وقبل أن أرد عليه واصل حديثه:

أولاً: لدينا فى نيويورك مراسل الأهرام الدائم، ليفونكشيشيان، الذى سيغطى الأحداث اليومية لاجتماعات الجمعية العامة. ثانيًا: سيذهب حمدى فؤاد ليغطى المناقشات الخاصة بقضية الشرق الأوسط. ثالثًا: سيتابع الدكتور كلوفيس مقصود ما يتعلق بالقضية الفلسطينية. رابعًا: طلبت من الأستاذ أحمد بهاء الدين أن يذهب هو الآخر ليتابع هذه الدورة بشكل عام ثم يعود ليكتب فيما يختاره. فقل لى ماذا ستفعل أنت أكثر من ذلك؟

تبدّى أمامى على الفور التحدى الذى أراد هيكل أن يواجهنى به، وشعرت أنه يريد أن يختبر هذا المحرر الشاب الذى توسم فيه خيرًا حين اختاره للانضمام إلى الأهرام، فقررت أن أكون على مستوى التحدى، وغالبت شعورى بالضآلة أمام الأسماء التى عددها لى والتى كانت تمثل أكبر القامات الصحفية فى ذلك الوقت، وأيقنت أننى لو استسلمت لهذا الشعور فقد انهزمت فى أول اختبار لى أمام الأستاذ هيكل. لذلك استجمعت كل قواى وقلت:

– هناك موضوع مهم فى هذه الدورة لم تذكره لى يا أستاذ هيكل.

ثم صمتُّ قليلًا لأرى ماذا سيقول. فقال على الفور:

– أى موضوع؟

قلت:

– اختيار السكرتير العام الجديد للأمم المتحدة.

قال بعد لحظة صمت:

– ماذا تعرف عن هذا الموضوع؟

قلت:

– أعرف أنه موضوع غاية فى الأهمية بالنسبة إلينا فى الشرق الأوسط، بحكم أننا نتمسك بأن يجىء الحل فى أزمة الصراع العربى- الإسرائيلى من خلال الأمم المتحدة، ومن ثمّ فالشخص الذى سيتولى إدارة المنظمة الدولية يهمنا. وأعرف أن الصراع محتدم الآن حول اختيار السكرتير العام الجديد بين القوتين العظميين، وأعرف الأسماء المطروحة لخلافة «يو ثانت» الذى أكد للجميع أنه غير راغب فى الاستمرار فى موقعه بناء على نصيحة أطبائه، وأعتقد أن باستطاعتى أن أبعث للجريدة بما لن يتسع له وقت أى من الأساتذة الكبار الذين ذكرتهم أن يبعثوه لأننى سأكون متفرغًا لهذا الموضوع وحده.

صمت هيكل وهو يفكر فيما قلت فأحسست أننى ربما أكون قد كسبت المعركة، لكن المعارك لم تكن تكسب مع هيكل بهذه السهولة. قال:

– شىء جيد أن تكون لديك ثقة بنفسك، ولكن المهم هو: من أين تستمد هذه الثقة؟

قلت:

– من عزمى على أن أبذل كل جهدى فى متابعة تطورات هذا الموضوع، ومن إدراكى بأن لدىّ القدرة على أن أفعل ذلك.

ثم قلت:

– أعرف أن تلك هى المرة الأولى التى أسافر فيها فى مهمة صحفية لـ«الأهرام»، لكنى أعدك أننى سأنجح فى هذه المهمة.

ثم قلت:

– أنا على استعداد أن أسافر على نفقتى الخاصة، وعند عودتى إذا أعجبك شغلى يمكن أن تدفع لى «الأهرام» نفقات الرحلة.

وابتسم هيكل وهو يسألنى:

– أأنت جاد فيما تقول؟

قلت:

– نعم وسأقبل بتقييمك لعملى.

فمد لى يده مصافحًا وقال:

– خلاص اتفقنا.

ثم أضاف:

– احتفظ بفواتير كل نفقاتك حتى نتمكن من تعويضك عنها لدى عودتك.

حاولت فيما ذكرته، أن أتناول جزءاً يسيراً، مما احتوت عليه مذكرات عملاق من عمالقة الصحافة والأدب فى مصر والعالم العربى، فمن يقتنيها لن يصبر كثيراً حتى يلتهمها قراءة بتمعن وتركيز، عدة مرات. وأوجه نداء للجميع، وللشباب على وجه الخصوص بقراءتها، وأثق أن قراءتها الأولى لن تكفى، فستكرر قراءتها مرات كثيرة.

شـــآبيب

د.أحمد خالد توفيق

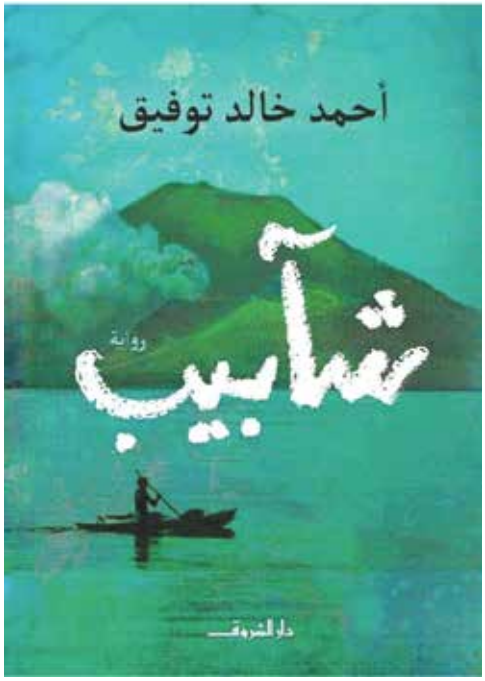

فـــى عمل أدبـــى رائـــع، ذى طابع روائـــى بالغ الخصوصية، وقد اســـتخدم الكاتب أسلوباً وتكنيكاً جديداً، وهو يتناول ســـرد تاريخ الأمة التى يعشقها الأمة العربية من شـــمالها إلى جنوبها ومن شرقها لغربها، وهو يســـرد وقائع الحوادث التى تعرض لها العرب فى أنحاء متفرقة، اعتداءات حركتها عنصرية بلغت ذروتها مثل أحداث النرويج.

سوسن رحمى

عنوان الباب أوســـلو. وقد حركتها الأفكار النازية.

أمينة شـــابة تونسية تعمل مدرسة تاريخ فى مدرســـة نرويجية. المطلوب منها أن تغير التاريـــخ فلا تتحدث عن الأمجـــاد العربيـــة، أو تذكـــر الحروب الصليبية فتتعرض بالتالى إلى اعتداءات وهجوم من التلاميذ، يصل إلى اعتداءات على عائلتها.

وتتوالى الصفحات وهى تقدم غربة العرب فى أماكن عديدة. ويقول الكاتب وهو يلخص الأوضاع: «جريمة أن تكون مختلفاً»، ثم يقول فى فقرة أخرى «نحن يهود اليوم» وهو يذكـــر تعذيب الألمان لليهود فى الهولوكوست.

الكتاب مجموعة من اللقطات جمعت فى أبـــواب، كل باب يحمل عنواناً، وربما كانت قصصاً قصيرة تتجمع لتقدم عملاً متكاملاً وهو يلخص الأوضاع.

فى بـــاب الولايات المتحـــدة يقدم الكاتـــب تجربة عائلة مســـيحية يقول الأب: «يستمر إحساســـك أنك مختلف» فرغم تحقيق العديد من أحلامه الخاصة بحياته المادية، كان يشـــعر بالاختلاف، يعرف جيـــداً أنه عربـــى. اللغة العربية تستعمل فى البيت مثل الإنجليزية ولكن لا مكان لهما، يقول محدثاً نفســـه: «كل الدول والحضارات لعبت لعبة الكراسى الموسيقية، الإمبراطورية الرومانية ذهبت ولكـــن إيطاليا موجـــودة، الإمبراطورية الإغريقية هى اليونـــان اليوم ولكن أين الإمبراطورية العربية».

يستمر الكاتب فى متابعة الانهيارات التـــى تصيب أمته. مذبحـــة فى الصين وبلطجة فى النرويج، حرق مســـجد فى لنـــدن. ويكرر مرة أخـــرى: «العرب هم يهود العصر الضائعون فى الشتات».

ينطلق الكاتب من بلد إلى آخر وهو يراقب ذاته أو الآخر، وهو يشـــعر بنوع آخر من الســـجون، ســـجن داخل الذات فهو يمر بحالة يأس ينظر إلى الســـماء وهو يبحث عن مخرج ولكنه يتعثر وهو يمشـــى، فتنزلق قدمه فى بركة. يحدث نفسه ويقول: « كل شىء يجبرك على أن تمشى منحنياً فى ذل».

تستمر الرحلة داخل الذات وهو يتنقل من بلد إلى آخر فى الوطن وخارجه. يقول محدثاً نفســـه: « الكون كبير جداً، معقد جداً، لكنه يكون لاصقـــاً عندما تمر بك الهواجس». يعود مرة أخرى إلى الولايات المتحدة فيقول: «لا يوجد مكان يجد فيه العرب السكينة والهدوء أينما ذهبوا فهم مضطهدون يعانى مكرم المســـيحى من غربته كعربى. يقـــول مكرم لأحد رجال المخابرات الأمريكية: «إن من هاجر لكم هم زبدة المجتمعـــات العربية هم فروا من أنظمة أحالـــت حياتهم جحيماً وهذه الأنظمة صنعها الغرب نفسه، كانت أرض فلسطين أرضاً سالمة من زراعة الزيتون والبرتقال. مسالمين ثم غرستم خنجركم. أنتم من صنعوا الإرهاب وأنتم من أدى إلى معرفة الدولة الدينية».

ثم يذكر مقولة الكاتب راغب شكرى فى مؤلفه «البحث عن وطن» يقول فيها: «هناك شعوب تملك غريزة التدمير الذاتى كأنها مكلفة بمهمة مقدسة، تقضى بأن تختفـــى. لم يكن أعـــداء العرب خارقى القوة لكن العرب كانوا بالغى الضعف».

ثم يصل القارئ أخيـــراً إلى عنوان «شآبيب» فهو اسم جزيرة أرسل الخليفة العباسى علماء وأطباء للتمركز فى هذه الجزيرة وكان بينهم فلاسفة متخصصون فى فلسفة أرسطو وعلماء تخصصوا فى

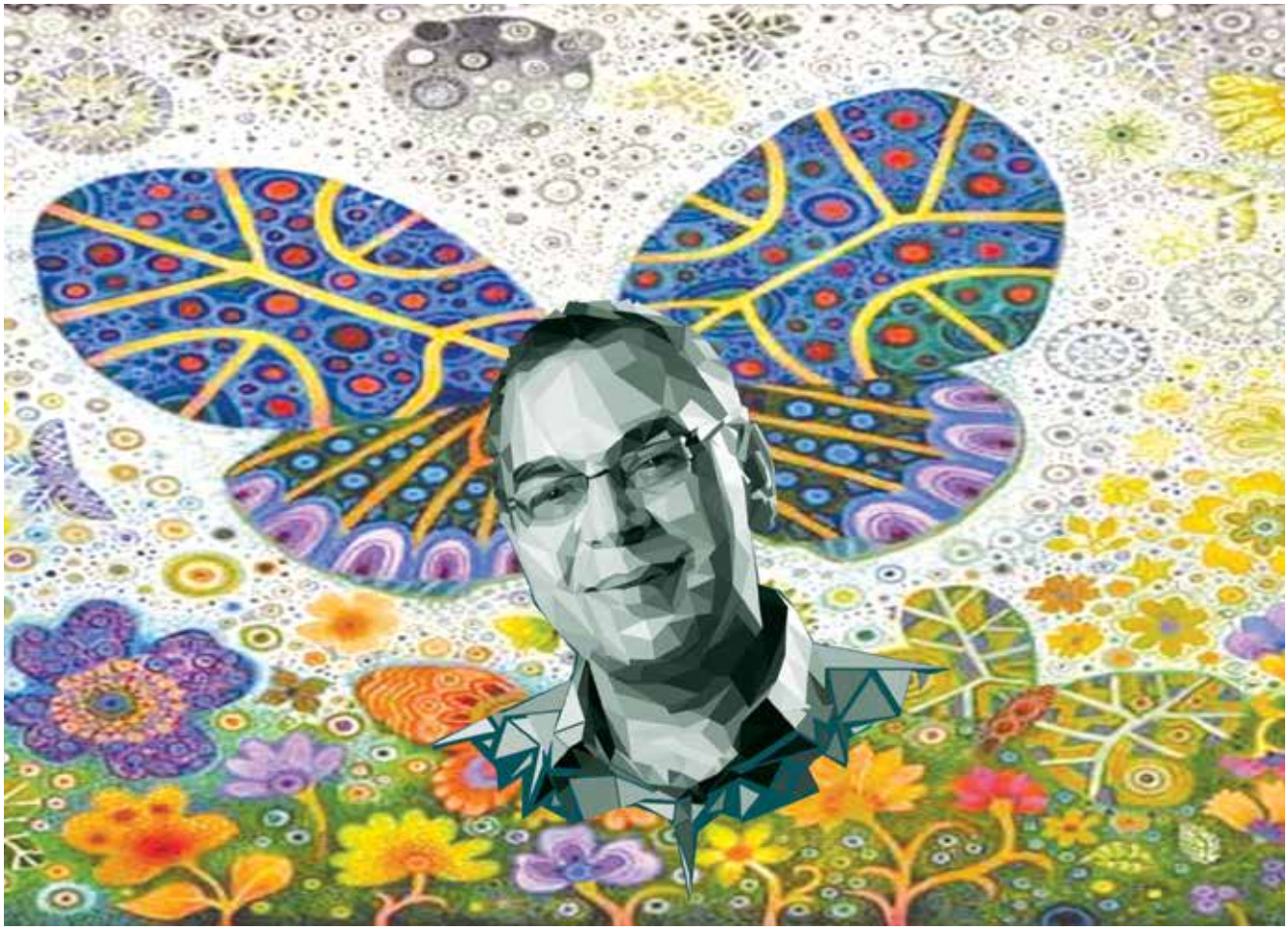

الأمراض الجلدية التى كانت منتشرة فى الجزيرة.

إن ذكر هذه المعلومات التاريخية عن جزيرة شآبيب اخترقت سير الأحداث التى تتناول صعود وسقوط مشاكل العالم العربى وأهله.

يستكمل الكاتب الحديث ويذكر كيف أدى هذا كله إلى طمس المجهودات التى بذلت فأصبح الجامع الذى شيد وكان تحفة نادرة أصبح حطاماً.

قال الفيلسوف ابن عمواس: «كتب على الدول أن تترنم للأبد وذكر بيت الشعر »أضاعونى وأى فتى أضاعوا».

ثم يعلق الكاتب وقد وصل إلى نهاية هذا الكتاب «ما نريد قوله أن هذه الحضارة قد دمرت وأحرقت ولكنها مازالت تحت الغبار متوهجة كالفحم يمكنك أن تنقب وتجد آثارها وعندها يعرف العالم كله أننا كنا هنا».

إن الكاتب قد استخدم تكنيكاً بالغ الخصوصية، فقد اخترقت صفحات الكتاب المليئة بالتحليلات والمعلومات التاريخية المهمة، اخترقت هذه المعلومات قصص أحداث الاضطهاد التى تعرض لها المواطن العربى المسلم، والصراع البيئى الخاص بالتقاليد التى نشأ بداخلها المواطن المسيحى.

ثم يعود مرة أخرى إلى قصة العائلة التونسية المدرسة التى أهينت داخل المدرسة وخارجها وهى تسير فى طريقها إلى منزلها، فيقول: «الحياة ازدادت قتامة فى أوسلو ومعاداة العرب تحولت إلى وباء متفش».

مات زوج أمينة وأحرق بيتها، تقول وهى تحدث نفسها وهى تتعجب عما يطلب منها وهى تدرس التاريخ «محظور الكلام عن الفتح العربى للأندلس وغيرها ونغفل المعلومات الخاصة بشآبيب. الغرب يريد أن ننسى تاريخنا».

بلغت الأحداث ذروتها وأصبح الناس يخشون الصلاة فى الجوامع.

فى باب «سجن الذات» يقدم الراوى الصراع الذى يمر به داخلياً وخارجياً وهو يقف أمام ضابط الجوازات ليحصل على ختم المغادرة، تمر حياته أمام عينيه فى شريط سريع بدءاً بأحلام المراهقة وحبه الأول ومراقبة بيت الجيران من خلال التليسكوب الذى حصل عليه لمراقبة الكواكب والنجوم.

يحصل على تأشيرة الخروج، ينزوى فى مقعد وهو يتذكر شريط مراهقته واعتقاله.

يعود الكاتب بنا لأوسلو وحياة المدرسة أمينة فى بيتها وهى تقرأ كتاب «العربى التائه»، يتناول زوجها الكتاب ثم ألقاه جانباً وقال محدثاً زوجته: «هذا هراء (...) لا يصمد لأى منطق، المفروض أن حضارة »شآبيب» هذه أحداث فلماذا لم يحك عنها أى مؤرخ ولم يبق منها زهرية أو إناء شرب واحد» وتجيب أمينة: «لأن الغرب يهمه ألا نتذكر تاريخنا».

قصة قصيرة

أنا جميلة لكنى ما زلت طفلة

سفيرة د.عبير بسيونى
abassiouny@hotmail.com

هكذا قالـــو لى أنى جميلة، وســـمونى جميلة. لكى أقسم أنى طفلة لا يعنينى الجمال فى شيء.

نعم، انا طفلة فى الثانية عشر من عمرى، كنت أتمنى أن أكون «الطفلة جميلة»، ولكن هيهات للجمال أن يتركنـــى أنعم بالطفولة. خطأ من هذا؟ وهل هذا خطأ؟ عقلى الصغير لا يحتمل كل هذا!..

أتمنى أن أنام، أن تحنو على والدتى كما كانت قبل تركها لـــى وتهدهدنى كما كانت تفعل فى الماضى وتخفينـــى بين جوانبها وتضمنى لصدرها الحنون وتغنى لى غنوتها التى ألفتها لى بكلمات بسيطة:

نامى يا جميلة. يا ملكة يا أميرة. يا نور عين ماما. وحبيبة قلب بابا. نامى يا جميلة....

أريد فقـــط أن أنام...أختفى... أذوب.... أنتهى..

لا أتذكر أبدا ان قـــاوم جمالى أحد فأنا الجميلة جميلة. منذ المهد والكل يتأمل صنع الخالق ويردد «ما شـــاء الله» جمال ربانى. يقولون أنى كلما كبـــرت زدت جمالاً. أنا لا أتذكـــر كيف كانت حياتـــى كطفلة فى عمر الســـنتين، لكنى ســـمعت من والدتى، وهى امرأة ريفية بســـيطة تؤمن بالعين الحاسدة، أنى ما إن بدأت أحبو وأخطو خطواتى الأولى داخل باحة منزلنا الريفى حتى إجتمع حولى الجيران يتأملون حسن خلق الله وقد خشيت على من العيـــن فمنعتنى من الخروج عليهم وحجبتنى عن أعينهم وألبســـتنى «البيشة» فأصبحت كالغمامة السوداء.

قريتنا تسمى اســـماً غريبا لكن لطيفاً. اسمها «بيشة» واختلفت الأقوال فى اصل هذه التسمية فمنهم من يشيروا لأصولها العربية الأصيلة وأن «بيشـــة» هى نوع من البراقع تغطى به المرأةُ وجهها ما عدا العينين وهى من العادات العربية المنتشـــرة فى كل أنحاء الجزيرة العربية وجنوبه هو أكثر تشدداً فى ذلك. وأن هذه القريـــة المصرية فى بحرى النهر العظيم نهر النيل هى محاكاة لمحافظة بيشـــة التى من المحافظات الزراعية التابعة لمنطقة عسير فى الجزيرة العربية وبها قرابة (240) قرية تنتشر على ضفتى وادى بيشة وروافده وترتفع عن ســـطح البحر بحوالى (2000) قدم.

أغلبية أهل بيشـــه لا يعتقدون فى ذلك بل يؤكدون أن «بيشة» تسمية تركية أصيلة تعنى الغابة السوداء والمصريون شعب يحب الجمال، يقدســـه، ولكن يخشـــى منه. يرى فى الجمال نعمة ســـتؤدى حتماً إلى نقمة، فيشوهه ولا يحافظ عليه. ومنذ القدم وهو لا يقبل سوى الكمال فى الجمال. يعرف الجمال فى البشـــر من كل الأعـــراق والألوان، يفهم نوع خـــاص من جمال المقاييس والنســـبة والتناسب، فهو يعشق الأسمر والأبيض لكن ما زال يفضل الأبيض.. عقدة خواجة.

جميلة أنـــا وبيضاء البشـــرة وخضراء العينيـــن وطويلة بالنســـبة لأقرانى، تركية بالبيشة، هكذا أنشـــأنى والدى ووالدتى منذ عمر الســـنتين. وعندما كبـــرت قليلا وفى الخامسة أدركت أنى لم أكن وحيدة فى سجن «البيشة» فتعرفت فى زياراتى لعائلات أمى وأمـــى أن هناك أقرانا لى كثيرات من طفلات قريتنا. هن أقل جمالاً ومع ذلك يلبســـونها أيضاً. لماذا إذن قالت لى أمى أنى ألبسها لكى تحمى جمالى الخلاب!. ولكن ما باليد حيلة، هى أمى حبيبتى، وهذا ابى الغالى، لابد أنهم يعلمون الصالح أكثر منى.

فى ســـن السادسة أحببت المدرسة، هى تعنى الخروج اليومى من ســـجن «البيشة» حتى وإن كانت داخل قرية بيشـــة. مدرستنا هى مدرســـة بنات وكلنا ما إن ندخل الفصل الدراســـى حتى نتخلص من هـــذه العباءة السخيفة ونلفها كالكرة ونلقى بها فى الريح ونتبارى فيما بيننا من يلق بالبيشـــة لأبعد مســـافة أو لأعلى ارتفاع. نتحرر أم نســـعى للتخفف من الحر، لا نعلم. لكنا أكيد نســـعى للذهاب للمدرســـة ونسعد بلا قيود ونضحك ونلعب كثيراً ونتعلم أيضاً.

انهيت التعليم الأساسى بتفوق، فقد من على الخالق بالذكاء بجانب الجمال. لم أخرج من ســـاحة منزلنا الصغير إلا للمدرسة فقد قلت زيارات أبى وأمى العائلية مع ســـنوات الدراسة الســـت حتى تلاشت تقريباً. لا أعلم لماذا كل مرة نخرج تجرى مشـــكلة بين أبى وامى... أبى يقول: ظهر شعر البنت من تحت طرحتها لم تحكمى ربط ظفائرها فسقطت. وهى تتباهى سقط من نعومة شعرها الذهبى وتردد مثل أو مقولة تكررها بإســـتمرار «ما يظهر منى زكا عني». يثـــور أبى غاضباً ثم يبدأ فى انتقادها هى أيضاً متهما إياها بأنها تتحرك بشكل مغرى أو أن صوتها بدا للرجال وهو أمر لا يصح فى عرفه وعادته. يسب أبى كثيراً وكذلك أمى وتتعالى أصواتهم وينتهى كل حوار بعلقة ساخنة لى بأنه ما كان يخرج إلا لإلحالى له بالخروج وهذه هى النتيجة وأنه يتمنى لو يتخلص من مســـئوليتى المزعجة وتنتهى بذلك زياراتنـــا وأحيانا علاقتنا بتلك الأسرة أو هذه.

أبى ليس ســـيئاً، هو يخشى على. يردد دائمـــا فى كل صلواتـــه «ســـتَر البنت بقا ياربوريحنـــى من همها». ينظـــر إلى كثيراً بحزن، وكأنه يعرف أمـــراً أو يريد أن يقول شـــيئاً ثم يتراجع ويحجـــم. يخرج ليجلس على مســـطبة الدار متأملاً فى وجوه الناس، يراقب الأطفال الذين يلعبون خارج بيتوهم، وينهرنى إذا اقتربت من الباب حتى لا يرانى أحد، متحفزاً لتوجيـــه الإتهامات بالتلصص لمن يقترب مـــن البيت ليحيه أو يجلس معه

حتى أصبح الناس يتجنبون حتى إلقاء السلام عليه.

اقتربت منى جدتى وأنا أحاول أن ألعب وحدى وأخطط على أرض بيتنا وأتصور حواراتى التى كانت تدور بينى وبين رفيقاتى فى المدرسة التى انتهى عامها الدراسى وأصدر مع نهايته والدى فرمان بإنتهاء سنوات الدراسة بالنسبة لى وبالتالى الخروج من المنزل والدلع والتهاون فى التربية معلنا أن الوقت قد حان للإلتزام بالأدب والأخلاق وكأن العلم والتعليم كان خروجاً عليه. احتضنيتنى جدتى بشده وأنا أقول لها مش قدام اصحابى ياستيه يقولوا عليه عيله وطفلة. قالت لى يعنى انتى كبرتى يابنت انتى يابنت ده انتى لسه مكملتيش دستة،يابتاعة الـ11 سنة، ما انتى عيلة، أمال انتى ايه؟ وغمرتنى بالقبلات والدغدغة والزعزغة ولم تتركنى إلا بعد أن أقسمت أنى «عيلة»، وضممتها لكى احتمى بصدرها من الدنيا وما فيها.

بعد ارتفاع صوت أبى العزيز ناهراً أحد الأقارب من شيء ما لم نتنبه ومنعاً لـ«خناقة» جديدة يثيرها والدتى مع البادى والغادى صاحت جدتى من داخل المنزل منادية والدى، فأقبل بعد أن استكمل سبابه وشتمته وإقترب غاضباً من جدتى فهربت فى الحال خوفاً من ان ينالنى شيء من غضبه. وجهت له جدتى اللوم قائلة: هو ايه اللى جرى فى الدنيا يابني؟ انت بقيت مش طايق الناس كده ليه؟ وقافش علينا كده ليه؟ لا أخ بقا بيزورك ولا عم ولا خال. احنا مكناش كده. بيت أبوك ده الله يرحمه كان بيت «لا يخلو من الفئران» عارف يعنى ايه؟ يعنى بيت كرم والرجل رايحةوجاية عليه وعزومات وقعدات. كرهت فيك الناس كده ليه؟ نظر أبى للأرض مليا وجلس بجوار ستى وقال لها: نصيبى كده، جبت بنت! وحلوة كمان! والناس مبترحمش يقطعونى بألسنتهم ونظراتهم وامانيهم فى اغتصابها وكشف سترها. خايف أتفضح ياأمي! خايف من عار البنات! أنا ربنا مرزقنيش غير جميلة ولو ضاعت منى مش عارف هااعمل ايه؟

حوقلت جدتى تكرارا ب «لا حول ولا قوة إلا بالله»، العيال نعمة، والبنات حجاب من النار، ألم يعلمك شيخ الجامع أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (من كانت له ثلاث بنات فصبر عليهن وسقاهن وكساهن كن له حجابا من النار)، وفى أخرى قوله صلى الله عليه وسلم: من كان له ابنتان فأحسن إليهما كن له سترا من النار). وتعلم أن قوله عليه الصلاة والسلام: بشيء ـ يصدق بالقليل والكثير أى يصدق على البنت الواحدة. لست وحدك من له بنات جميلات، جميلة فيه الأجمل منها، أختك وأنا أمك وزوجتك جميلات لكن أهالينا لم تقهرنا أو تعاقبنا لكوننا بنات وتحبسنا لأننا جميلات. وأد البنات انتهى من زمان. كنا نخرج ونلعب ونفرح بطفولتنا فإذا ما جاء النصيب انتقلنا لبيت أزواجنا وكونا أسر وعلاقات جديدة وعمرنا الأرض بجلساتنا ولقاءاتنا. ماذا جرى فى عقول الرجال فى هذا الزمان؟ هل خبرتم من العلم ما لا نعلم فضاقت عليكم الدنيا وضيقتموها علينا نحن النساء؟ لماذا كل هذا الخوف من مواجهة الأقدار: خيرها وشرها؟ أستعذ بالله من الشيطان الرجيم ووسواس نفسك، وتذكر قوله سبحانه وتعالى: (قل لن يصيبنا الا ماكتب الله لنا هو مولانا وعلى الله فليتوكل المؤمنون).

يرد والدى على ستى: اسكتى انتى، كلكن ناقصات عقل ودين. هو ده كان دين اللى كنتم ماشيين عليه. بس فعلاً. أنا هااخلص من البت بالجواز. الشيخ فتحى

أنا جميلة لكنى ما زلت طفلة

اللى لســـه راجع من الخليج بناته مشفهمش حد وجوزهم وسترهم وهما فى عمر جميلة، جوزهم رجالة والبنات ماشـــاء الله عاملين له عـــزوة. وجميلة خطابهـــا كثير ومن يوم ولادتها. أنا هااختار لها واد حلو من دورها، مش هااعمل زى الشيخ فتحى وأبيعها لزوج غنى، جميلة دى نور عينيه، ويبقا جالى الولد وأعيشهم سوا معانا.

جزعت الجدة الحنون مـــن تفكير إبنها البكرى الذى ربته داخـــل حجرها وزوجته فى بيتها ثم لم تعد تعرفه! ولا تود أن تعيش معه فى هذا الظلام الذى لم يأتى به الإسلام. صرخت فى وجهه: هذا إجـــرام ولا يرضاه الشـــرع ولا الدين. انت واعى باللى بتقوله، البت لســـه بتكبر، تفهم ايه فى الجواز، دى حتى ما جتش عليها الدورة لسه.. استنجدت بأم جميلة لعلها تثنيه عما هو فاعل فوجدتها تقـــول : البت حاضت الشـــهر ده أول مرة، مبـــروك ياابو جميلة، ومالـــه ياخويها بنت خالتها اتجوزت من شـــهرين وهى بنت 13 ســـنة من واد فرع فى الـــ16 وفرحانين ومتهنيين فـــى بيت أمها، علـــى الأقل البت متبعدش عنى ويجى واحد ياخدهاومعرفش عنها حاجة ولا تجيلنا زى البنات المتعلمات واللى بيجوا فى التليفزيون ويقولوا عايزين ده ومش عايزين ده... خلينـــا نفرح بقا... ووجهت الكلام للجدة: أبوهـــا ياأماوبيدور على مصلحتها...ثم أجلســـت الأب الذى كان قد وقف غاضباً وهمســـت له: خلينا نجوزها إبن خالها، أخويا خلـــوق وعلى دين ومراته مخرجتش من البيت من يوم جوازهم، يعنى زينا ونفس تفكير جماعتنا ومتنساش هما من أخدونا لشـــيخ فتحى ودروس علمه الواسع. وعندك كمان الواد ابن جارتنا ... الحليوة ده أبو عيون زرقاء، جـــاب البطاقة من يومين يعنى خلاص 16 سنة ويجبوا لنا عيال جمال كده نفرح بخلفتهم.. وربنا يرزقنا ونخاوى جميلة... انت متيـــأسشياراجلهنجيب ولاد ان شاء الله...واستمرت الأم تتحدث وتهمس حينا ويعلو صوتهـــا حينا ولكن جدة جميلة كانت كما لو أصابها الصمم، ولم تعد تســـتوعب المؤامرة التى تحاك على صغيرتها الجميلة.

اندهشـــت العجوز من هـــوان حفيدتها الحبيبة جميلة على من «يدعون» أمها وأبوها. وخرجت مســـرعة تستدعى الأعمام والأخوال من أخواتها وأخوات زوجها رحمه الله لعلهم يثنـــوا الأب المجرم عما هـــو فاعل بلولؤتها جميلة. لكن هيهات أن يستمع الجهل لصوت العقل، أبـــو جميلة ممن يقـــال عنهم أنهم متعلمين، يحمل شهادة دبلوم زراعى، متعلم اســـماً وجاهل فعلاً، لكن الجهل ليس عكس العلم ولكن الجهل: أن تعتقد الشـــيء على خلاف ما هو عليه، هو ضيق الأفق والتمسك بالخطأ، هـــو أن يخفى الحـــق عنك وتتبع الباطل، والجاهل ضد العاقل.

عقد الأب العـــزم على المضى فى فعلته، واختار بإيعاز مـــن الأم «الولد الجميل» أبو عيون زرقاء للطفلة الجميلـــة لكى يعجبها بشـــكله فتفرح به ويفرحون هم بها، كأنهم يريدون إنشاء ســـلالة «حيوانية» من رائعى الجمال فيضيفوا بذلـــك «الحور الجدد» لما يتباهون بـــه فيما بينهم كأحـــد إنجازاتهم فـــى الحياة. وهكذا اعتبـــر والدى جميلة أن قريتهم «بيشة» الغارقة فى الغمامة السوداء ستفخر بالسلالة الراقية من البيض العذارى المدفوســـين تحت الملابس الدافئة لهم بدلاً من التراب، أُقيمت الأفراح التى قاطعتها جدة جميلة وانتقل العريس لبيت العروس جميلة، وخرجت الجدة من بيتهـــا الذى أصبح بيت ابنها الأكبر (وفقـــاً لعادات الريف) إلى بيت زوج ابنتها مدرس اللغة الإنجليزية فى مركز القرية. وتتبعت الجـــدة ذات القلب المرهف أخبار حفيدتها من بعيد.

فى البداية سمعت الجدة أن جميلة فرحت كثيراً بالفســـتان الأبيض والخروج لشـــراء الشوار ولبس الذهب الذى أهداها لها «شيوخ الخليج». لم يعد التســـنين متاحـــاً بعد أن ضيقت الحكومة على مراكز السجل المدنى بعدم قبول ســـاقطى القيد. لكن هل تنعدم «فهلـــوة» المصرييـــن وإحتيالهم عن تنفيذ ما عقدوا العزم عليـــه. زوجها والدها عرفى خاصة وأن الولد أيضاً لم يبلغ ســـن الزواج (18 عام) بعد فهو ما زال فى السادسة عشر. ليلة العمر كانت فرح ورقص وضحكت جميلة حتى الصباح. ليلة عرسها مرت بألم ونزيف – لعـــدم إكتمال نمو أعضاءها التناســـلية – استمر شـــهر كامل حتى إلتأم جرحها بعد عرضها على طبيبة النساء بالقرية. رغم آلام الصغيرة جميلـــة لم تكره «زوجها» فهد فقد إعتادت جميلة على الألـــم من ضرب والدها المتكرر وهو يكرر مثلنا الشهير «اكسر للبنت ضلع يطلع لها أربعة وعشـــرين»، على الأقل ابوها لم يعد يضربها، وألـــم اللقاء الزوجى لا يكون ســـوى بالمساء. أما بالنهار فجميلة تلعب مع الفتـــى فهد الذى يعـــرف ألعاباً كثيرة من لعب الورق «الكوتشينة» والسيجة والطاولة وغيرها من ألعاب لم يكن مسموحا لها اللعـــب بها وأصبح يأتى بهـــا لها. فهد زوج جميلة ليس ولداً سيئاً ولكنه صبى فى عنفوان قوته إحتياجاته ورغباته كثيرة ترهق الصغيرة جميلة وغضبه سريع ويده طويله عليهـــا. أبوها لم يعد يضربهـــا لكن زوجها ضربه أوجع.

لم يمض ثلاثة أشهر على زواج جميلة من فهد الفحـــل إلا وثمار الزواج كانت قد أينعت وأصبحت حامل. فرحت كثيراً لأن أمها ذكرت لها أن فهد لن يقربهـــا طوال حملها لا بلقاء زوجى ولا بضرب فهـــى تحمل إبنه أو بنته. فرح الجميع من أهل العروســـين بل والقرية جميعها، تحملـــت جميلة آلام الحمل ومتاعبه التـــى لا تطيقها الســـيدات اليافعات فكيف بها. عادت مرة أخرى وحيدة غير مســـموح لها أن تلعب أو تخرج أو تعمل أى شيء لأن الطبيبة قالت أن حملها خطير وقد يسقط فى أى لحظة لعدم إكتمال الرحم، وأوصت بعدم الحركة. حبســـوها فى غرفتها كى لا تجرى كما كانت تفعـــل بين أنحاء البيت كل صباح فلم تهـــدأ، قيدوها فى الســـرير كالمجانين فأخذت تبكى وتنـــادى جدتها وإمتنعت عن الطعام حتى حضرت الجدة منزعجة.

...»إلحقينيياستى» صاحت جميلة....

إيه اللى انتمعاملينه فى البنت ده ...فكوا الحبال دى ... حتى علشـــان العيل اللى فى بطنها..

تفك الأم الحبال وهى تقول: بس يا جميلة متتنطتيش ومفيـــش لعب يابت. انتيمبقتش صغيرة. هااعملك شاى ياأما... كده متجيش اربع شهور بحالهم.

تبكى جميلة فى حضـــن جدتها وتقول لها: عايـــزه ألعب ياســـتو... هاالعبإمتى؟ خليكيمعايا ونلعب سوا..

دخلت الأم ســـريعا وفقاً لتوصية زوجها بعدم ترك البت مع جدتها «المتحررة» التى لا تلبس النقاب لكى لا تلخبط دماغها وخوفاً من أن تقـــول لها أى شـــيء يجعلها تتمرد فيضربها أبوها أو زوجها.

....عقليها يـــا أما علشـــان مصلحتها ومصلحة العيل اللـــى فى بطنها... وهتلعبى وتتهنى لما تولدى وتقومى بالســـلامة- بس استحملى يا جميلة وشدى حيلك هاتيلنا واد ولا بت زى القمر يا جميلة الجميلة.

نظرت جميلة لجدتها تستنجد بها. أدركت الجدة الموقف وتعقيداته، لم يعد هناك خط رجعة، والبنت اتجوزتهتطلقها يعنى، طيب والعيل اللى هتجيبهتقعد عليه طول عمرها وهيحرمها ابوها مـــن الزواج والخروج وكل

حاجة... خلاص وقع الأمر وانتهى.

قالت الجـــدة: يا نور عينـــى يا جميلة مبروك يا حبيبتى هتبقى أم يا حلوة عروسة أم عروسة.. هنلعب ونفرح كلنا.. يومين ثلاثة وهنقومونلعب .. ونخرج سوا ونلعب اول ما تولدى..

نظرت جميلة لجدتهـــا باكية مترجية، وتمســـكت بجلبابها كالطفل الصغير فقالت لها: هأرجع لك لمـــا تولدى وهاأقعد معاكى على طـــول، وقبلتهـــا قبلة طويلـــة حانية وخرجت.

لم تتحمل الجدة ما رأته من حال حفيدتها التى ذبلت وشاخت وهى لم تصل بعد الثانية عشـــر. عادت الجدة حاملة الهم لبيت زوج ابنتها مشـــياً ولم تســـتجب لصبيان «التك تك» وهم عديدون وهم يحثوها على الركوب معهم. وما إن وصلت لإبنتها حتى طلبت زوج الإبنة فأســـرع قادما من مدرسته. وجمعت جدة جميلة أحفادهـــا من إبنتها وأكبرهم لم تتجاوز الثامنة ووصتهـــا عليهم خصوصاً البنات، وقالـــت لزوج ابنتهـــا: عاهدنى يا إبنيمتجوزش البنـــات إلا لما يكملوا تعليمهم ويكبروا. رد بتأكيد: طبعا يا أما إمال ايه؟ انا أعرف الأصول والشرع والدين. ثم أضافت: لو حصل لى حاجة محدش يقول لجميلة. زوروا جميلة حتى غصب عـــن ابوها، دى لحمك يا بنتى وانتى عمتهـــا. فوعدتها ابنتها أن تزور جميلة وتتحمـــل كلام أخوها وصده وأحياناً طرده لها ولزوجها وتشويهه لصورتهم فى القرية لتعليمهم البنات.

دخلت الجدة لتنام وهى تعلم أن جسدها الضعيف لن يتحمل من مآسى الدنيا وويلاتها أكثر من ذلك. استســـلمت للبكاء حتى نامت ولم تستيقظ بعدها.

جاء يوم الولادة سريعا، فلم تكمل جميلة الشـــهر الســـابع حتى وقرر الأطباء موعداً للولادة وإشـــترطت الطبيبة المعالجة أن تتم الولادة لصعوبتها فى المستشـــفى، فدخلت جميلة باسم والدتها لكى يسمحوا بتسجيلها فى قســـم الولادة، إذ كيف لطفلة فى الثانية عشر أن تدخل قسم النساء والطبيعى دخولها قسم الأطفال.

بمعجزة إلاهية نجت الصغيرة جميلة من موت محقق، وكذلك نجت الطفلة الصغيرة.

غضب الزوج فهد فـــى البداية من نوع المولود، كان يرغب فـــى ولد، ثم عندما رأى جمال الطفلة الصغيـــرة، وقع فى حبها كما فعل أبو جميلة من قبل. وأســـرع إلى جميلة وقبلها فى وجنتها وقال لها: نسميها قمر... قمر فهد ... قمر بنت جميلة.

قضت جميلة شهر كامل فى المستشفى حتى تماثلت للشفاء واســـتطاعت أن تقوم من السرير بمســـاعدة والدتها. لم تستطع جميلة أن ترضع ابنتها قمر فلم ينمو لجميلة بعد ثدى. بعد مشاكل مع إدارة المستشفى، خرجت جميلة وطفلتهـــا متخفيين وأخفى المســـئولين - بمقتضى الرشاوى وبعد أن أظهر الأب وثيقة زواج البنت عرفياً - واقعة الولادة...

عادت جميلـــة للمنزل. لكنهـــا لم تعد وحدها، عادت معها رفيقة لها، طفلة جميلة اســـمها قمر. حاولت جميلة أن تعتاد الوضع الجديد. نعم كانت تشـــتاق للصحبة، لكنها كطفلة لم تعتد عليه. فجأة وجدت لها منافس؛ طفلة منها لكنها هى نفســـها طفلة مثلها. جميلة عاشت وحيدة والديها، وبرغم قسوتهم لم تعدم التدليل. الآن عليها مسؤليات وأعمال كثيرة من تغيير للطفلـــة الجديدة وتجهيز رضعات و..و... الـــخ.. أعمال لم تنتهى ولم تعتد عليهـــا. كما أن أيام النفـــاس انتهت، والفحل فهد يود أن يعاود نشاطه فلقد صبر طويلاً وهى لا تريد جرحاً جديداً ولن يتركها إلا وقد أخذ منها ما يرجو...

تقف جميلة فى وســـط الـــدار وتصرخ وحيدة لعل هناك من يســـمعها: أين جدتي؟ لماذا تمنعوهـــا عني؟ أريد أن أراها؟... كنتم تكذبون على: قالت ستى أنى سألعب بعدما ألد؟ وقد ولدت.... أريد أن ألعب...

يحضر الأب والـــزوج والأم على صوت جميلـــة... ويتبرع الأب بالصـــراخ فى إبنته خوفاً من أن يقسو فهد على جميلة ويضربها بشده كما كان يفعل قبل حملها ولن يستطيع أن يمنعه بعد ان وضعت حملها. يصرخ الأب فى ابنته جميلة: انتيبتعملى ايه يابت الكلب؟ قمر فين؟ ســـايبة بنتك بتبكيوجاية تسألى على جدتك؟ ســـتك ماتت وشبعت موت من شهور ومقولنالكيشعلشـــانمتزعلى... الحى أبقى مـــن الميت... اتلمى بقا وروحى لبنتك. خروج من البيت مفيش.. لعب مفيش...

ويرفع الأب حذاؤه فتنظر جميلة إلى أمها فى إســـتئذان لكى تحتمى بها فتراها تشيح عنهـــا وتضم يدها لكى تمســـكها لأبيها كى يضربها فتهرب منها بدلاً من أن تذهب إليها ثم تنظر لزوجها فترى فى عينيه كل الشـــر. لا تجد حلاً ســـوى التحصن بحجرتها التى أصبحت حجرة زواجها ومن بعد ذلك حجرة اسرتها الصغيرة الجديدة المكونة من جميلة وفهد والمولودة قمر.

تدخل الحجرة/المـــلاذ وتغلقها خلفها... تنظر إلى قمر، جميلة بالفعل هى وربما أجمل

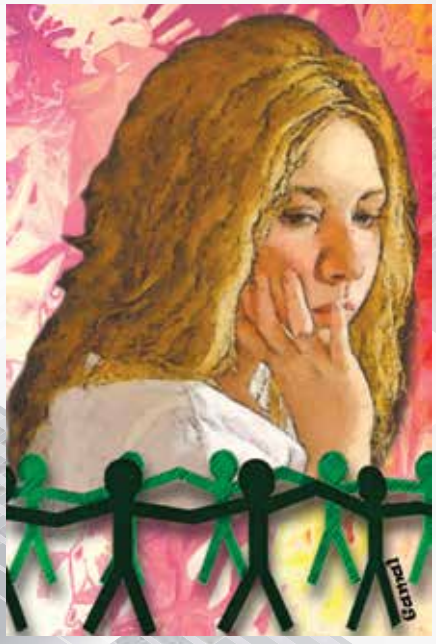

منها لكنها ستكون مثلها طفلة لا تلعب....

الطفلة قمـــر تبكى بإســـتمرار فاللبن البديل غير مشبع... وجميلة ليس لديها ثدى لترضعها. تبحث جميلة عن ثدى لها لتضم له ابنتها كما ترى من الأمهات فلا تجد... تحزن وتبكى..

تصرخ فـــى صمت: أنا طفلـــة ....والله طفلـــة..... لا يمكن أن يحـــدث لى هذا... لا أســـتطيع على كل هذا.. اصمتـــى يا قمر... اصمتـــى وإلا ضربتك كما يفعلـــون بى... اصمتى يا صغيرة...فأنا مثلك صغيرة..

أريـــد فقـــط أن أنـــام...أن أختفى... وأذوب....وأنتهى..

لا... ســـأذهب للعب والآن ولن يمنعونى ســـأخرج غصباً عنهم وســـآخذك معى يا صغيرتى قمر... لنخرج سوياً من هذا السجن. لن أسمح أن يضعوكى فيه مثلما وضعونى... إهدأى يا صغيرة.. إهدأييا قمر... سنقفز معاً إلى بر الآمان... من هذا الشـــباك... هو ليس بعيـــداً رأيت القطة تقفز منـــه وكذلك البط والأوز. إننا صغيرتين مثلهما.. سنقفز ونلعب فى الشـــارع الفســـيح ونجرى حتى الترعة القريبة ثم نســـأل على بيت عمتى... هناك سأجد جدتى وستحمينى من كل الدنيا...يلا نقفز... يلا نهرب... يلا نعيش...

صرخات مدوية من كل مكان.... أصوات إسعاف وعربات موتى وصراخ وعويل...

وروح جميلة تقول: خرجت وســـألعب، ولن أعود لسجن الحياة..

أنا طفلة وبنتى طفلـــة ولن نتخلى عن طفولتنا...وتبتسما الطفلتين.

اعداد : نادية الريس

بدأت رحلات الرابطة لهذا الموســـم ببداية مختلفة لمـــكان يعتبر من أجمل جزر نهر النيل (جزيرة الذهب) والتى تقع فى قلب النيـــل مواجهة للمعادى، وهى تتبع محافظة الجيـــزة، وخدماتها تتبع محافظة القاهرة (الكهرباء والماء) حى السيدة زينب.

جزيرة وقصر وحدائق، والســـيد نجيب مالك القصر والحدائق وبعـــض الفلاحين المقيمين مالكين لبعض الأراضى بها أيضاً. جزيرة تبعد عن أول المعادى سبع دقائق بالمركب تقريباً.

وكأنك انتقلـــت لمدينة أخرى وعالم آخر من الهدوء والســـكينة والجمال.

أما القصـــر المملوكى الذى تم البدء فى بنائه على هذا الطراز منذ ما يقـــرب من الربع قرن لم يكتمل بعد..

زيارة جميلة اكتملت بوجبة من المشلتت الفلاحى ومشتملاته.

ـ لقاء الرابطة الشـــهرى كان بحق مختلفـــاً، ضيفة الرابطة لهذا الشهر كانت خبيرة الصحة البدنية الشـــهيرة «ســـامية علوبة» التى

تحدثت عن بداياتها وخبراتها فى اللياقة البدنية:

ميزاتها ومنافعها وما يناسب كل الأعمار منها، تلا ذلك استفسارات وأسئلة كثيرة من العضوات وأجابت علـــى الجميع باســـتفاضة وحب وهدوء، أضفى على الاجتماع نوعاً من الاسترخاء والهدوء والسعادة، خاصة بعد أداء بعـــض التمارين البسيطة التى ســـاعدت على ذلك، شكراً لغادة شـــلتوت على توجيه الدعوة للضيفة الكريمة وشـــكراً سامية علوبة.

رحلة تاريخيـــة للإسماعيلية

فى يـــوم رائع وجو بديع وصحبة جميلـــة وترتيب متقـــن، كانت زيارة الرابطة فى أوائل ديســـمبر الماضى لهيئة قناة السويس:

ـ استقبال رائع متميز من الفريق مهاب مميش وجميع العاملين بالهيئة.

ـ محاضرة تفصيليـــة عن القناة الجديدة ونشـــاط الهيئة الاقتصادية لقناة السويس.

ـ الجولة البحريـــة الرائعة لنرى قناتنا الجديدة فخر مصر والمصريين.

ـ كم أحسســـنا بالفخر والسعادة عندمـــا رأينـــا واســـتمعنا للخطط والمشاريع والحماس الذى تحدث به العاملون فى أنفاق القناة وسعادتهم بما أنجزوه لبلدهـــم مصر، فعلاً هذا هو المشـــروع الذى ينقل مصر نقلة اقتصادية وتنمويـــة كبيرة بعد انتهاء الأنفاق والســـحارات الأربعة ومدينة الإســـماعيلية الجديدة المعدة لسكن مليون شخص فور الانتهاء منها.

ـ زيارة بيت ديليسبس ومشاهدة مقتنياته وحجرته جزء مهم من تاريخ مصر والقناة، أظن ســـيصبح من أهم متاحف مصر عند اكتماله.

الشكر الجزيل باسم جميع عضوات الرابطة وباسمى لسعادة الفريق مهاب مميش وجميـــع العاملين بالهيئة على حسن الاستقبال وحفاوة التقدير.

هيئة قناة السويس

تحيا مصر
مشروع أعماق قناة السويس بالإسماعيلية

مشروع أعماق قناة السويس بالإسماعيلية

حول الدعوة للاحتفال بمئوية السادات التى تصادف ميلاد السيد المسيح

كتب كثيرون من أصحاب الرأى فى مصر والبحرين وغيرها من الدول مقالات حول الذكرى المئوية لميلاد الرئيس الأسبق محمد أنور السادات الذى ولد فى 25 ديسمبر 1920 وحظى عبر السنين بوجهات نظر مختلفة من القطاعات العديدة فى المجتمع المصرى والعربى بل والدولى وبخاصة نتيجة مبادرتين قام بهما وهما حرب أكتوبر1973 فى العاشر من رمضان ثم مبادرة زيارة القدس فى 19 نوفمبر 1977 سعياً للبحث عن السلام.

سفير د. محمد نعمان جلال
galal_m@hotmail.com

وكباحث مصرى عاش تلك الفترة المظلمة منذ 1967 حتى 1973 عندما تحقق نصر أكتوبر (العاشر من رمضان) ثم بوادر الانفتاح والعقلانية بمبادرة القدس. ولا أفشى سراً أننى صدمت من زيارة الرئيس السادات للقدس وكنت أثناء الحدث فى لندن لدى أحد أصدقائى الفلسطينيين وشعرت بالحزن والأسف خجلاً من تلك المبادرة. وعندما عدت لموقع عملى فى النرويج حيث كنت دبلوماسياً مصرياً أعدت التفكير فى الأمر ووجدت أنه ليس هناك أحسن من ذلك، وخلصت إلى أن السادات صاحب رؤية إستراتيجية منها ما هو صادق وممتاز وقليل منها تشوبه الشوائب، وبعد دراسة متأنية خلصت إلى أن قرارى الحرب والسلام فى خانة القرارات الصائبة بينما قرارات الانفتاح الاقتصادى كانت نصف صائبة بالتوجه للرأسمالية المتوحشة كذلك قرار الارتماء فى حضن جماعات إسلامية أطلق الجنى من عقاله فأدى لبروز جماعات متطرفة إسلامية ومسيحية وزاد من التصادم بين الاثنين وهما عنصرا الأمة المصرية اللذان تعايشا عبر العصور معاً، وحقاً كانت ثورة 1919 نموذجاً للوحدة الوطنية عندما رفعت شعار «الدين لله والوطن للجميع» وعندما خطب القسوس فى المساجد وخطب الشيوخ فى الكنائس وعندما رفع شعار تعانق الهلال والصليب وكان سعد زغلول هو قائد الوفد المصرى فى ثورة 1919 ومكرم عبيد أصبح نائب رئيس حزب الوفد. هكذا برزت الهوية المصرية الواحدة والمتماسكة.

أما قرار السادات بالإفراج عن الجنى فكان قراراً غير صائب وساعد فى انطلاق التطرف والتعصب فى مصر والذى أدى لمقتل السادات نفسه بيد أحد المتطرفين فى يوم الاحتفال بنصر أكتوبر المجيد. ومصر هى الوطن الذى عرف بالسلام والتسامح والوئام عبر العصور منذ دخول الإسلام الذى هو دين التسامح. أما المسيحية فهى دين المحبة كما أن السيد يسوع المسيح عليه السلام الذى نحتفل بذكرى ميلاده فى هذه الأيام وهى الخامس والعشرون من ديسمبر وأيضاً فى السابع من يناير لاختلاف حساب التقويم القبطى عن التقويم الميلادى الرومانى. نقول إن يسوع المسيح أو سيدنا عيسى عليه السلام جاء لمصر مع أمه السيدة العذراء مريم وعاش فيها وبارك أرضها. كما أن النبى محمد عليه الصلاة السلام ارتبط بمصر فالسيدة هاجر أم إسماعيل جد النبى محمد مصرية والسيدة ماريا القبطية التى تزوجها الرسول وأنجب منها ولده الوحيد إبراهيم الذى انتقل إلى رحمة الله وهو طفل صغير، ولعل لذلك حكمة من الله سبحانه وتعالى ولكن المسلمين بعد ذلك لم يفهموا مغزى هذه الحكمة وتصارعوا على السلطة بصورة غير سليمة وهذا أشد ما يؤلم كثيراً من المسلمين العقلانيين. وحقاً كتب أحد الأكاديميين المصريين الدكتور على الدين هلال مقالاً بجريدة الأهرام فى أوائل ديسمبر 2018 عن ضرورة التفرقة بين تاريخ المسلمين وبين تاريخ الإسلام وأن مصطلح تاريخ الإسلام ليس دقيقاً والصحيح أنه تاريخ المسلمين وشتان بين المصطلحين كما أننى فى كتابى المعنون «الإسلام والمسلمون فى القرن الحادى والعشرين: التحديات والاستجابات» المنشور من المكتبة المصرية اللبنانية بالقاهرة عام 2007 تناولت فيه تفصيلاً كيف أساء المسلمون أو بعضهم للإسلام وخرجوا عن قيمه الصحيحة ونظرته للأديان الأخرى وفهموا خطأ نقد القرآن لسلوك بعض معتنقى الأديان والصحيح أنه ليس نقداً للمسيحية أو اليهودية أو غيرها وإنما نقد لسلوك بعض أتباع تلك الديانات، وهو سلوك سار عليه بعض المسلمين بالابتعاد عن صحيح الدين وهذا يفسر لنا الصراع الذى عاشه تاريخ المسلمين وتاريخ المسيحيين وكلاهما حمل شعاراً دينياً. فالسيد المسيح والمسيحية بريئون من الغزوات الصليبية الاستعمارية كما أن الإسلام والمسلمين بريئون من داعش وأشباهها وإنما هى مطامع استعمارية وسلطوية كما قال البابا السابق شنودة رحمه

الله «إن مصر ليست بلدا نعيش فيه وإنما هى وطن يعيش فينا». وبالتأكيد هى ليست وطن المسيحيين فقط أو المسلمين فقط فهذه الأديان جاءت تباعاً إلى مصر التى سبقت كافة هذه الأديان بحضارتها وشعبها ووجودها بل إن لمصر دوراً فى بلورة وحماية هذه الأديان ضد الطغاة من المسيحيين أو المسلمين ولعل من نماذج ذلك ما يعرف بعصر الشهداء فى التاريخ المسيحى عندما قام المسيحيون الرومان بذبح آلاف من المسيحيين الأقباط لاختلافهم فى المذهب وأيضاً عندما قامت داعش بذبح المسيحيين فى بعض الدول مثل سوريا والعراق وغيرها وهم أيضاً ذبحوا المسلمين وقتلوهم فى مختلف البلاد العربية والإسلامية ومنها مصر عبر الإرهاب الذى تقوم به داعش وتابعوها من مختلف الأسماء التى ما أنزل الله بها من سلطان عندما اعتدى ودمر المنحرفون المصريون بعض الكنائس فى السنوات الأخيرة. وما يقوم به المتطرفون فى سيناء ضد الجيش والشعب حتى فى مساجدهم فى هذه البقعة الطاهرة من أرض مصر التى مر بها الكثير من الأنبياء والصالحين والقديسين والله سبحانه وتعالى كان لهؤلاء الطغاة بالمرصاد من قمبيز الفارسى إلى التتار وهولاكو والمغول والعثمانيين والصليبيين وغيرهم.

ولكن مصر دافعت عن نفسها وعن عروبتها وإسلامها العقلانى المعتدل وكان الله مع شعبها وجيشها وأبناء الشعب المصرى الطيب المسالم والوديع وجيوشها فى قتاله مع الصليبيين والتتار والأتراك العثمانيين الذين لولا وقوف الغرب الاستعمارى معهم ضد جيش مصر فى عهد محمد على باشا ما بقيت الدولة العثمانية وقد جعل الله مصر بلدا آمناً ومستقراً وشعبها ودوداً وصبوراً وحقاً قال تعالى «ادخلوا مصر إن شاء الله آمنين».

أما بالنسبة للغزوات والقتل باسم الإسلام فإن الدين الإسلامى برئ منه فالرسول وصحابته أوصوا المجاهدين بعدم المساس بالأديرة والرهبان وعدم المساس بالأطفال والنساء وكبار السن وأكد القرآن على مبدأ التسامح والعدالة فى آياته تجاه الأديان الأخرى بقوله «لكم دينكم ولى دين» وأشير بوجه خاص لبعض الآيات التى ينساها بعض المسلمين وبعض رجال الدين وهى آيات فى سورة الممتحنة حيث يقول جل شأنه فى تلك السورة «لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ» هذه الآية الكريمة هى المبدأ الثابت فى الإسلام فهى ليست خاصة بالمشركين فى مكة بل هى تجاه مختلف العقائد والطوائف عبر العصور وهذه رسالة واضحة ودعوة للسلام والتعاون مع من لم يقاتلوا المسلمين فى الدين أى لإخراجهم من دين الإسلام ولم يخرجوهم من ديارهم. وهذا النص المتضمن المبدأ الصريح هو أساس الإسلام ودليل على خروج كثير من المسلمين عن المبادئ الصحيحة للإسلام. كذلك الموقف فى آيات مماثلة فى المسيحية عندما يقول السيد المسيح «أحبوا أعداءكم وباركوا لاعنيكم» أو يقول «من ضربك على خدك الأيسر فأدر له خدك الأيمن» وعندما يقول الإنجيل «مبارك شعب مصر» ويؤكد القرآن هذه المباركة فهى من الله سبحانه وتعالى منزل جميع الأديان وجميع الكتب المقدسة.

وهناك التفسير الخاطىء لمصطلح الدين فى القرآن من قبل البعض فقد ذكر الله فى القرآن الكريم «إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَن يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ» فالدين هنا هو مصطلح عام، والإسلام هو مفهوم عام، يعنى السلام والاستسلام لإرادة الله العلى القدير مالك السموات والأرض وما بينهما وخالق الكون بأسره ولا شريك له فى ملكه. إذن المصطلح القرآنى يشير لمفهومين أولهما خاص بالدين الذى جاء به محمد عليه الصلاة والسلام، وثانيهما معنى عام يعنى التسليم لإرادة الله والخضوع له وإقامة السلام والعدل بين الناس وبين الأديان وليس مجرد العبادات بلا روح ولا قيم أو مبادئ. وعندما قام أحد المسلمين فى إحدى المواقع بقتل أحد الجرحى بعد أن سمعه يقول أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وعاد للنبى فقال له كيف تقتله وقد نطق بالشهادتين فرد الصحابى بأن الرجل إنما أراد أن ينقذ نفسه وليس بصادق فرد عليه النبى الكريم قائلاً هلا شققت عن قلبه. وهكذا يؤكد الإسلام مراراً

حول الدعوة للاحتفال بمئوية السادات التى تصادف ميلاد السيد المسيح

وتكراراً أن القتل للنفس البشرية بدون ذنب حرام وأن قتل المسلم الذى ينطق بالشهادة حرام. والإسلام بقيمه يرفض قتل النفس بلا مبرر ولا ذنب ويرفض أعمال الفئات الضالة التى تقتل أنفسها والله سبحانه وتعالى قال «وَأَنفِقُوا فِى سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ» وجاء فى القرآن الكريم «من قتل نفساً بغير نفس أو فساد فى الأرض فكأنما قتل الناس جميعاً».

إنه لحرى بنا أن نستذكر كل هذه القيم فى بداية العام الجديد سواء كان عاماً هجرياً أو ميلادياً أو نحو ذلك من التواريخ الإنسانية فى مختلف الحضارات. وأذكر واقعة معى أننى كنت أحياناً أقوم بخطبة الجمعة فى مسجد والد زوجتى المغفور له بإذن الله العالم الجليل الشيخ عبدالرحيم جمعة الشريف وهو من سلالة النبى محمد عليه الصلاة والسلام وذلك بمدينة نصر وتصادف يوم الجمعة أول أيام السنة الميلادية آنذاك فخطبت عن السيد المسيح وميلاده وتاريخه وعلاقته بالنبى محمد عليه الصلاة والسلام الذى قال فى حديث له رواه أبوهريرة رضى الله عنه أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((إنَّ مَثَلى ومثلَ الأنبياء منْ قَبلى، كَمَثَلِ رجلٍ بنى بَيْتًا، فأحْسَنَهُ وأجْمَلَهُ، إلا مَوْضعَ لَبِنَةٍ من زاوية، فَجَعَلَ النَّاسُ يَطُوفونَ بِهِ، ويَعْجَبونَ له، ويقُولونَ: هَلَّا وُضِعَتْ هذه اللَّبِنَة؟!))، قال: ((فأنا اللَّبِنَة، وأنا خاتمُ النَّبيِّينَ))؛ رواه الشيخان، واللفظ للبخارى. والآية القرآنية الكريمة فى القرآن التى قالت على لسان السيد المسيح «ومبشراً برسول يأتى من بعدى اسمه أحمد» (6 سورة الصف).

ونتساءل هل يمكن لأى مسلم يؤمن

بالقرآن وبالنبى محمد أن يعترض على الاحتفال بميلاد السيد يسوع المسيح عليه السلام والقرآن يقول «لا نفرق بين أحد من رسله» ولذلك فإن مصر المتسامحة عبر العصور والمتحابة مع إخوتها من المسيحيين خاصة الأقباط ويزور شيخ الأزهر الكنيسة فى المناسبات الدينية كما يزور البابا ورجال الكنيسة الأزهر بل يحتفلون بشهر رمضان المبارك ويقيمون حفل إفطار يدعون إليه شيخ الأزهر وكبار علماء المسلمين إعمالاً لقول القرآن الكريم «اليوم أحل لكم الطيبات وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم وطعامكم حل لهم» (المائدة 4).

والاحتفال بالذكرى المئوية للرئيس الأسبق محمد أنور السادات رجل الحرب والسلام وداعية بناء مجمع الأديان فى سيناء لا غبار عليه بل هو ضرورة، فالسادات زعيم مصرى وعربى ودولى سبق عصره فى الدعوة للسلام وحققه لمصر، وكان يمكن أن يتحقق للفلسطينيين والدول العربية الأخرى لو ساروا على نهج السلام الذى أوضحه السادات فى خطابه بالقدس عند زيارتها. وكذلك مباحثات السلام وضعت أسس العمل السلمى برفض التنازل عن الأراضى المحتلة فى سيناء لأنها أرض مصرية غير متنازع عليها تاريخياً بخلاف أراض أخرى ارتبطت بتاريخ العرب والمسلمين، والمسيحيين واليهود وأنبيائهم.

ولذلك فإن عمر بن الخطاب عندما تم فتح القدس وسافر عمر للقدس ليتسلم مفاتيحها بناء على طلب بطريرك القدس أجاز السماح لليهود بزيارتها. وعندما حان وقت صلاة الظهر خرج عمر وصلى خارج الكنيسة

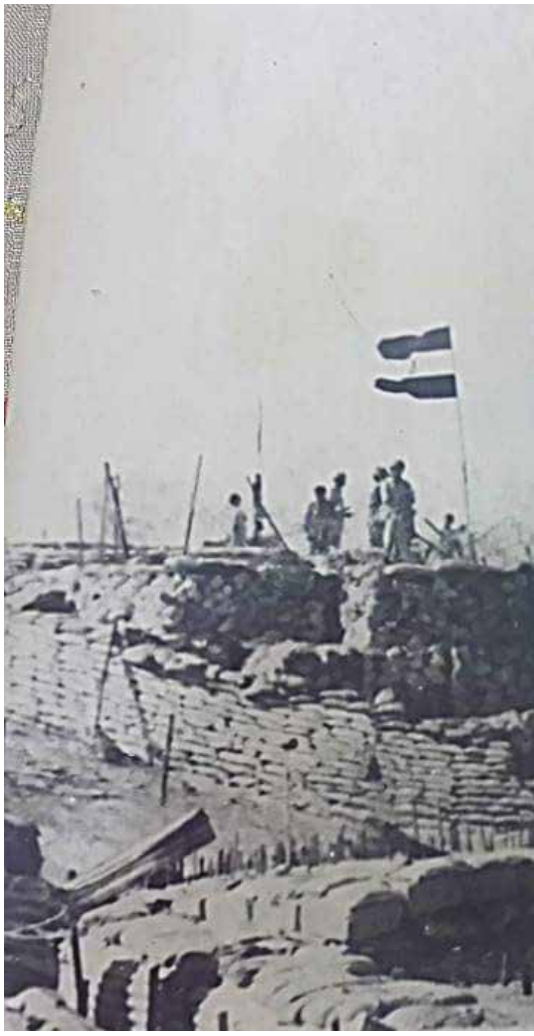

فقيل له لماذا لا تصلى بالداخل أليست بيتاً من بيوت اللـــه؟ قال: نعم ولكننى خشـــيت أن يأتى المســـلمون بعدى فيستولون عليها ويقولون إن عمر صلى هنا. والتاريخ يؤكد أن الديانات الثلاث عاش بعض أتباعهـــا فى تلك الأراضى المقدسة عبر الســـنين ولذا فإنه حرى بنا معشـــر العرب والمسلمين الاحتفاء بالذكرى المئوية للســـادات وجعل ذلك يوماً دولياً مثل الاحتفاء بغاندى الزعيم الهندى ومانديلا زعيم جنوب أفريقيا. لقد حصل الســـادات على جائزة نوبل للسلام وأرسل من يتسلمها مكانه فهو إنســـان عاقل متزن لم يكن يبحث عن الجائزة بل جاءت إليه حتى عقر داره.

ونختتم بما يحدث فى مصر اليوم فى عهد الرئيس عبدالفتاح السيســـى إذ أنه ســـعى منذ تولى الســـلطة لحل أية مشـــاكل تتعلق بالأقباط باعتبارهم مواطنين وعليهم مثل ما على المسلمين من واجبات ولهم مثل ما للمسلمين من حقوق، وهذا هو الإسلام الصحيح. ولعلنا نستذكر صحيفة المدينة التى وضعها النبى محمد عليه الصلاة والسلام بمثابة الدســـتور للدولة الإسلامية عند نشأتها فقال عن أهل المدينة من مختلف الأديان والعقائد أن لهم ما للمسلمين وعليهم ما على المسلمين وذكر بالتفصيل الفئات التى فى المدينة.

وكانت معاناة المسيحيين فى مصر من نصـــوص الخـــط الهمايونى الذى صدر عندما كانت مصر تحت الاحتلال العثمانى وظل بـــلا تغيير أو تعديل وجاء الاســـتعمار البريطانى فنصب نفســـه حامياً للأقليـــات فى مصر وبالطبع فى مقدمتها الأقباط فأساء إليهم ولم يخدمهم ثـــم جاء الرئيس عبدالناصر فقام ببعض الإصلاح ولكنه لم يحقق كل طموحات المســـيحيين وجاء الســـادات فحدث التوتر، وهو لم يقصد معاداة المســـيحيين ولكن بعض تصريحاتـــه أحدثت رد فعل ســـلبى خاصة قوله إنه رئيس مسلم لدولة مســـلمة أى أنه فسر الأمر خطأ فهو رئيس مســـلم لدولة مدنية فى نظامها مثل دولة المدينة ودستورها وسعى للاســـتعانة بالمسلمين الذين أفـــرج عنهم ضد اليســـار المصرى والشـــيوعية، ولكن انتهى الأمر بقيام أحد هؤلاء باغتيال السادات، تصديقاً للمثل القائل «اتق شـــر من أحسنت إليه». وجاء مبارك فلم يحقق الكثير من مطالب المســـيحيين وإن سعى لإرضائهم خاصة عندمـــا أعلن يوم 7 يناير أجازة رســـمية للدولة. وجاء السيسى ليتم ما لم ينجزه من سبقوه خاصة فى ملف الأقباط الذين وقفوا يداً بيد مع إخوتهـــم المواطنين وفى مقدمتهم قداســـة البابا تواضروس ومعهم فضيلة شـــيخ الأزهر والقوى السياســـية المتمســـكة بهوية مصر المتســـامحة والتى تدافع عن الحق عبر السنين، بينما كان البعض يسعى

لتغيير تلـــك الهوية ونجـــح التكتل الوطنى بقيادة جيـــش مصر البطل والقضاء والشـــرطة ورجـــال الدين مدعومين جميعاً من الشعب المصرى بطوائفـــه المختلفـــة. وهكذا عادت لمصر طبيعتها ومن ثم صدر القانون رقم 80 لعام 2016 ثم أصدر السيسى مرسوماً بإنشـــاء لجنة عليا مهمتها معالجة المشـــاكل الطائفية يترأسها مستشـــار رئيس الجمهورية لشئون الأمن ومكافحة الإرهاب. وقامت تلك اللجنة بإقرار توفيـــق أوضاع 588 كنيســـة ومبنى وفى ديسمبر 2018 تم توفيق الأوضاع لعدد 88 كنيســـة ومبنى آخر، وفقـــاً لقواعد ثلاث هى توافر قواعد بناء المنشـــآت والأبنية العامة والخاصة وتوافر مســـتلزمات السلامة الأمنية وأخيراً الالتزام بحقوق الدولـــة وقواعدها. وهذه الشـــروط الثلاثة تنطبق على جميع المؤسسات بما فى ذلك المســـاجد والجمعيات ومراكز الأبحاث والفكر فى مصر بل والمبانى الخاصة للمواطنين. وهكذا اســـتعاد أقباط مصر حقوقهم كاملة كمواطنين ولكن تظل شكاواهم مثل شـــكاوى كثيرين من المســـلمين أو جمعيات المجتمع المدنية التى ترغب فـــى الخروج عن قواعـــد النظام فى الدولة والمجتمع.

مـــرج دابـــق

اليوم الثامن من أغســـطس عام 1516 يوم حزين فى تاريخ مصر. هو اليوم الذى انكســـر فيه جيش المماليك وسقط الســـلطان قنصوة الغورى قتيلاً فى الميدان أمام الجيش العثمانى بقيادة السلطان سليم العابس الذى نعرفه باسم سليم الأول.

اليـــوم ليس حزيناً لأن المصريين فقدوا حريتهم فهم لـــم ينعموا بالحرية تحت حكم المماليك لكنهم خرجوا من حكم أســـود إلى حكم أكثر سواداً إلا أن مصر بعد أن كانت سلطنة مستقلة ذات قوة ومهابة أصبحت مجرد ولاية من ولايات الدولة العثمانية.

سفير محمد عبدالمنعم الشاذلى

دعونا نتســـاءل: ما الـــذى أدى إلى الحرب بين العثمانيين والمماليك والدولة العثمانية منذ نشأتها مشغولة بحروبها ضد العالم المســـيحى فـــى أوروبا منذ أواخـــر القرن 13 إلـــى منتصف القرن 14، خاصـــة الحروب ضـــد البندقية. وتوجت هذه الحروب بفتح محمد الفاتح للقسطنطينية التى استعصت على العرب منذ مطلع الإسلام وذلك فى عام 1453.

ولعل أول ما أوغر صدر الســـلطان ســـليم على قنصوة الغـــورى هو إيواؤه للأمير قرقورد بن الســـلطان بايزيد والد ســـليم الذى انقلب عليه واغتصب عرشه وقتـــل أولاده لينفرد بالعـــرش فهرب قرقورد والتجأ إلى قنصوة الغورى الذى آواه وبسط حمايته عليه.

وبعد أن أمن سليم جبهته الأوروبية توجه إلى الشـــرق للقضاء على الشيعة الذين يراهم مهرطقين وأشد خطراً على الإسلام من الفرنجة.

وزحف سليم بجيشه لمحاربة الشاه إسماعيل خان الصفوى ووصل إلى مدينة البيرة فى فلســـطين وطمأن واليها علاء الدولـــة بأنه لا يضمر له شـــراً أو عداوة وإنما هو فى طريقه لعقاب المهرطقين الشـــيعة وطلب منه إمداد جيشه المنهك بالمؤن والأعـــلاف لخيوله ورفض الوالى علاء الدولة فعانى جنود ســـليم معاناة شديدة ونفقت العديد من جياده فأرسل رســـالة إلى قنصوة الغورى يشكو فيها من الوالى فرد عليه الغورى معتذراً بأن الوالى تصرف دون مشـــورته وأنه يكن له كل المودة والإعزاز، وأرسل فى نفس الوقت رســـالة إلى الوالى يثنى فيها على تصرفه.

ومن سوء حظ الغورى أن جنود سليم اعترضوا رســـوله واستولوا على الرسالة وسلموها للسلطان الذى استشاط غضباً وعزم على معاقبة الغورى.

أنجـــز ســـليم مهمته فـــى فارس بانتصار كاســـح على إســـماعيل خان فى معركة جالديران فى 23 أغســـطس 1514، وتفرغ بعد ذلك للغورى فزحف بجيشـــه حتى وصل إلى مشارف حلب. فلما ســـمع الغورى بزحف سليم خرج بجيشه لملاقاته وكان شيخاً هرماً يقارب الثمانين من عمره فى حين كان ســـليم فى كامل عنفوانه ونضجـــه لم يتجاوز السادسة والأربعين.

ولما اقترب الجيشان أرسل سليم أحد القضاة إلى قنصوة الغورى معتمراً عباءة وعمامة عارضاً عليه الحفاظ على مكانته مقابل أن تســـك العملة باسم السلطان سليم ويدعى باسمه فى الجوامع.

رد الغورى بالرفض فى رسالة حملها عشرة فرسان فى كامل لباس الحرب من دروع وخوذات وتروس وسيوف. أغضب الرد السلطان سليم وقال لكبيرهم أرسلت رسالتى يحملها قاض فيرد علىَّ الغورى برســـالة يحملها عشرة فرسان فى كامل لباس الحرب ليتحدانى، وأمر بقطع رقاب الفرسان. أما كبيرهم فجرده من سلاحه ودروعه وحلق شاربه ولحيته وأعاده إلى الغورى على حمار أعرج ركبه معكوساً.

بعد هذا الرد المهين أصبح لا مناص من الحرب وتقدم الجيشان وكانت الدابة التـــى وقعت بالمماليك وســـقط خلالها السلطان الغورى قتيلاً.

ولكن كيف حدث ذلك وكيف انهارت دولة المماليك فى ساعة وهى الدولة التى استمر ملكها أكثر من 160 عاماً انتصرت خلالها على الفرنجة والصليبيين والتتار؟

إن ســـقوط المماليك فى مرج دابق جاء نتيجة لتراكمـــات كثيرة نخرت فى جسم الدولة وكان سيف السلطان سليم بمثابة القشة التى قصمت ظهر البعير.

بدأت هذه التراكمات بوباء الطاعون الذى أصاب مصر فـــى منتصف القرن الرابع عشر وأتى على نصف سكانها وأثر ذلك تأثيراً هائلاً علـــى قوة الدولة وعلى قوة المماليك ففـــى بداية عصر المماليك كان فى مصر عشرة آلاف مملوك محارب انخفض عددهم إلى خمســـة آلاف عشية مرج دابق. وأتى على قوة المماليك أيضاً أنه منذ هزيمة الممالك الصليبية ورحيلها لم يحارب المماليك حروباً حقيقية كبيرة منذ حوالى مائة سنة بعكس العثمانيين الذيـــن كانـــوا مشـــغولين بالحروب والفتوحات فى أوروبا فتكون لديهم جيل من المحاربين الأشـــداء، وركن المماليك إلى التـــرف والأبهة وكرســـوا جهدهم لجمع المال بشتى الوسائل وأسرفوا فى العمارة الضخمـــة المبهرة وأثقلوا كاهل الشـــعب لتمويل بنائها حتـــى يُقال إن جامع السلطان حسن تكلف خراج مصر

معركة مرج دابق

السلطان قنصوه الغورى

فى عامين، كما أثقلوا كاهل التجار الذين كانت تجارتهم من الشرق تمر عبر مصر من البحر الأحمر إلى البحر المتوسط إلى أوروبا حتى انصرفوا عن مصر مفضلين طريق رأس الرجاء الصالح الذى اكتشفه البرتغاليون رغم طوله وخطورته هرباً من عسف المماليك.

عمد البرتغاليون على التحرش بالسفن المتوجهة إلى برزخ السويس وكان فى ذلك ضربة قاصمة للمماليك إذ انقطعت عنهم المكوس والضرائب التى كانوا يُحصلونها وصارت تمثل أكبر دخل لهم.

وكان تجار البهارات والحرير فى الهند من المسلمين وولاؤهم للمماليك فأرسلوا يستنجدون بهم من البرتغاليين فأرسلوا أسطولاً بقيادة حسين بك الكردى الذى حقق انتصاراً على الأسطول البرتغالى فى معركة ديو البحرية فى عام 1507 إلا أن صلفه وجشعه جعل التجار الهنود يضجون من نهبه لثرواتهم فثاروا على القوة المملوكية التى استقرت لديهم. أرسل المماليك أسطولاً ثانياً لتأديب التجار إلا أن حسين الكردى ضرب مثلاً فى فساد وجشع المماليك إذ انفصل بجزء كبير من الأسطول فى الطريق واحتل اليمن لحسابه الخاص وكانت النتيجة هزيمة قاسية للأسطول المملوكى الذى فقد جزءاً مهماً من قوته فى معركة ديو الثانية عام 1516.

ولعل من الأسباب الرئيسية لهزيمة المماليك فى مرج دابق جمود فكرهم ورفضهم للتقدم العلمى فلما علموا عن طريق العيون والجواسيس أن العثمانيين مسلحون بالمدافع والبنادق والأسلحة النارية رفض قنصوة الغورى أن يسلح جيشه بها وقال لا أحارب إلا كما حارب الرسول على فرس وبالسيف.

أما السبب الرئيسى لهزيمة المماليك فهو عدم التجانس والغيرة المتبادلة والشك بين مكوناته. فقد تكون الجيش من الجلبان وهم المماليك الشبان الذين اشتراهم أو جلبهم السلطان الغورى والخاصكية وهم الأقرب إلى السلطان الذين رباهم ودربهم بنفسه وهم بمثابة حرسه الخاص. ثم القرانيص وهم المماليك الذين اشتراهم السلطان السابق وهم الأكبر سناً والأكثر حنكة وتسود بينهم وبين الجلبان والخاصكية غيرة شديدة وشكوك متبادلة. يضاف إلى ذلك أجناد الحلقة ويمثلون القسم الأكبر من الجيش ويتكونون من أولاد الناس وهم أبناء المماليك الشرعيين وغير الشرعيين ويزدريهم المماليك لأنهم لم يتربوا تربية عسكرية فى المعسكرات سواء فى أبراج القلعة أو جزيرة الروضة ويعايرونهم بأنهم تربوا فى حجور أمهاتهم، والقسم الآخر من أجناد الحلقة هم العربان الذين ينظر لهم الآخرون على أنهم لصوص وقطاع طرق.

وفى أثناء المعركة وجه الغورى القرانيص للهجوم على صفوف العثمانيين المسلمين بالأسلحة النارية فكانت مذبحة لهم واحتفظ بالجلبان والخاصكية الذين يدينون بالولاء له فى الخطوط الخلفية خوفاً من انقلاب القرانيص عليه. ويذكر المؤرخون أن الأمير سودون العجمى وهو من أشجع فرسان القرانيص صرخ فى وجه الغورى فى أتون المعركة قائلاً: يا مولانا السلطان أين جلبانك.. أين خاصكيتك.. أهلكت نفسك وأهلكتنا.

ويُقال أيضاً أن الغورى عندما سقط فى المعركة كان حياً وأجهز عليه واحد من خاصكيته ونهب الجواهر التى يتحلى بها وركاب سرجه المصنوع من الذهب الخالص.

كان هذا هو حال المماليك فى معركة مرج دابق وكان من المحتم أن يهزموا وتزول دولتهم مصداقاً للقول بأن نتيجة الحروب تحسم قبل أن تطأ أقدام الجنود ساحة المعركة.

لماذا إلتباس التاريخ (2)

فى العدد السابق، حاولت الاقتراب من أزمة قضايا المستقبليات لدينا. وهى قضية ضخمة ذات أبعاد عديدة من منطلق قضية أو إشكالية قلة وعى شعوبنا العربية بالتاريخ ودلالاته. وأضيف اليوم أن الخلافات لدى الشعوب المختلفة حول تاريخهم وعلاقاتهم بالآخرين قضية منتشرة فى ربوع العالم. ولكننا سنركز حديثنا حول مصرنا العزيزة، فيتردد كثيراً أن ملوك مصر القديمة كانوا يعملون على طمس أمجاد من سبقوهم، أو نسب هذه الأمجاد إلى أنفسهم. وقد وجدت هذه المقولة أرضية واسعة فى مجتمع لديه تراث شعبى غريب فى العلاقة المتوترة فى أغلب الأحوال - بين من يتواترون على كراسى الحكم والإدارة .

وليس فقط المناصب العامة. مَن مِنا لم يسمع عن من وصلوا إلى موقع معين، فكانوا يشكون من أنهم وصلوا إلى صحراء جرداء فقاموا بتعميرها، أو أنهم يقضون أغلب وقتهم فى محاولة تصحيح أخطاء من سبقوهم. فى مقابل هؤلاء الذين غادروا ويشكون أن من خلفوهم يهدمون إنجازاتهم، ويشوهون أعمالهم، أو يعدلون مسارات ناجحة، إلى آخره من أقوال نعرفها جميعاً. وفى كثير من الأحوال تكون هذه الاتهامات صحيحة من جانب أحد طرفى المعادلة، وإن كان هذا لايبرر شيوع هذه الثقافة. بالنهاية نجد قلة ممن يتحدثون عن أنهم يكملون مسيرة أو يصححون بعض مسارات من سبقوهم. وفى ظل هذا المناخ العام لا يستغرب أحد هذه المقولات عن ملوك مصر القدماء، خاصة وأن أحفادهم من حكام ومحكومين يطبقون هذا النهج بدرجات من المهارة والتجاوزات، فهل هى من سمات الشخصية المصرية؟ هنا نحتاج إلى وقفة غير متسرعة فالإشكالية أكثر تعقيداً، فهذا المفهوم تحيط به درجة كبيرة من الخلاف العلمى والفكرى، وكما يقول الراحل الكبير أستاذى السيد ياسين: المفهوم يشير إلى السمات النفسية والاجتماعية والحضارية لأمة ما، والتى تتسم بثبات نسبى، والتى يمكن عن طريقها التمييز بين هذه الأمة وغيرها من الأمم. ويضيف إلى هذا الثبات أنه ثبات يتسم بالمرونة النسبية كما يقول حليم بركات(1)، على أننى لا أريد لأمر معقد بطبعه أن يزداد تعقيداً بطرح هذا المفهوم بكل ما يحيط به من جدل علمى، وأرى اقتصار طرحه فى سياق سياسى اجتماعى يحاول أن يفسر لماذا هذا اللبس الذى يحيط بتاريخنا المصرى.

بعبارة أخرى سأحاول البحث عن

سفير د. محمد بدرالدين زايد

mbzayed8@hotmail.com

أسباب الخلاف والتشوه بعد تحديد نطاقها من خلال محاولة فهم السياق السياسى الاجتماعى الذى أدى إلى نشوبها، وأحدد الإطار الزمنى فى تاريخ مصر الحديث وحده الذى يبدأ بالدولة التى أقامها محمد على فى 1805، أما مجال الخلاف فيمكن حصره فى عدة وقفات كبرى فى هذا التاريخ وهى:

- تجربة محمد على باشا فى بناء الدولة الحديثة.
- سياسات الخديو إسماعيل.
- الحركة العرابية أو حركة الجيش 1881.
- ثورة 1919.
- حركة أو ثورة 1952.
- عملية السلام المصرية الإسرائيلية بقيادة الرئيس الراحل أنور السادات.
- ثورة يناير 2011.
- ثورة 30 يونيو2013.

أما لماذا التوقف عند هذه الوقفات الكبرى فى تاريخ مصر الحديثة، فلأنها مصدر الرؤى المتناقضة بين المصريين، مع تفاوت نسب الخلاف، دون إلغاء أحداث جسام كهزيمة 1967، أو انتصار 1973، وذلك لأن حجم الخلاف فيما يتعلق بهذين الحدثين الجسيمين أقل بكثير فى العقل والوعى المصرى الجماعى مقارنة بالوقفات الثمانية الكبرى سابقة الذكر، بمعنى آخر لايحاول المصريون كثيراً التقليل من حدة هزيمة 1967. قد لا يكون للبعض أو للكثيرين إدراك كاف بمدى تأثير هذه الكارثة الكبرى فى حياة المصريين والمنطقة، ولكن تقريباً الكل يدرك أنها كارثة فادحة. أما انتصار 1973 فقد ثار حوله خلاف محدود عما إذا كانت حرب تحرير أم حرب تحرير للموقف، ولكن سجلت ووثقت العسكرية المصرية رواياتها التاريخية الدقيقة لهذه الأحداث. على أن إسرائيل هذه المرة هى التى شوهت كثيراً من الحقائق، ونشرت رؤية بها قدر من الالتباس والتحريف، امتد أثره إلى الرواية الغربية والأمريكية تحديداً لهذه الحرب، وهو أمر ليس موضوعنا فى هذا المقال. من هنا فإن ما سنتوقف عنده هو ذلك الجدال حول

احمد عرابى

ثورة 30 يونيو2013

الوقفات الكبرى فى هذا التاريخ المصرى الحديث، ويمكن إدماجهـــا فى مجموعة ملاحظات. فبشـــأن تجربة محمد على لا ينازع أحد فيما إذا كانت منشـــأ الحداثة فى مصر وإنما فيما حققته من إنجازات. وفى الواقـــع هناك قراءتان رئيســـيتان، وبينهما قراءة الدولة المصرية بعد 1952. القراءة الأولى تعطيها مكانة كبيرة ضمن تجارب التحديث الدولية خارج أوروبا، أما القراءة الثانيـــة وهى المبنية على التحليل الماركســـى الاقتصادى، وشارك فيها عدد من المثقفين والكتاب المصريين وغيرهم. وهى قـــراءة انتقادية حادة لهذه التجربة، وقد أثرت فـــى صياغة كتابات ثورة يوليو لهذه التجربة التى كانت أيضاً أحد حيثيات

سعد باشا زغلول

وحجج نظامها السياسى ضد إرث الدولة العلوية المصرية التى أنهتها ثورة 1952. بالمجمل أدى هذا إلى تســـطيح شـــديد للمناهج الدراسية المصرية، وغموض لدى أجيال مـــن المصريين من التعرف الدقيق لهذه التجربة. كما أدى الخوف من شـــرح أو عرض الانتقـــادات التى طورها باحثو الجدليـــة المادية المصريـــون وغيرهم والمرتبطة بالتحفظات ضد شـــيوع هذا النهج الفكرى إلى ضعف معلومات ورؤية المصريين عن هذه الحقبة، التى شـــكلت نشـــأة الوعى الجماعى المصرى الحديث. وهكذا لم ينتشـــر بين المصريين أى من التوجهين المتناقضيـــن، بل رؤية ناقصة مبتســـرة لم تحاول فهم التجربة بشكل دقيق والاســـتفادة من دروس إيجابياتها وســـلبياتها. أما الوقفة الثانية فقد اكتفى العقل المصـــرى باختزالهـــا فى قضية الديـــون الخارجية والتســـبب بالاحتلال البريطانى، ومحاولة اللحاق بأوروبا دون أن تناقش فى كلياتها المتعلقة بإمكانيات التحديـــث وقضية الأصالـــة والمعاصرة، بل إن دروســـها المتعلقة بخطورة قضية الديون الخارجية قد تم نسيانها فى بعض مراحل حياتنا المعاصرة بشكل لافت.

أما الوقفـــة الثالثة والخاصة بالحركة العرابية فهـــى نموذج واضح وصريح فى كيفيـــة تغير تقييم حـــدث تاريخى كبير بتغير النظم السياســـية، ففـــى المرحلة المصرية الملكية، وحتـــى لدى جزء من النخبة السياســـية والفكرية المعادية أو المتحفظة على الأسرة الملكية المصرية، كانت الحركـــة العرابية تصرفاً خاطئاً قاد إلى الاحتلال البريطانى رغم أن الشـــواهد تشـــير إلى أن الأوضاع كانت مهيأة لهذا الاحتلال فى جميع الأحوال. وهذا الإنصاف الذى قدمته دولة 1952 للحركة العرابية، لم يمنع استمرار استخدام كبار السن فى مصر آنـــذاك لتعبير الهوجة العرابية التى تعكس رؤية إدراكية سلبية واضحة تجاه هذا الحدث.

أما الوقفة الرابعة، فهى الخاصة بثورة 1919 التى يمكن وصفها بأنها أحد أعظم الثورات ضد الاحتلال الأجنبى فى التاريخ بشـــكل عام، والتى توافقت مع المجتمع النهـــرى المصـــرى صاحـــب الأراضى المنبسطة بلا غابات ولا جبال ممتدة تسمح بحروب عصابات متسعة. كما أنها حققت نموذجـــاً فريداً بالمقارنـــة بالمجتمعات متعددة الديانة مقارنة بفشـــل النموذج الهندى، وباعتـــراف المهاتما غاندى الذى ســـجل انبهاره بهذه الثورة مقارنة بثورة العصيان المدنى الهندى، وحدد ثلاث نقاط تميز للمصرية. أولها الوحدة الوطنية بين المسلمين والمســـيحيين، مقارنة بفشل جهـــوده لمنع انفصال المســـلمين، وهو ما حدث بالفعل ونشـــأت باكستان، وكذا مشاركة المرأة المصرية، وإطلاق شرارة تحررها. كما سجل غاندى بانبهار إضراب موظفى الحكومـــة المصرية، وانضمامهم لهذه الثورة، فـــى وقت انحاز فيه موظفو الخدمة الوطنية الهنود إلى سلطة الاحتلال البريطانـــى. هذه الثـــورة العبقرية التى شكلت معالم الوطنية المصرية ونسيجها المتميز، تعرضـــت لظلم كبير نتناوله فى المقال القادم إن شاء الله.

هوامش

1 – السيد ياسين، الشخصية العربية بين المفهوم الإسرائيلى والمفهوم العربى، القاهرة، مركز الدراسات السياسية والإستراتيجية بالأهرام،1974، ص 44 وما بعدها.

2 – والمهتم بهذا الموضوع أيضاً كتابى محمد بـــدر الدين مصطفى زايد، المفاوضات الدولية، القاهرة، الهيئة العامة للكتاب،1991، المبحث الرابع، ص91 حتى 112.

تعدد أماكن الفن المعمارى الإسلامى(3)

من بين جوانب الزخرفة المعمارية الإسلامية سيادة هيئة النباتات، وقديماً تَمَثلتْ هيئة النباتات فى المعابد الهندوكية، لاسيما نبات الصّبار، وظل هذا سائدًا بعد دخول الإسلام الهند؛ فحمل مسجد الأمير قطب الدين، قرْب دلْهى، التأثّر النباتى، واتخذتْ مئذنته التى تسمّى قطب منار شكل بنية الصبّار، وقد ناسب ذلك مهاد الزخرفة حين تكون فى بيت من بيوت الله، حتى لا يتم تجسيد البشر والكائنات الحية.

د. يوسف نوفل

شاعر وناقد

أستاذ النقد الادبى بجامعة عين شمس

youssfnofal@yahoo.com

ويذكر ثروت عكاشة ضمن إسهامه العظيم فى موسوعته «الأذن تسمع والعين ترى» خيال العربى بين البيداء الفسيحة، القائم على كونيْن: كبير وهو العالم الفسيح، وصغير وهو صحْن داره، إلا أن العمارة الإسلامية نبتتْ فى بيئات مختلفة، متأثرة بكل بلد وبيئة ذهبتْ إليها، غيْر ناسية الصحراء؛ لذا وجْدنا: الأهلّة تتوّج المآذن، والقباب محاكية قبة السّماء، والصّحون مكشوفة للسّماء، وبخاصة فى المساجد، وطرأ جديد على العمارة الإسلامية، حيث ربط المعمارُ بيْن المسجد والكعبة، ونشأ فن معمارى حضرى للجوامع والمساجد والمدارس والمعْتكفات الخانقاوات أو التكايا.

وتباين المعمار الهندسى فى المساجد بين مساجد إيران، كما هو فى مسجد شاه بأصفهان، ومساجد مصر، كما هو فى مسجد السلطان حسن، وفى العراق، كما نرى فى ملوية سامرّاء؛ تأثرًا بالسومرية، والبابلية القديمة، وكذا فى تركيا، وفى الشام حيث المسجد الأموى، حيث التأثر الرومانى، وقلْ مثل ذلك فى المغرب والأندلس، وقد وجّه المعمار الإسلامى جدران المسجد نحو الكعبة، ووضع قبلة أو كرابًا فى الجدار المقابل لاتجاه الكعبة، وحوافى الأسطح أشكال متجهة إلى السماء متراصة، كأنها اصطفاف المسلمين، وهى على هيئة زهرة الزئبق، والاتجاه إلى أعلى متناغم مع اتجاه صوت المؤذن إلى أعلى، والمئذنة تشكل تكوينًا جماليًا مع القبّة، كما يبرز دور الخط العربى بالمساجد، فضلاً عن المقابر، والمنابر، ومعانيها من فن الدوائر، والمربّعات، والمعينات، والنجوم، والأطباق النّجمية المتداخلة.

وما رأيناه فى جامع المؤيد الذى بنى سنة 1421م، وجامع أولوفى ديفريجى بالأناضول الوسطى الذى بنى سنة1228م، يسبقه ما تمّ من إبداع إسلامى فى العصر الأموى نحو سنة 740م، وبناء مدينة سامرّاء التى أسسها الخليفة المعتصم سنة 836م على نهر دجلة، وقصر محمود الغزنوى سنة 1050م، ومسجد الجمعة بأصبهان، وقلْ مثل ذلك فى الأسْبلة، جمع سبيل.

الجيرالدا: صدق السيد محمود عبدالعزيز سالم فى وصفها أنها إحدى روائع الفن الإسلامى، فيما نلخصه عن مقالة بهذا العنوان فى مجلة «المجلة»، القاهرة، العدد6 - يونيو 1957 ص45 وما بعدها، وهو الجزء الأعظم من صوْمعة جامع الموحّدين بإشبيلية، فاقت شهرتها شهرة بُرْج «بيزا» فى إيطاليا، وقد بناها أبويعقوب يوسف فى جامع إشبيلية العظيم سنة 567هـ/ 1172م، وقد كان محبًا للفنون والعمارة، ولما تقلّصتْ دولة الإسلام فى الأندلس، واستردّها المسيحيون سقطتْ قرطبة 1236م، وحوصرتْ إشبيلية سنة 1246م عامًا ونصف العام، وتحول المسجد الجامع إلى كنيسة سانتا ماريا، وتحوّل ليناسب أداء شعائر المسيحية، ثم لم يبْق من مسجد الموحدين إلا عدة عقود، والمئذنة التى تحولت إلى برج للنواقيس، ثم فقدتْ تفاحاتها الأربع إثر زلزال، وعلا برج فوكه تمثال برونزى، يرمز للمسيحية، يدور مع الرياح، ولذا أطلقوا عليه هذا جيرالديّو Giraldillo، أو دوّارة الهواء، وفى ذلك ما يشهد بدور الصومعة، حيث تتجلى فيها فنون المغرب الأندلسى بزخارفها كما عرفت فى قصور الموحّدين.

فنون العمارة فى القدس

غنيتْ القدس بالأبنية الأثرية، حيث كان فى القدس مائة بناء أثرى بين: مسجد، ومدرسة، وزاوية، وتكيّة، ومقابر، وتحصينات، ورُبُط، وقد استوطن العربُ القدس قبل خمسة آلاف سنة، حيث اتخذها اليبوسيون عاصمة لهم؛ بسبب موقعها بين البحر الأبيض المتوسط، ونهر الأردن، وحصّنوها بسور ضخم، وظل العرب هم الأكثرية، كما أظهرتْ وثائق تلّ العمارنة، حتى زمن الاحتلال العبْرى، وكان من بقايا القدس اليبوسية عين سلوان، أو عين الدرج، ثمّ أعطاها الفتح الإسلامى ملامحها الإسلامية، وظهرتْ قبة الصّخرة فى مقدّمة ما ظهر منها، وكان بيت المقدس مبنيًا من الخشب، حتى بناه عمر بن الخطاب، أول مرة عام 20 هجرية، قبل أن يقوم عبدالملك بن مروان ببناء مسْجد آخر،

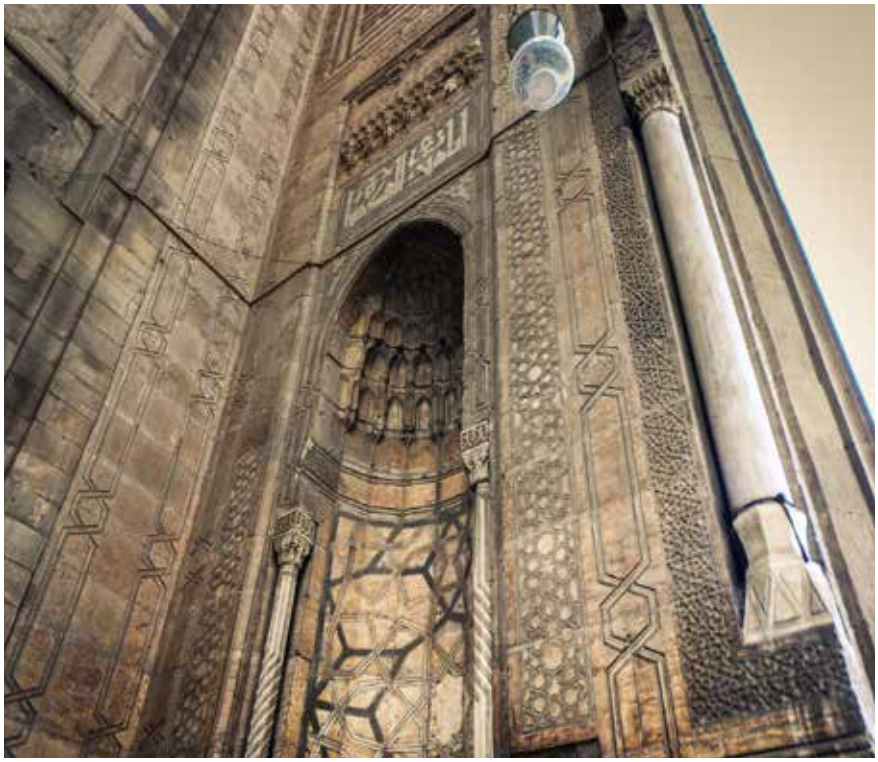

مسجدالسلطان حسن

مئذنة جامع عقبة تعد من أقدم المآذن فى العالم الإسلامي

ليكمله ابنه مروان، ثم أحدث المعز لدين الله الفاطمى تغييرات، ولم يسْلم من عاديات التعصب؛ إذْ قام يهوديّ بحرْق المنبر، الذى جلبه صلاح الدين، حرقه سنة 1969، وأعيدتْ زخرفته، وترميمه. أمّا حائط البراق، المجاور لقبة الأقصى، فيعرف بالسّور الغربى ويدّعى اليهود أنه حائط المبكى، برغم فشل حفائرهم، وبرغم اندلاع ثورة البراق 1929 منْ أجله، ويحيط بالقدس سور عظيم كان يحميها أيام اليبوسيين، وكشف علماء الآثار عنه سنة 1960، وكان صلاح الدين قد أعاد بناءه، وجدّده سليمان القانونى بين سنة 1536 و1540، وله سبعة أبواب.

وكان من عواصم الفنون والعمارة الإسلامية ما أفاض المقدسى فى الحديث عنه فى كتابه أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم، ليدن 1906 فى الحديث عن البلدان والعواصم التى تعددت وتنوعت، ونقف الآن أمام نماذج منها:

صقلية: تشهد الآثار الباقية بما صنعه المسلمون من آثار من قباب وأقواس وزخرفة وأسقف وفسيفساء، وعمائر؛ إذ يوجد بها كنيسة فخمة فى القصر الملكى، وكنائس أخرى، وقصور، وقد اهتم بها فريدريك، وإذْ أنشأ المسلمون بها المساجد، حتى بلغت ثلاثمائة مسجد ونيّف، وشيّدوا بها قصورًا، وأسواقاً، وحمامات، وقلاعاً وحصوناً، ونهضتْ فيها صناعة الحرير الصقلى، ومشهورة تلك العباءة الحريرية، ذات الطراز الصقلى للملك النورماندى «روجر الثاني» المحفوظة فى المتحف الوطنى فى «فينا»، وقد كان يتزيّا بزيّ المسلمين، وطرّزتْ حلّته التى ترجع إلى سنة 1133م، والمحفوظة فى خزانة الملك فى «باليرمو» بتطريز من صنْع المسلمين، وكانت مبانيها قرطبية المعمار منحوتة بالحجر المعروف «بالكذّان»، وعرفتْ بطرزها المعمارية فى بناء الكاتدرائيات، وهو ما عرف بالفن «الرومانسيكي»، أى الرومانى المقلّد، ولا يزال ذلك ماثلاً فى نموذج من أفخم النماذج النورماندية القائمة فى إنجلترا فى مبنى «كاتدرائية درهام»، وفى كاتدرائية «مونتريال»، وكنيسة «يوحنا» وكاتدرائية «الفالق»، وحين استتبّ الأمر للنورمان تأثروا بفن العمارة الإسلامية.

وفاس: أسّستْ فى القرن التاسع الميلادى، وأسهمت فى نشر المعرفة الإسلامية، وبخاصة فى عهد الدولة المرينية، وتمتاز بالمعمار الإسلامى، وتضم معالم تاريخية، من مساجد ومدارس، وأضرحة، منها جامع القرويين الذى شُرع فى بنائه على يد السيدة القيروانية أم البنين فاطمة بنت محمد الفهرى فى نوفمبر 858م، على مدى خمس عشرة سنة، وهو ليس مسجدًا فحسب. بل أول جامعة إسلامية فى حلقات دروسه فى الكيمياء والحساب والفلك وعلوم الدين، وتخريج العلماء، وبه مكتبة القرويين الشهيرة، وأسسها أبوعنان المرينى، وتضم كتبًا قدّمها الملك الإسبانى سنة 1285م، وتضم مخطوطات منها رسالة ابن رشد «البيان والتحصيل» فى 638 صفحة من ورق الغزال، وباقى كتبه، وكتب: ابن خلدون، ولسان الدين بن الخطيب، وابن بطوطة.

والقيروان: بنى جامع القرويين بعد جامع ابن طولون بالقاهرة وجامع بعلبك، ودمشق فى الشام، وقد استقطبت طلابًا من الأندلس وأفريقيا، ومن أوروبا، وهى مدينة عقبة بن نافع، وهى غنية بمعالمها التراثية، أقيمتْ فى العام الخمسين للهجرة، وهى مدينة الفقهاء، والعلماء،

تعدد أماكن الفن المعمارى الإسلامى

بأسوارها الشامخة، وقبابها، ومدارسها، حيث هندسة العمران الإسلامى، وبها جامع القيروان، الذى يضم مخطوطات ترجع إلى سنة 275هـ، تحيط بالمسجد أروقة هندسية تستند إلى 300 عامود من الرخام وسطها صهريج كبير للمياه، مغطى بقطع من الرخام المزركش، وفى وسطها المئذنة الشامخة ذات المائة درجة، وحرم المسجد فسيح به 140 عامودًا من رخام أبيض متصلة بعقود رخامية مقوسّة، وله 29 بابًا يتوسطها باب كبير من خشب الصندل، ومحراب من المرْو الأبيض، قال عنها المستشرق الفرنسى «ج ديبوا» فى كتابه تونس: «إن جامع القيروان الكبير الضخم تتوق إليه الأنظار من ذوى الثقافة».

وحمْص: فتحها خالد بن الوليد، وبها الجامع النورى الكبير، وهو فى الأصل معبد الشمس الذى بناه سكانها العرب الآراميون ثم أصبح المسجد الجامع. الذى وسّعه السلطان نور الدين الزنكى الشهير بالشهيد، والمدفون فى دمشق، وبها جامع خالد بن الوليد، ويضم رفاته، وتم بناؤه فى مطلع القرن العشرين، دليلاً على تقدم فن العمارة، وبها قلعة حمص، ومن متاحفها واجهة قصر الحير العربى الذى بناه هشام بن عبدالملك قصرًا صيفيًا، وبها قلعة الحصن الشهيرة، ومدينة تدمر، وملكتها زنوبيا ذات الفتوحات، والانتصار على الرومان سنة 268م.

والموصل: وتقع على نهر دجلة، حرّرها العرب فى عهد الخليفة عمر بن الخطاب سنة 16هـ/ 637م، عندئذ سمّوها الموصل لوصلها الجزيرة بالعراق، أو لأن مروان بن محمد الأموى بنى بها قصرًا منيفاً، ذا جسْر خشبى يصل ضفّتيْ النهر، وبنى سعيد بن عبدالملك بن مروان حولها سورًا، وتضم الجوامع، أو بقاياها.

والبصرة: لعبت دورها وقصورها، وأسواقها دوراً فكرياً وفنياً كبيراً، حتى قامت مدرستان متنافستان فى الزعامة هما: الكوفة والبصرة، ويذكر البلاذرى فى «فتوح البلدان» ص 355 كثيراً من قصورها، كالقصر الأحمر، والأبيض، وقصر النواهق، وقصر المسيرين، وقصر النعمان، وقصر أوس، وقصر أنس، الذى فاقهم جميعاً، وتحيط بالأخير بساتين كروم ومزارع خصبة، وتنافس الأمراء فى بناء القصور أيام الرشيد، وأبرز مساجدها المسجد الجامع، المسجد الكبير، الذى صار مركزاً دينياً وثقافياً، أمامه رحبة، وعنده دار الإمارة، إلى جانب المساجد الكثيرة المنتشرة فى المدينة، ويذكرون أن زياداً بنى سبعة مساجد منها مسجد الأساورة، وبنت كل قبيلة مساجدها.

الجامع الآموى

والقاهرة، ومساجدها: أصبحت مصر جزءاً من الخلافة الإسلامية بعد هزيمة البيزنطيين، ودخول المسلمين الإسكندرية فى ذى القعدة 20هـ/ 642م، ثم بناء جوهر الصقلى للقاهرة، كما قدمنا، ومن أقدم الأماكن التاريخية الإسلامية بالقاهرة الفسطاط، على شاطيء النيل، بأسوارها، وأبوابها، وقلاعها، ومساجدها، وفى مقدمتها مسجد عمرو بن العاص على طراز الحرم، وما جدّ عليه من تحسينات وتطوير، ومسجد أحمد بن طولون منذ إنشائه (263 - 265هـ)، والجامع الأزهر، كما قدمنا، ومسجد ومدرسة السلطان حسن بن محمد بن قلاوون(735هـ/ 1334م)، من مدخل، وفسقية، وإيوان القبلة، ومدارس المذاهب الأربعة، ومدرسة المالكية، ومسجد الرفاعى فى 1286هـ/ 1869م، وما فى ذلك كله من فنون وطرز معمارية، ونقوش، وكتابات وخطوط ومنازلها، وأسبلتها، ومدارسها، وقبابها كمنزل وسبيل الكريدلية، أنشأه الحاج محمد بن سالم الجزار (1041هـ/ 1631م)، ومدرسة الناصر محمد بن قلاوون، وقبلتها.

ويمكن الاستمرار فى التعرف على باقى المدن مما حملت المراجع اسمها، ومن ذلك، على سبيل المثال، الكوفة، ومما كتب عنها «حياة الشعر فى الكوفة»، د. يوسف خليف، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط2 1995، والبصرة، ومما كتب عنها «الحياة الأدبية فى البصرة إلى نهاية القرن الثانى الهجري»، د. أحمد كمال زكى، دار الفكر، دمشق 1961.

مواقع أثرية:

ومن مواقع الموصل الأثرية: نينوى فى القسم الشرقى منها،

قبة الخزنة، بنيت عام 789م

ميزكيتا فى قرطبة فى جنوب اسبانيا

والنمرود، ما تبقى من أطلال مدينة كالح الأثرية، وقرّه سراى القصر الأسود على نهر دلجة من آثار القرن الثالث عشر الميلادى، وقلعة أباش طابية على نهر دجلة. وكانت مركزًا مهمًا فى الدولة الأتابكية.

إسْطنبول: فى سنة 324م حوّل الإمبراطور الرومانى قسطنطين اسم المدينة إلى اسمه، واتخذها عاصمة لروما الحديثة، دشّنها سنة 330م، ونهبتْ مرارًا، وأحرقتْ، لتظل - برغم ذلك كله - عاصمة لاتينية للشرق حتى 1261م، ثم صارتْ فى يد السلطان محمد الثانى الفاتح عاصمة الدولة العثمانية، والآستانة، وقصر الباب العالى، ومنبع الفرمانات، وموطن استقبال الفنانين المعماريين من أنحاء العالم، حتى صار المسجد الأزرق من أشهر مساجدها، منذ بناه السلطان «أحمد» بين 1609 و1616م فى مواجهة كنيسة آيا صوفيا، التى حوّلها السلطان محمد الفاتح سنة 1453م إلى مسجد، بمآذنه الست، وقبابه المنحدرة، ونقوشه الفسيفسائية، والموزاييك، والمربعات، والنقوش النباتية، وفن الخط فى الآيات القرآنية، ومسجد السليمانية شيده سيد المهندسين فى عصره «سنان باشا» بين 1550 و1557م للسلطان سليمان القانونى، وملحق به مدرسة، وملجأ، وحمّام، وفى إسطنبول متحف (ثوب كابي) وكان قصرًا للسلاطين.

سمرقند: كانت إحدى مراكز العلم والحضارة، وفى كتابه «مسالك الممالك»، المطبوع فى ليدن. يتحدث أبوإسحق إبراهيم بن محمد الفارسى الإصطخرى (ت957هـ) عما رآه فيها، وعن وجود كتابة بها باللغة الحمْيريّة، وكذلك ابن الأثير (ت 1234م) فى كتابه الكامل فى التاريخ ج9، حين تحدث عن خروج التتر إلى بلاد الشام، وكيف دمّرتْ سمرقند، بآثارها الإسلامية، وهو ما أشار إليه ياقوت الحموى (1179 - 1229م) فى معجم البلدان، ورحل إليها ابن بطوطة فى رحلته من طنجة بالمغرب فى شهر رجب سنة 735هـ/ 1325م.

الجزيرة العربية: وتضم الجزيرة العربية كمّا هائلاً من المنحوتات، والنقوش الصخرية، والرسوم، والمخربشات، والزخارف الملوّنة، وقطعاً من الفخار، والحجر الصابونى، والمعادن، والأحجار، فى مناطق عديدة، منها المنطقة الشمالية الغربية «مدين»، التى أعقبتْها حضارة الأنباط، ومنها مدائن صالح، بنقوشها، ونحتها الغائر والبارز، وقصورها، وأعمدتها بالغة الدقة، وواجهاتها، ومنها ما عرف بـ«طراز جبة»، نسبة إلى بلدة «جبة» شمال غربى حائل، بآثارها الهائلة، وبما وصفها به الجغرافيون القدامى ويرجع تاريخ بعضه إلى ما قبل الميلاد، وإلى ثمانية آلاف وخمسمائة سنة، ومنها ما فى أخدود نجران، والفاو، والبدع قرب خليج العقبة فى بلاد مدين القديمة، والحنكية، والطائف، وجبال العرفاء بها، وجبل برما بالرياض، وغيرها. انظر عرْضاً بالصور، صحيفة الجزيرة، ملف الفنون القديمة فى الجزيرة العربية، أعده د. عبد الله المصرى، السبت 19 من شوال 1400هـ/ 30 من أغسطس 1980، العدد 2945 فى أربع صفحات.

وفى الجزائر: يوجد المسجد الكبير، أو العتيق فى قلب العاصمة، إلى جانب الجامع الكبير فى تلمسان، وفى ندرومة، من آثار الدولة المرابطية، خلال حكمها، وحاكمها الأمير يوسف بن تاشفين، وقد بنى الجامع الكبير سنة 499هـ/ 1097م على أنقاض كاتدرائية مسيحية قديمة ترجع للعهد الرومانى، ويرجع تاريخ بناء المئذنة إلى سنة 1324م، واعتمد المؤرخون على النقوش بالمنبر.

سفير
فخرى عثمان

الفنانة هند حسن الفلافلى

الفنانة حاصلة على بكالوريوس الفنون الجميلة (جرافيك) بتقدير امتياز مع مرتبة الشرف والأولى على الكلية ودرجة الماجستير ثم الدكتوراة، وتعمل حالياً أ.مساعد بكلية الفنون الجميلة (جرافيك). وأقامت العديد من المعارض الفردية فى القاعات : سفرخان، قاعة الكلية، أتيليه القاهرة وفى الدول: قبرص، الإمارات. واشتركت فى المعارض الجماعية فى الدول : روسيا، النمسا، الكويت، الإمارات، السعودية، وإيطاليا.

هذا بالإضافة إلى الاشتراك فى المعارض المحلية الجماعية فى القاعات: جرانت، كحيلة، مركز الجزيرة للفنون، دار الأوبرا، سلامة، دروب، قصر الفنون، المعرض العام، متحف طه حسين، الهناجر، إبداع، محبى الفنون الجميلة، مسرح الجمهورية، نقابة الفنانين التشكيليين، بشاير.

كما اشتركت فى العديد من الورش الفنية، وحصلت على العديد من الجوائز ولها من المقتنيات لدى جامعة حلوان، صندوق التنمية الاقتصادى، متحف الفن الحديث، ولدى الأفراد فى مصر وإيطاليا وروسيا وهولندا والسعودية والكويت والإمارات.

والفنانة المتميزة بنشاطها الإبداعى المستمر وغزارة أعمالها التى تستوقف المتلقى كثيراً يتسم بالواقعية والدقة، ويعبر عن أبرز معالم

الفنانة الدكتورة هبة حسين

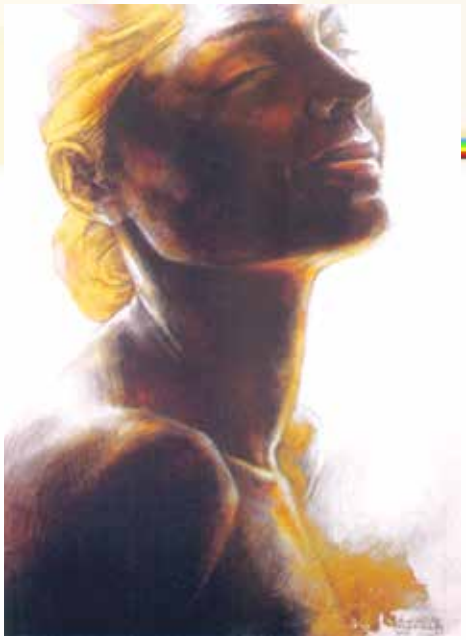

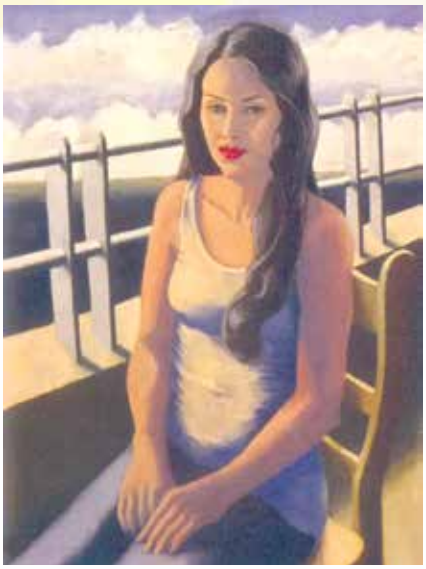

شخصيتها التى تتسم بالرومانسية والعاطفية واهتمامها الرئيسى بالمرأة حيث لم أر أى قدر من الاهتمام بالرجل أو الإشارة إليه فى عالم الإبداع وذلك فى غالبية معارضها ولوحاتها خلال سنوات عديدة، وأضيف الإشارة إلى تفوقها فى فن البورتريه بصفة خاصة ودقتها بالالتزام بعلاقة الضوء والظل وكذلك استخدامها للقليل جداً من الألوان.

وكذلك أرى الفنانة هند تحتل موقعاً ريادياً بطاقتها التى تنفرد بها فى إبداعها الفن التشكيلى والمرأة ولها كل التقدير والتحية.

أقامت الفنانة الطبيبة هبة حسين معرضاً لأعمالها الفنية من اللوحات الزيتية فى « قاعة مصر» وحددت لموضوع معرضها العزل الأكبر The greatest Isolation.

ورأيت بورتريه المرأة وهو المحتوى الوحيد لجميع اللوحات التى تغلف جدران القاعة الجميلة ولم أجد أى موقع أو إشارة إلى بورتريه لرجل أو لطفل يحتويه إطار أية لوحة؟! وكذلك لم أجد اختلافاً كبيراً فى معالم أو تفصيلات بين وجه امرأة وأخرى؟! ولكنى وجدت إبداعاً وتفوقاً فى فن البورتريه يتسم بالدقة وخاصة فى مواقع الضوء والظل، كما أحسست أن هناك قدراً من الغموض يتسم بالخصوصية عبرت عنه يد الفنانة التى تحمل فرشاتها المحملة باللون لتصبه على توال اللوحة لتسجيل الخطوط والتكوين والألوان والخلفية وأخيراً رؤية أو نظرة صاحبة البورتريه التى تبدعها.

ومن كلمات الفنانة التى تستند إلى أقوال بعض الفلاسفة والشعراء (أرسطو/ نيتشه/ توماس جراى..): إن الفرد يستطيع أن يعيش بمفرده إذا كان من الآلهة أو حيواناً مفترساً، أو إذا كان يستطيع أن يجمع بينهما. والحياة القائمة على المباديء والمثل تؤدى إلى الشعور بالوحدة (منفرداً) وحيث يستطيع الإنسان أن يحقق أحلامه!! وأقول إن للفنان الحرية فى تخطيط معالم طريق حياته وأسلوب تفاعله وتعامله فى المجتمع الذى يعيش فى أحضانه والعقيدة التى يؤمن بها والفكر الذى يقتنع ويلتزم به، والهدف الذى يسعى لتحقيقه، وذلك فى حدود القانون وعدم المساس بأمن الدولة والمواطن وحرية الآخرين وهو المسئول عن ذاته أمام الخالق الواحد الأحد.

كل تقديرى لإبداع الفنانة فى فن البورتريه وفى تسجيلها لأفضال الفنان الكبير حسن يوسف الذى علمها كيف تبدع وتتفوق.

الدبلوماسى الفنـــان

حينما يصل الدبلوماس الى سن التقاعد، دائماً ما يتسأل البعض عن كيفية قضاءه لوقته؟ وللإجابة عن هذا السؤال أستطيع ان أقول اننى قررت ان أخذ استراحة لفترة من الوقت استمتع فيها بما توفر لى من وقت فراغ طويل لم يكن متاح لى فى السابق اثناء فترة عملى فى الديوان او فى الخارج..

سفير ساهر حمزة

shamza1@yahoo.com

شيرين بهير فهمى

و خلال تلك الفترة تبادرت الى ذهنى العديد من الأفـــكار التى يمكن ان أطبقها او أحققها فـــى ضوء ما لدى من خبرات و اهتمامات. غير انه فى لحظة غير مرتبة او متوقعة دفعتنى زوجتى السيدة/ شيرين بهير فهمى والتى بدأت فى مشـــوار الفن منذ فترة لان أقوم برسم لوحة مؤكدة لى ان أســـتطيع ان أقوم بذلك! و بالفعل أمسكت بالفرشـــاة و الألوان لأضع اول لمساتى و خطوطى على اللوحـــة وعند الانتهاء منها انتابتنى مشاعر غامرة من الفرح و السعادة لنجـــاح التجربة.. و تولد لدى احســـاس و رغبة شـــديدة فى ان أقوم برسم المزيد من اللوحات، حيث وجدت ان الرسم يحلق بى فى عالم من الراحة النفســـية و الخيال و المتعة و الإبداع. لـــذا فأن الفضل يعود الى زوجتى الســـيدة/ شيرين بهير فهمى فى إدخالى الى عالم الرسم الواسع الممتد بأفاقة اللا متناهية. كذلك يعود الفضل الى تشجيع اسرتى و زملائى و أصدقائى الذين يتابعون ما أقوم به من اعمال. كذلك أتقدم بالشكر الى الســـادة القائمين على مجلة الدبلوماس المصرى لإتاحتهم الفرصة لى لنشر بعض أعمالى و اعمال زوجتى، وذلك رغبة منى فى تشـــجيع غيرى من الزملاء المتقاعدين و غير المتقاعدين لاكتشاف ما لديهم من مواهب قد تكون ظاهرة او غير ظاهرة لهم.

ولا عجيب الا البرازيل

البرازيل هى خامس دولة فى العالم من ناحية المساحة (ثمانية ونصف مليون كم2)، وهى أكبر من مساحة قارة أوروبا بدون روسيا، كما تعد أكبر من نصف أمريكا الجنوبية. وهى على عكس كل دول أمريكا الجنوبية المتحدثة بالأسبانية فإن لغتها الرسمية هى البرتغالية، وعدد سكانها حوالى 225 مليوناً، وهى أكبر دولة كاثوليكية فى العالم، وعملتها الريال، والعاصمة هى برازيليا تم الانتهاء من بنائها فى عام 1961 بعد أن كانت العاصمة ريودى جانيرو قبل ذلك.

سفير أسامة توفيق بدر

osama56@hotmail.com

وتتنوع الأجناس والثقافات فى البرازيل نتيجة الهجرات المتعددة من أفريقيا وأوروبا وآسيا، فالجنس الأسود جاء أساساً من أفريقيا عن طريق تجار البشر (وأغلبهم عرب للأسف)، الذين كانوا يقومون بحملات فى أفريقيا لاستعباد البشر، ويسوقونهم إلى سواحل المحيط الأطلنطى من نقاط خاصة فى عدة دول وأهمها مدينة ويدا فى بنين، ثم بالبحر إلى الجانب الآخر من المحيط، وتوجه جزء كبير منهم إلى البرازيل واستقر أساساً فى الشمال الحار الذى يلائم البيئة التى جاءوا منها. أما الهجرات البيضاء فقد جاءت من الدول التى شهدت ويلات الحرب العالمية من الجنسيات الألمانية والسويسرية والنمساوية والإيطالية، وهؤلاء تركزوا أساساً فى الجنوب ذى الطقس البارد الذى يناسبهم. وهناك نسبة هجرات آسيوية وخصوصاً من اليابان أقل كثيراً من الهجرات السابقة، هذا بالإضافة إلى هجرات كبيرة جداً من اللبنانيين والسوريين وبعض الفلسطينيين. ويتركز السكان الأصليون وهم الهنود الحمر فى أقصى الشمال فى منطقة الأمازون وأهم مدنهم مناوس، إلا أن التزاوج بين الأجناس أدى إلى اختلاطهم وأنتج ألواناً متعددة. فكل الأشكال يمكن أن تكون برازيلية، علماً بأن البرازيل تختلف عن الولايات المتحدة لعدم وجود تفرقة عنصرية بها. وسكان البرازيل يتميزون بالمرح والود واحتواء الأجانب بدون تحفظ، نظراً لأنهم جميعاً من أصول أجنبية ودولتهم حديثة (تقترب من قرنين).

ويمكن تقسيم البرازيل طبقا

شلالات إجوازو من جهة البرازيل

للاعراق على النحو التالى :

ا - الهنود الحمـــر: يتركزون فى الشمال حيث غابات الأمازون شديدة الرطوبة والحرارة. يعملون فى الصيد وقطع الأخشـــاب، وهم أكثر مناطق البرازيل فقـــراً ويتصفـــون بالدعة

والكسل. ويشتهر نهر الأمازون بأنواع كثيرة من الأسماك المختلفة وبعضها نادر جداً. وأهم الأســـماك التى تعيش فى النهر هو سمك البيرانا المتوحش، والذى يعيش فى أســـراب وله أسنان كالمنشار ويســـتطيع افتراس رجل فى أقل مـــن ٥ دقائـــق ولا يبقى له أثراً، وثعابيـــن مياه كهربائية تصعق المهاجـــم، كذلك تعيـــش أنواع من التماســـيح والزواحف. ويمكن رؤية مياه نهر الأمازون تجرى بجوار مياه نهر بوتومايا دون أن تمتزجا لاختلاف كثافة النهرين.

ب - الجنس الأسود: يسود أساساً فـــى المناطق الحارة بهيـــة والجواز وريـــودى جانيرو (نهـــر يناير حيث اكتشـــفها البحـــارة البرتغاليون فى شهر يناير). وتشـــتهر تلك المناطق بالسياحة لشـــواطئها البديعة وجوها الذى يميـــل للحرارة طـــوال العام، وترتفع فيهـــا معدلات الجريمة، إلا أن الســـياحة لم تتوقف، وأهم معالمها شـــواطئ كوباكابانا والباو دى سوكر (قمع الســـكر) والكوركوفادو (تمثال السيد المســـيح فاتحاً ذراعيه للعالم على قمة أعلى جبل ويمكن رؤيته من معظم الأماكن).

ج - الجنس العربى: يتركز أساساً فى مدن ريو دى جانيرو وساو باولو وأغلبهم اســـتقر من الجيل الثانى أو الثالث وكونوا ثروات، وبعضهم شغل مناصب مهمة فى الدولة، بل ورشـــح أحدهم نفسه للرئاسة كاللبنانى باولو معلوف الذى كانت لـــه فرص جيدة للفوز، والرئيس الحالى ميشيل نادر الذى تولى الرئاسة بعد عزل الرئيسة ديلما روسيف.

وللبنانييـــن والســـوريين نواد رياضية واجتماعية فى ريودى جانيرو وساوباولو، ولهم مستشفى مهم فى ساوباولو. وتعد مدينة ساوباولو أكبر وأهم المدن وتشتهر بالصناعة.

د - الجنـــس الأوروبى: يتركز من ساوباولو وسط البرازيل حتى بارانا وســـانتاكاتارينا وفوز دى اجواسو (شلالات اجواســـو وهو أكبر مساقط المياه فى العالم) جنوباً والتى تشترك فيها البرازيل والأرجنتين والباراجواى.

ولا عجيب الا البرازيل

وبسبب أن هذه المنطقة تضم النخبة من العلماء من أصول ألمانية وسويسرية فقد أصبحت أكثر المناطق المتقدمة فى البرازيل وبها أهم الصناعات التكنولوجية المتقدمة وبها معظم مراكز الأبحاث ودائماً تتردد مطالبات من أهالى جنوب البرازيل برغبتهم فى الانفصال عن الشمال حيث يعتبرون أنفسهم هم الذين يصنعون اقتصاد البرازيل ويعتقدون أن أهل الشمال عبء عليهم ويتنادون بأن النقود تصنع فى الجنوب وتنفق فى الشمال.

لمحات خاصه:

1 - فى ليلة رأس السنة كل عام يرتدى أهل ريودى جانيرو والمدن الواقعة على المحيط الأطلنطى ملابس بيضاء بالكامل على الشواطئ وهم يحملون زجاجات فارغة مغلقة وبداخلها رسائل يلقونها فى المحيط اعتقاداً منهم أنها ستصل إلى الجانب الآخر من المحيط حيث أصولهم وأهاليهم الذين اختطفوا منهم، وبعد ذلك يواصلون الرقص حتى الصباح.

2 - فى نهاية فبراير أو أوائل مارس (تتغير طبقاً للأعياد الكاثوليكية) يقام كرنفال ريو الشهير فى منطقة سامبودروم الشهيرة وهو عبارة عن مسابقة بين مدارس السامبا لاختيار أفضل فريق، وتقوم الفرق بالاستعداد للمسابقه لمدة عام كامل دون كلل، وتكون هذه الفترة أعلى معدل للسياحة من داخل وخارج البرازيل لحضور مهرجان ريودى جانيرو، وترتفع أسعار الفنادق إلى أعلى مستوى فى العام.

ورغم أن كرنفال ريودى جانيرو هو الكرنفال الرئيسى إلا أن بعض الولايات الأخرى تقوم أيضاً بعمل كرنفالات ولكنها أقل شهرة من كرنفال ريو، ورغم ما يتردد عن أن الكرنفال إباحى إلا أن هذا غير صحيح والسبب فى خفة ملابس الراقصين والراقصات هو المجهود الضخم الذى يبذلونه فى ذلك الجو الحار الرطب ورغم ذلك فإن بعض النوادى الخاصة تقوم بتنظيم كرنفالات مصغرة داخلها وتكون أكثر تحرراً وربما إباحية.

3 - مؤتمر قمة الأرض 1992 بريودى جانيرو: نظراً لأن المناطق المرتفعة المحيطة بريو (وتسمى فافيلاز) تعد سكناً للفقراء ومأوى للمجرمين وتجار المخدرات، مما يجعل مدينة ريو بجمالها الخلاب معرضة باستمرار لعمليات إجرامية، مما وضع المدينة فى موقف حرج عندما اقترب موعد المؤتمر خوفاً مما سيتعرض له الضيوف من مخاطر. وقد تفتق ذهن عمدتها فى ذلك الوقت «بريزولا» على حل لهذه المشكلة تمثل فى عقد اتفاق مع كبار المجرمين على مكوث المجرمين وتجار المخدرات وعدم النزول إلى المدينة لمدة شهر (فترة المؤتمر)، على أن يعوضهم العمدة عن خسائرهم بمبلغ مالى مجز. وفعلاً التزموا بالاتفاق ولم تحدث جرائم تذكر، وانتهى المؤتمر على خير بحضور عدد كبير من رؤساء العالم أهمهم جورج بوش الأب وكاسترو.

4 - تعتز ريودى جانيرو باستاد الماراكاناه الشهير الذى هو بالإضافة لكونه من أكبر الاستادات فى العالم فهو أيضاً معلم سياحى، والشعب البرازيلى شعب رياضى بامتياز يمارس معظم الألعاب سواء فردية أو جماعية. ولكن كرة القدم لها وضع خاص جداً ومميز ويلقى تشجيعاً جنونياً من كل البرازيليين.

5 - ابتدعت البرازيل استخدام الكحول كوقود للسيارات فى شوارعها، ولذلك تنتشر رائحة الكحول فى شوارعها.

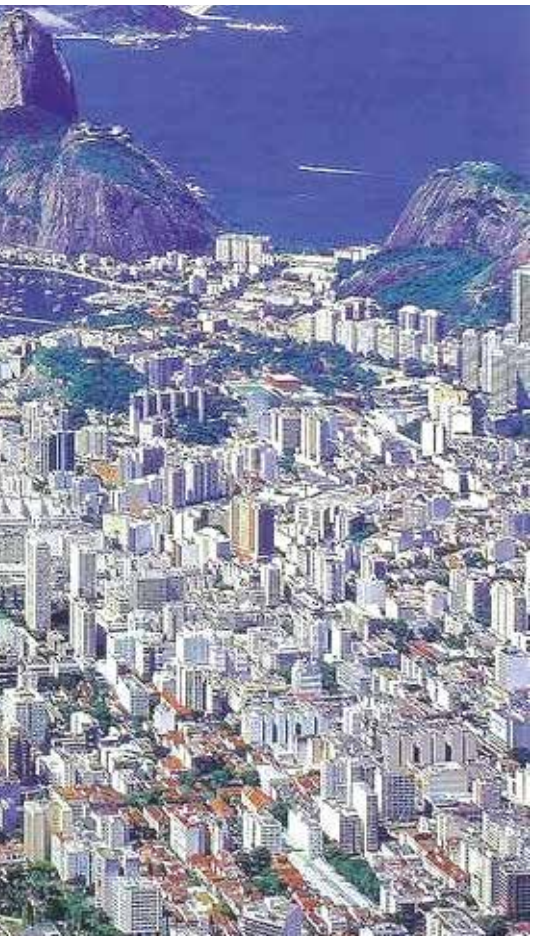

6 - بعد نهاية الحرب العالمية الثانية وعند بداية نهضة البرازيل، دفعت شركات السيارات الكبرى فى الولايات المتحدة وبعض الدول الأوروبية رشاوى كبيرة للحكومة لتحويل خططها من الاهتمام بالسكك الحديدية ليصبح الاهتمام بالطرق والكبارى لتشجيع صناعة السيارات. وبالفعل نشأت صناعات سيارات قوية سواء فورد الأمريكية بعدة طرازات أو فولكس فاجن بطرازات متعددة وشاحنات وأوتوبيسات وأيضاً طائرات، ولم يواكب ذلك اهتمام مماثل بالسكك الحديدية وما زالت متخلفة.

7 - تفتخر البرازيل بكونها أول دولة تحاكم رئيسها «فرناندو كولر ديميلو» فى البرلمان عام 1992 لتقاضيه رشاوى منها سيارة صغيرة لزوجته ومبالغ مالية بشيكات. وقد ثبتت إدانته بسهولة، ولكنه قبل صدور

الكوركوفادو

قرار عزله من الرئاسة بنصف ساعة قدم استقالته، وبالتالى فقد تم الاكتفاء بقبول استقالته ومنعه من العمل العام لمدة فترتين رئاسيتين، وهذا بالإضافة للرئيس لولا الذى يمضى 12 عاماً فى السجن لفساده رغم شعبيته الطاغيه بين الفقراء، ومحاكمة مساعدته الأولى (الرئيسة روسيف) والتى اختارها بنفسه لتكون الرئيسة من بعده والتى تم عزلها عام 2016.

8 - جدير بالذكر أن نتائج الانتخابات البرازيلية الأخيرة، وانتخاب الرئيس جايير بولسنارو العسكرى واليمينى المتطرف إلى حد الفاشية أحياناً وبنسبة 55.1 %، تعتبر بمثابة صدمة مدوية للعالم كله. ويمكن تفسيره بسهولة على أن شعب البرازيل قد فقد الثقة فى كل الأحزاب التى تولت الحكم لأكثر من الـ 30 سنة الماضية، سواء معتدلة أو وسط أو يسارية، فكلهم بددوا آمال الشعب البرازيلى فى تحقيق النزاهة والعدالة والشرف والمساواة، ولكن أبناء الشعب أفاقوا على فسادهم غير المتخيل مداه رغم شعبيتهم الضخمة وقتها، والذى أدى إلى محاكمة وإدانة وعزل 3 رؤساء وكانوا على وشك عزل الرابع، وبالتالى فكان تصويت يوم 28 أكتوبر بمثابة تصويت عقابى يعلن أن الشعب قد كفر بكل الأحزاب القائمة، وأراد أن يعود مرة أخرى إلى الحكم العسكرى الذى بنى النهضة البرازيلية الحقيقية، وأدى إلى قفزها عالياً فى مجالات التقدم التقنى والصناعى والاقتصادى والزراعى رغم اتهامهم وقتها بالديكتاتورية وخداع الأحزاب لهم بالديمقراطية وبأنهم الديمقراطية الرابعة فى العالم، والتى صدموا خلالها بأن ديمقراطيتهم المزعومة تخبئ فساد رؤسائهم وزوجاتهم وأولادهم بما يزكم الأنوف سواء رشاوى واختلاسات أو تلاعب فى التعيينات الحكومية وكل جوانب الحياة.

9 - والسؤال الذى يثار حالياً سواء فى البرازيل أو أمريكا الجنوبية وباقى دول العالم عن تصرفات الرئيس الجديد الذى قد يفوق تطرفه تطرف ترامب نحو جيرانه وارتباطاته الاقتصادية والسياسية، فالبرازيل عماد مجموعة الميركوسور ومنظمة الدول الأمريكية والبريكس وعدة منظمات أخرى، فهل تكون لها قرارات صادمة وانسحابات من بعضها أو محاولة فرض تعديلات وإعادة التفاوض حولها أسوة بما فعله ترامب مع حلفائه؟ هذا هو السؤال الذى من المبكر الإجابة الصادقة عنه وستجيب عنه الأيام القادمة.

ورغم كل ما تقدم فإن البرازيل من الدول التى يعشقها الزائر من أول نظرة، ويظل يحتفظ بحبها مدى الحياة.

نكبر، وتظل القلوب شابة، وتبقى المشاعر متقدة، والأحلام جميلة؛ فنحن نصنع دنيانا، ونعيشها بأرواحنا حينما نحب.

ماريا و جونتر، قصة حب و قدر

- ماريا سيدة جميلة فاتنة مولودة لأسرة ثرية، فوالدها شخصية عسكرية ذات خبرة دولية، ووالدتها شخصية مسيطرة، لكن كلاهما على حد علمه ربياها بصرامة لتصبح مدعاة للفخر.

سفير د. هادى التونسي

arabemaluco@hotmail.com

- جونتر جنتلمان وشخصية قيادية فى عمله كمعمارى. والداه كانا بالغى الحنان، فمنحا الدفء والأمان والحب والرعاية المخلصة لأبنائهما الثلاثة بشكل مثالى، يصعب أن يتوفر فى أسر أخرى. جونتر يشعر بسعادة بمفرده، لكن هل يجد مثل تلك العلاقات فى زواج؟

أمران، أو قل حلمين، كانا فى مخيلة الشابين حينما التقيا لأول مرة. كانت قد بلغت السابعة عشرة، وكان يكبرها بأربعة أعوام عندما تقابلا أثناء ممارسة الألعاب المائية فى بحيرة بجانب منزل الأسرتين. فهل كان الإبحار بالقوارب الشراعية والسيطرة على تقلبات الرياح رمزاً لبحثهما عن الحرية والإنجاز؟

- حاول جونتر المعجب إظهار عواطفه باتزانه المعهود، لكن ماريا الفاتنة كانت تريد ما هو أكثر من محب حساس، بل أرادت شريكاً يشع ذلك النوع من القوة الذى تطلعت أن تجده فى نفسها حينما تمردت على الأم المسيطرة، فكيف كان لها فى ذلك السن أن تميز بين رجل يتظاهر بالقوة لكنه غير متاح عاطفياً وآخر يتمتع بالقوة الداخلية، حين كان حولها معجبون كثر، وكانت الحياة واعدة؟

- فماذا كانت ماريا تتوقع من شاب مخلص لو لم تلق بادراته الحانية قبولاً مرتين؟ فماريا الواثقة من جاذبيتها كانت تأمل أن يلاحقها بعزيمة واثقة ترضى غرورها وتؤكد أنها المختارة. لكنه لم يجتز الاختبار.

- جونتر المحبط، مفضلاً سكينته، وجد أنه من الأوفق أن يلجأ للزواج التقليدى، لكن الأطفال والعلاقة الزوجية السطحية لم يكونا كافيين لإشباع إيمانه بتحقيق الحلم، فحاول الزواج ثانية بامرأة جادة أحبها، وأنجب منها قبل أن تخنق روحه الحرة المتطلعة للعدل والاحترام بشخصيتها الطاغية غير المتسامحة، فكان الشقاء والصراع كفيلين بتدمير معبد الحب، فهل يفقد الأمل؟

- وماريا فى إعادة لا واعية للنمط الأبوى تزوجت وأنجبت من شخص بادى القوة، لكنه أنانى غير متسامح، ثم انغمست بعد الطلاق فى علاقة لسنوات مع طبيب شهير تجنب الزواج منها مؤثرا راحته الشخصية. فهل كان لظاهر القوة فى هذين الشريكين أن يفى باحتياجها وبحقها العاطفى أن تكون محل حب ورعاية حقيقيين؟

- إلى البحيرة حيث كان اللقاء الأول، عاد جونتر مهندساً بارزاً يشترى أرض بناء، فهل كان اختيار المكان رغبة لا واعية فى استعادة ذكريات الأسرة الدافئة التى افتقدها فى كل علاقاته الزوجية؟ بل أكثر من ذلك هل كان الاختيار إتاحة لفرصة ما ربما يجد خلالها جميلته ماريا؟ هل كان يكتب قدره بإصراره على أن اليوتوبيا ليست مستحيلة؟

- ربما كان أمراً هيناً منذ ثلاثين عاماً أن يتخليا عن علاقة عاطفية، ربما لو تواعدا لم تكن العلاقة لتتحمل رغباتهما المتصارعة، ولكن ماذا عنهما الآن وقد جربا البدائل، واستوعبا الدروس، وفهما حقيقة ما يريدانه؟

- أدركت ماريا أن القوة الحقيقية داخلية، فبعيداً عن الاحتياج الخائف للتحكم فى الآخرين وعن الأشخاص الأنانيين المنكفئين على ذواتهم ببخل عاطفى، هى تحتاج شريكاً محباً راعياً هادئاً مستقراً، وليس شخصاً سطحياً مدعياً القوة.

- وجونتر الآن كشريك مناسب يحتاج أن يحقق حلماً طال انتظاره، وأن يتمتع بمشاركة الحياة مع شريكة تلقائية تتذوق جمال الدنيا برقى الأسلوب، لتحيى الطفل داخله، وتضيف الحيوية والمرح لطبيعته المثالية الانعزالية.

- فكلاهما إذن يحتاج الآخر. فهل كان القدر أرحم حينما لم يتزوجا منذ البداية؟ هل يستحق الأمر مع تقدم السن أن يستمعا إلى نداء القلب بملاحقة الحلم الجارف؟ هل حقاً فات وقت أن نحلم حينما يتقدم العمر؟

اسأل ماريا وجونتر

تمثال العـــار

إنه تمثال لجان فرانسوا شامبليون واضعاً قدمه على رأس أحد ملوك مصر القديمة، وهذا التمثال فى مدخل الكولج دى فرانس السربون - فى باريس!!

هذا ليس بمعقول، ذلك لأن شـــامبليون هو الـــذى حل شـــفرة اللغـــة المصرية القديمة وذلك بواســـطة حل رموز الكتابة الهيروغليفيـــة مـــن على حجر رشـــيد، صحيح أنه استعان بما وصل إليه توماس يونج البريطانى، وأيضاً يوحنا الشفنشـــى المصرى، ولكـــن الفضل أولاً وأخيراً يرجع إلى شامبليون.

شامبليون عشـــق الحضارة المصرية، وقال عنها:

يتداعى الخيال ويسقط بلا حراك تحت أقدام الحضارة المصرية القديمة!

فمن ذا الذى وضع شامبليون فى هذا الوضـــع الذى يتنافى مع حبـــه واحترامه لملوك مصر القديمة؟!

إنه فريدريك أوجست بارتولدى.

زار فريدريـــك مصر 1855 بدعوة من الخديوى إســـماعيل، وطلب الخديوى منه عمل تمثال طولـــه بالقاعدة مائة متر، هذا التمثال يكون لفلاحـــة مصرية، تحمل فى يدها اليسرى مشـــعلاً، وعلى رأسها غطاء له و7 فتحات رموزاً للبحار الســـبعة، أما الشعلة فتكون رمزاً لمدخل بورسعيد.

كان هدف الخديوى إسماعيل هو إعلان اســـتقلال مصر عن الخلافة العثمانية فى نفس يوم الاحتفالية بافتتاح قناة السويس.

انتهـــى بارتولدى من عمـــل التمثال ولكن الخديوى إســـماعيل اعتذر عن عدم شراء التمثال لأن خزانة الدولة كانت خاوية بسبب الديون.

غضب بارتولدى غضباً شديداً، ومما زاد من غضبه، أن فرنسا أهدت التمثال للولايات المتحدة الأمريكية فى عيد الاستقلال، بعد إجراء بعض التعديلات مثل نقل الشعلة من اليد اليسرى إلى اليد اليمنى، وهذا هو تمثالنا الذى سميناه تمثال الحرية - حرية مصر واســـتقلالها من الاحتلال التركى البغيض - وأصبح نفس التمثال بنفس الاســـم على جزيرة مانهاتن فى ميناء نيويورك.

عبر بارتولدى عن غضبه بعمل تمثال لشـــامبليون واضعاً قدمه على رأس أحد ملوك مصر القديمـــة، فأطلقت عليه تمثال العار... العار على الإنسانية قبل أن يكون عاراً على فرنسا.

كتبت ثلاثة مقالات فى المصرى اليوم مطالبـــاً وزير الآثار مع وزيـــر الثقافة أن يطالبا بتدمير هـــذا التمثال أو وضعه فى أحـــد المخازن، خصوصـــاً وأن كولج دى جرونوبل صنعت تمثـــالاً طبق الأصل من

د .وسيم السيسى

تمثال بارتولدى، ووضعته فى مدخل الكلية فـــى باريس!! ولم أجد صـــدى لما كتبت! ذهبت لوزارة الخارجية، وقابلت الســـفير أيمن مشرفة مســـاعد وزير الخارجية عن المراسم وحدثته فى الأمر، وتركت له بعض مقالاتى، ووعدنـــى بعرضها، ويبدو أنه لم يوفق، حاولت مع المركز الثقافى الفرنسى عن طريق موظفة تعمل هناك، ولكن دون فائدة.

اتفقت مع صديقى الأســـتاذ الدكتور محمد زينهم الأستاذ بكلية الفنون التطبيقية علـــى عمل تمثال يصور شـــامبليون وهو يعنف بارتولدى، راكعاً أمامه يطلب العفو والمغفرة من شـــامبليون الـــذى يقول له «كيف تصورنى فى هذا التمثال القبيح وأنا القائل: يتداعى الخيال ويســـقط بلا حراك تحت أقدام الحضارة المصرية القديمة!

تم عمل التمثال وهو فى منزلى الآن.

تم التغيير الـــوزارى، وجاءت الفنانة الدكتورة إيناس عبد الدايم وزيرة الثقافة، كتبت مقالاً بعنوان آخر أمل لنا فى مصر. وشرحت فى المقال قصة تمثال بارتولدى!

اســـتجابت الدكتورة إيناس عبد الدايم وطلبت مقابلتى فى ديوان الوزارة، ذهبت إليها وقلـــت لها: صحيح ما يقال: إذا أردت أقـــوالاً اذهب للرجال أمـــا إذا أردت أفعالاً اذهب للمرأة!

ابتســـمت الدكتورة إينـــاس، وصدر قرار وزارى بذهابـــى إلى روما حيث ألقى محاضرة بالإنجليزية فى أكاديمية الفنون بعنوان: شـــامبليون والحضارة المصرية القديمة.

استقبلتنى الدكتورة جيهان زكى رئيسة أكاديميـــة الفنون فى رومـــا، والتى تجيد العربية والإنجليزية والفرنسية والإيطالية، الدكتـــورة جيهان أحيـــت الأكاديمية بعد موات منذ سبع ســـنوات. كانت المحاضرة مساء 21 نوفمبر 2018، وكانت لويزا التى تترجم ما أقول مـــن الإنجليزية للإيطالية، كان الجمهور الإيطالى مع المصرى كثيفاً، كما كان حاضراً ســـفيرنا فى روما السفير هشام بدر، وسفيرنا فى الفاتيكان السفير محمود سامى الذى أقام حفلاً على شرفى فـــى 22 نوفمبر 2018 وكان حاضراً أمين عام جامعة الدول العربية السفير أحمد أبو الغيط، ووزير البترول طارق الملا وغيرهم من الوزراء والكبراء.

اســـتمرت المحاضرة ساعة فى وجود أســـاتذة للمصريات من جامعات إيطاليا، وبعد أن تحدثت عن شامبليون وإنجازاته وثمار كشـــفه عن أســـرار اللغة المصرية القديمة، عرضت بالصور تمثال بارتولدى المؤســـف، وطالبت كل أكاديميات الفنون فى العالم كله أن تطالب برفع هذا التمثال المهين للإنسانية جمعاء.

الشىء الجميل أن الدكتورة إيناس عبد الدايم لم تكتف بمـــا وصلنا إليه، بل صدر قرار وزارى آخر أن أذهب إلى باريس فى 11 فبراير 2019 لعـــرض قضيتنا ومعى تمثال شامبليون وهو يعنف بارتولدى.

الشـــكر الجزيل للدكتورة إيناس عبد الدايم والدكتورة جيهان زكى، كذلك الشكر الكبير لمجلة الدبلوماســـى لاهتمامها بهذا الأمر.

الاسكندرية عروس البحر المتوسط

الإسكندرية عروس البحر المتوسط ودرة موانيه، عاصمة جميلة جميلات التاريخ كليوباترا ومقر حكمها، مقر عبادة إيزيس أسطورة الأساطير حبيبة ومعبودة المصريين فى ذلك الوقت التى تقربت بها كليوباترا للمصريين، فامتلكت قلوبهم حيث اتخذتها رمزاً لها وارتدت ملابسها.

عبير الروح سعيد

منارة منارات العالم القديم فى العلم والثقافة، فأول جامعة عرفها التاريخ كانت فيها وكذلك أكبر مكتبة. الإسكندرية رمز للسعادة والمرح فى صيف مصر الحار حيث تتمتع الإسكندرية بجو جميل وهواء رطب بارد غسل فى بحرها وبعث من جديد كنسمات تبعث فى هوائها وتغزو شواطئها الجميلة. حيث رمالها الصفراء الناعمة وبحرها الهادئ الجميل، كم لهونا أطفالاً على شواطئها وسعدنا شباباً فى لياليها، كورنيش الإسكندرية - قلعة قايتباى - عامود السوارى - المنتزة - الشاطبى - المعمورة - ميامى - كوم الدكة - جليم - سيدى بشر - المرسى أبوالعباس - المتحف اليونانى الرومانى - المسرح اليونانى، كل هذه الأماكن وغيرها نحمل من كل مكان من هذه الأماكن وغيرها ذكرى جميلة تداعب خيالنا حينما يأتى ذكر الإسكندرية فى أى وقت.

الإسكندرية الجميلة هى المصيف الأول لكل المصريين، وهى قبلة المصطافين فى الصيف، وكذلك أهم وأكبر ميناء بحرى فى مصر. وهى كذلك بمكتبتها الحديثة مقر مهم للتنوير وللثقافة المصرية.

هذا ويبدأ تاريخ الإسكندرية منذ عام 332 ق.م حيث اتجه الإسكندر الأكبر بجيشه إلى مصر، ودخل العاصمة منف (ممفيس) ميت رهينة حالياً، وزار معبد الإله «بتاح» حيث توج ملكاً على مصر. كما زار معبد الشمس فى أون (هليوبوليس) عين شمس الحالية، ثم قام بزيارة إلى معبد الوحى فى سيوة وهو معبد الإله «آمون» رب الأرباب، وهناك نودى به ابناً للإله «زيوس آمون»، فقد اعتبره المصريون مخلصاً لهم فى ظل الحكم الفارسى، وفى طريق عودته من سيوة مر بقرية صغيرة على ساحل البحر للصيادين تسمى راقودة أو «رع كوتيس» أى قرية الإله رع، فأعجبه موقعها وبدأ يفكر فى بناء مدينة جديدة على ساحل البحر لتكون قريبة من بلاد اليونان وتحمل اسمه وتكون عاصمة للبلاد، فأسس مدينة الإسكندرية وسميت بالإسكندرية المتاخمة لمصر.

وكان الإسكندر موفقاً فى اختيار الموقع حيث كانت على الشاطىء جزيرة صغيرة صخرية وغير مأهولة بالسكان أطلق عليها جزيرة فاروس، فقام بمد الجزيرة الصخرية بقرية الصيادين، وأنشأ بذلك ميناءين. أما بحيرة مريوط من الجنوب فكانت تصل المدينة بالنيل عن طريق ترعة شيديا (المحمودية حالياً)، الأمر الذى جعل المدينة الجديدة

عامود السوارى

الاسكندر الاكبر ملك العالم القديم

مكتبة الاسكندرية

فى نظر ورؤية الإســـكندر الأكبر تتصل بالبحر الأحمر وهـــو طريق للتجارة إلى اليمن وحضرموت والشرق الأقصى، وهو أيضاً ما يؤهل المدينة لاستقبال البضائع والتجارة القادمة من أوروبا، وهذا ما كان الإســـكندر يطمع فى تحقيقه بعد اتساع إمبراطوريته فى فارس والهند ومقدونيا ودويلات بحر إيجة وآسيا الصغرى، أى

بطليموس

مزج حضارات الشـــرق بالغـــرب أو ما يعرف بالحضارة الهيلينستية.

جامعة الإسكندرية (دار البحث العلمى):

ارتبطت شـــهرة مدينة الإسكندرية الثقافيـــة والعلميـــة بجامعتهـــا التى أنشـــئت فى عهـــد البطالمـــة، فكانت جامعة الإســـكندرية أكبر جامعة عرفها العالم القديـــم، حيث توافد عليها العلماء والمفكرون من كافة أنحاء العالم المعمور فـــى ذلك الوقت، فكانت تـــدرس العلوم والآداب والفنون المختلفـــة، فازدهرت علوم الفلك والجغرافيا والنبات والحيوان والتشريح والطب والجراحة والرياضيات، وكان البطالمة يوفرون على نفقتهم إقامة العلمـــاء والطلاب فى مبانـــى الجامعة. ولعلماء الإسكندرية الفضل فى التوصل إلى الكثير من الحقائق العلمية والمبادئ الفلكية مثل دوران الأرض حول الشمس والذى قام به العالم أرســـتارخوس قبل كوبرنيكوس بقرون، وتقدير محيط الكرة الأرضية الذى قام به العالم أراتوستينيز.

ومن أشهر علماء الإسكندرية إقليدس عالم الهندسة، وبطليموس عالم الجغرافيا، ومانيتون الســـمنودى المؤرخ المصرى الذى كلفه بطليموس الثانى فيلادلفوس بكتابـــة تاريخ مصـــر. وكان من علماء الإسكندرية المطلعين على اللغة اليونانية فضلاً عن لغته المصرية القديمة، فاعتبر صاحب المرجع الأول فى تاريخ الأسرات الحاكمة فى مصر الفرعونية، وهو الذى قســـم التاريخ الفرعونى إلى ثلاث دول القديمـــة والوســـطى والحديثة تتضمن حوالى 30 أسرة فرعونية.

مكتبة الإسكندرية (دار الكتب):

إلى جانب الجامعة، أنشـــأ البطالمة بالإسكندرية داراً عظيمة للكتب، جمعت معظـــم كتب الأمـــم القديمـــة، وفرض البطالمة على كل من يتعلم بالإسكندرية أو يزورها مـــن العلمـــاء أن يهدى إلى دار كتبها نســـخة مـــن كل ما يؤلف من كتب، فكانت هذه المكتبة مورداً للعلماء والباحثيـــن والطـــلاب. وأنشـــأ مكتبة الإســـكندرية بطليموس الأول سوتير أى (المنقذ) وهـــى أول مكتبة عامة عرفها العالم القديم، ضمت أكثر من 700 ألف كتاب وكانـــت المؤلفات تكتب على ورق البردى باليد.

فمكتبة الإســـكندرية بثوبها الحديث هـــى عبارة عن إعـــادة إحيـــاء لمكتبة

مكتبة الاسكندرية قديما

الاسكندرية
عروس البحر المتوسط

الإســـكندرية القديمـــة أكبـــر مكتبات عصرها. فقد قامت مصر بعمل مشروع ضخم بالاشتراك مع الأمم المتحدة، حيث تم بناء المكتبة من جديد فى موقع قريب من المكتبة القديمة بمنطقة الشـــاطبى، وتـــم افتتاحها فى 16 مـــن أكتوبر عام 2002.

وتسعى مكتبة الإسكندرية الحديثة إلى استعادة روح الانفتاح والبحث التى ميزت المكتبة القديمة، فهى ليست مجرد مكتبة وإنما هى مجمع ثقافى متكامل.

تتكون المكتبة من المكتبة الرئيسية والمكتبات التابعة لها، وهى ست مكتبات متخصصة (مكتبة الفنون والوســـائط المتعددة - مكتبة طه حسين للمكفوفين وضعاف البصر - مكتبة الطفل - مكتبة النشء - مكتبـــة الميكروفيلم - مكتبة الكتب النـــادرة والمجموعات الخاصة)، كمـــا تحتوى أيضـــاً على مركـــز القبة السماوية العلمى.

هذا بالإضافة إلـــى أربعة متاحف: متحف الآثـــار - متحف المخطوطات - متحف السادات - متحف تاريخ العلوم. وكذلـــك البانوراما الحضاريـــة والتى تستعرض التراث المصرى منذ أكثر من خمسة آلاف عام، كما تلقى الضوء أيضاً على التراث القبطى والإسلامى. وتحتوى المكتبة على 13 مركزاً للبحث الأكاديمى و15 معرضاً دائمـــاً، ومركزاً للمؤتمرات يتسع لأكثر من ألف شخص.

وتســـتقبل المكتبة كل عام حوالى مليوناً ونصـــف المليون زائر، وتتلخص رسالة مكتبة الإسكندرية فى كونها مركزاً متميزاً لإنتاج ونشر المعرفة والتفاعل بين الشعوب والحضارات. كما تتطلع المكتبة بشكل خاص لأن تكون نافذة للعالم على مصر ونافذة لمصر على العالم. كما أنها تهدف إلى أن تصبح مؤسســـة رائدة فى العصر الرقمى ومركـــزاً للتعلم والحوار والتسامح.

وبمناســـبة الذكـــرى الخامســـة والأربعيـــن لرحيل عميـــد الأدب العربى

صور المكتبه من الداخل

المخطوطات النادرة بمكتبة الاسكندرية

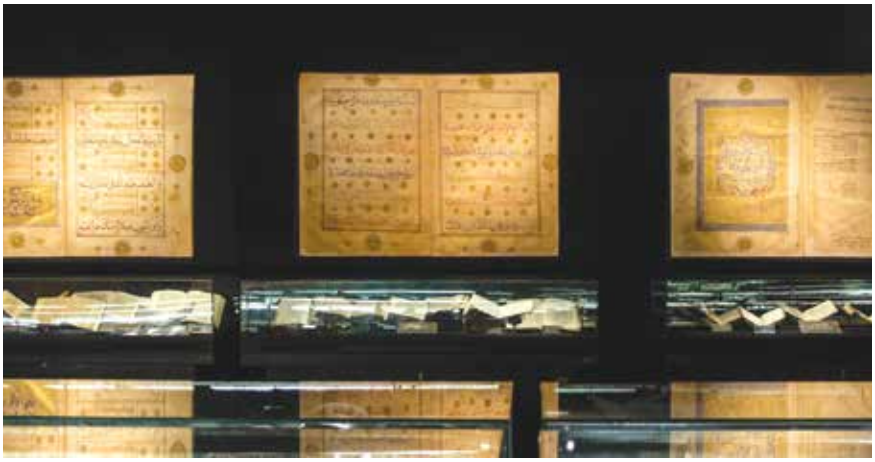

متحف المخطوطات بمكتبة الاسكندرية

احدى البرديات النادره بالمكتبة

متحف السادات بمكتبة الاسكندرية

متحف الاثار بمكتبة الاسكندرية

الدكتور طه حسين، وإيماناً من مكتبة الإسكندرية بدور الثقافة والفكر فى تقدم الوطن، أصدرت المكتبة طبعة جديدة من كتاب «مستقبل الثقافة فى مصر» ضمن فعاليات مشروع «إعادة إصدار كتب التراث». وتأتى هذه الطبعة بعد مرور ثمانين عاماً على صدور الكتاب فى طبعته الأولى عام 1938.

وقد ذكر د. مصطفى الفقى مدير مكتبة الإسكندرية فى تصديره للكتاب، أنه يأتى فى سياق جهود المكتبة فى مواجهة التطرف الفكرى وإفساح المجال أمام الأفكار التى تسهم فى التجديد ونهضة المجتمعات العربية والإسلامية. وأضاف د. الفقى بأن كتاب «مستقبل الثقافة فى مصر» يثير التساؤلات ويحض على التفكير، ويفتح باباً للحوار، وأنه يأتى ضمن مختارات من التراث الفكرى والثقافى فى إطار مشروع لمكتبة الإسكندرية بعنوان «إعادة إحياء كتب التراث، وتم بالفعل عرض الكتاب خلال الملتقى السنوى للمثقفين والمفكرين الذى أقامته المكتبة يومى 25 و26 ديسمبر 2018.

تـأمـــلات

الفوضى الخلاقة

تعرف الفوضى الخلاقة بأنها إحداث متعمد لحالة سياسية أو إنسانية بقصد الوصول إلـــى موقف أو واقع يلجأ إليه الطرف الذى أحدث الفوضـــى. أو أنها حالة جيوبوليتيكية تعمل على إيجاد نظام سياسى جديد وفعال بعد تدمير النظام القائم أو تحييده. وقد دخل هذا المصطلح القاموس السياسى فى العقدين الأخيرين.

سفير أشرف عقل

aklashraf56@gmail.com

ويبـــدو من هـــذا المفهوم أن الفوضى الخلاقة أقرب إلى مفهوم الإدارة بالأزمـــات فـــى المجال الإستراتيجى مع اختلاف الآليات والوســـائل. فالإدارة بالأزمات هى علم وفن صناعة الأزمة وافتعالها وإدارتها بنجـــاح لغرض تحقيق مصالح معينـــة، ويترتب على هذا النوع من الأزمات تفكيك المنظومة المستهدفة، مما يسهل الولوج إلى مكوناتهـــا الأساســـية الأمر الذى يؤدى إلـــى انهيار كلـــى للنظام وإعادة تشـــكيله بطريقة تعكس تلك المصالح .

ترتكز الأصول الفكرية للفوضى الخلاقة على مناهج الفكر التقليدية الثلاثـــة: منهج تومـــاس هوبز، ومنهج غروتيوس، ومنهج كانط، التـــى تتضمن قـــراءات متقاربة لتاريخ الفكر الخاص بالمجتمعات والعلاقات الدولية، وبكل ما تطور به هذا الفكر داخل أوروبا بدءاً من القرن الخامس عشر. وعلى الرغم من اختلاف هذه المناهج فى بعض ما جاءت به حول مفهوم «المجتمع الفوضوى»؛ فإن هـــذه المناهج تعلق أهمية كبيـــرة على التاريخ والمنهـــج التاريخى والحاجة إلى إرجاع صلب المجتمع الدولى إلى التاريخ. ويمكن أن نتلمس مفهوم الفوضـــى أيضاً فى كتاب (الأمير) لنيقولا ميكيافيللـــى الذى يعتبر أن النظام ينشـــأ من الفوضى وأن الفوضى تحدث الخراب الذى يقام على أنقاضه النظام.

وتعتمـــد نظريـــة «الفوضى الخلاقة» أساســـاً على ما أسماه «صموئيـــل هنتنجتـــون» بفجوة الاستقرار، وهى الفجوة التى يشعر بها المواطن بين ما هو كائن وما ينبغى أن يكون. فتنعكس بضيقها أو اتساعها على الاستقرار بشكل أو بآخر. فاتســـاعها يولد إحباطاً ونقمة فى أوســـاط المجتمع، مما يعمل علـــى زعزعة الاســـتقرار السياسى، لاســـيما إذا ما انعدمت الحريـــة الاجتماعية والاقتصادية، وافتقدت مؤسسات النظام القابلية والقدرة على التكيف الإيجابى .

ويـــرى بعـــض المحللين أن الفوضـــى الخلاقـــة ترتكز على أيديولوجية أمريكيـــة نابعة من مدرستين رئيسيتين هما :

1 - الأولى صاغها «فرانسيس فوكوياما» بعنـــوان «نهايـــة التاريخ» يقســـم فيهـــا العالم ما بين عالـــم تاريخى غـــارق فى الاضطرابات والحروب وهو العالم غير الديمقراطـــى، وعالم آخر ما بعد التاريخـــى وهو الديمقراطى الليبرالى وفق الطريقة الأمريكية .

٢- والثانية صاغها «هنتنجتون» بعنوان «صراع الحضارات» معتبراً أن النزاعات والانقسامات فى العالم سيكون مصدرها حضارياً وثقافياً، موضحاً أن الخطوط الفاصلة بين الحضارات ســـتكون هى خطوط

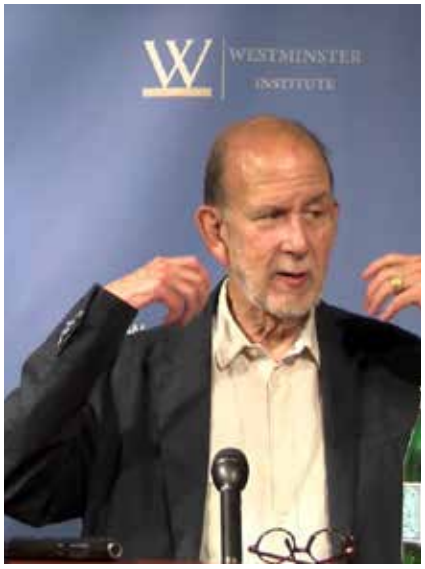

مايكل ليدين

غروتيوس

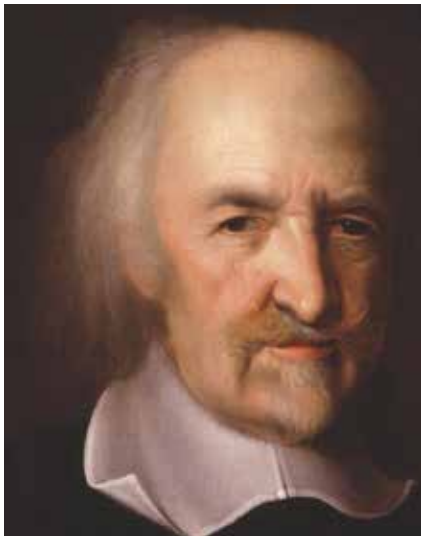

مايكل ليدين

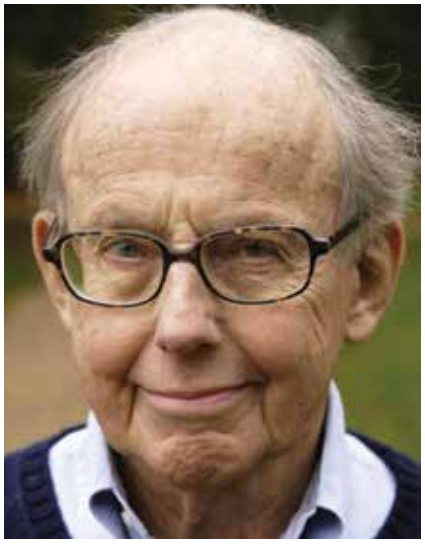

صموئيل هنتنجتون

المعارك فى المستقبل .

وعلى الرغم من تناقض المدرستين، إلا أنهما تتفقان على ضرورة بناء نظام عالمى جديد تقوده الولايات المتحدة، إضافة إلى معاداة الحضارة الإسلامية باعتبارها نقيضاً ثقافياً وقيمياً للحضارة الغربية .

ويعد «مايكل ليدين» العضو البارز فى معهد «أمريكا إنتربرايز» أول من صاغ مفهوم « الفوضى الخلاقة أو الفوضى البناءة أو التدمير البناء» فى معناه السياسى الحالى وهو ما عبر عنه فى مشروع «التغيير الكامل فى الشرق الأوسط» الذى أعد عام 2003 وارتكز على منظومة من الإصلاحات السياسية والاقتصادية والاجتماعية الشاملة لكل دول المنطقة وفقا لإستراتيجية جديدة تقوم على أساس الهدم ثم إعادة البناء .

وقد ذهب «ليدين» إلى تسويغ مذهب القوة اللامتناهية حتى لو أدى الأمر بالولايات المتحدة إلى أن تقوم كل عشر سنوات باختيار بلد صغير وتدمره، وذلك لإظهار أنها جادة فى أقوالها .

وقد استخدمت « كونداليزا رايس» وزيرة الخارجية الأمريكية فى عهد بوش الابن هذا المفهوم كثيراً، كما عبرت عنه قائلة « إن الولايات المتحدة سعت على مدار ستين عاماً إلى تحقيق الاستقرار فى الشرق الأوسط على حساب الديمقراطية، ولم يتحقق أى منهما، وأنها ستتبنى نهجاً مختلفاً، حيث إن هناك من يقول إن الديمقراطية تقود إلى الفوضى والصراع والإرهاب، والحقيقة هى العكس، بمعنى أن الفوضى تمثل الأساس المنهجى لخلق الديمقراطية الأمريكية المنشودة .

كما طور « توماس بارينت» وهو أحد أهم المحاضرين فى البنتاجون فى عهد بوش الابن أيضا نظرية «الفوضى الخلاقة» فقسم العالم إلى قسمين، الأول يضم دول القلب أو المركز (أمريكا وحلفاءها)، والثانى ويضم دول الفجوة أو الثقب وهى(دول العالم الأخرى) التى شبهها بثقب الأوزون الذى لم يكن ظاهراً قبل أحداث 11 سبتمبر 2001. وهى الدول المصابة بالحكم الاستبدادى والأمراض والفقر والقتل الروتينى والنزاعات المزمنة وهى البيئة التى تعد بمثابة مزارع لتفريخ الجيل القادم من الإرهابيين. وبالتالى يتعين على دول المركز السعى لانكماش الثقب فى داخله وذلك عن طريق الفوضى البناءة .

وباختصار، فإن مفهوم «الفوضى الخلاقة» يعد أحد أهم المفاتيح التى أنتجها العقل الإستراتيجي الأمريكى فى التعامل مع القضايا الدولية، حيث تمت صياغة هذا المصطلح بعناية فائقة من قبل النخب الأكاديمية وصناع السياسة، وعلى خلاف مفهوم الفوضى المثقل بدلالات سلبية كعدم الاستقرار، أضيف إليه مصطلح آخر يتمتع بالإيجابية، وهو الخلق أو البناء، ولا يخفى خبث المقاصد الكامنة فى صلب مصطلح «الفوضى الخلاقة» لأغراض التضليل والتمويه .

اللـــه والنـــاس

اللـــه خلقنا تفضلاً منه.. ولولا أنه أراد أن نوجد ما وجدنا، مثلما قال رب العزة لزكريا عليه السلام «وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئا» «مريم 9» وأراد ســـبحانه أن يدخلنا جناته ننعم فيها أبد الدهر تفضلاً منه أيضاً، ولم يطلب منا سبحانه إزاء ذلك إلا أن نؤمن به.

سفير د. فتحى مرعي

والإيمان بالله عز وجل يقتضى أن نحرص على إرضائه بأن ننصاع لما يوجهنا إليه مما يزكينا ويطهرنا، وأن نعـــرض عما يغضبه علينا، مما يدنسنا ويؤثمنا .

وإذ يعلم الله أن الإنسان ضعيف، وأنه قد ينحنى أمام المغريات بفعل النفس الأمـــارة بالســـوء وبإغواء الشـــيطان، فإنه جعل السيئة التى نرتكبها بسيئة مثلها أو يعفو، وفى المقابل جعل الحسنة بعشرة أمثالها إلى 700 ضعـــف، وجعل للصيام جزاء موفورا لا يخضع للحسابات، إلى هذا الحد يريد الله بنا اليســـر «يريد الله بكم اليســـر ولا يريد بكم العسر» «البقرة 185».

ليس ذلك فحسب، فإن الله جل جلاله أفســـح لنا من أبواب رحمته ما جعل للذنوب كفـــارات، فصوم رمضان يكفـــر عنا ذنوبنا أولاً بأول «من صام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقـــدم من ذنبه» «حديث شريف» والحج المبرور يخرج منه المؤمـــن كيوم ولدته أمـــه، لا ذنب عليه، كذلك العمرة. وكذلك الصدقات تكشط الذنوب وتمحوها «إن تقرضوا الله قرضاً حسناً يضاعفه لكم ويغفر لكم والله شكور حليم» «التغابن 17» والله تلطفاً منه اعتبر الصدقة قرضاً حسناً نقدمه إليه سبحانه، وهو خير الرازقين. وليلة القدر التى هى خير من ألف شهر، يتقبل الله فيها دعاءنا ويغفر لنا ذنوبنا، وأية حسنة نفعلها يكفر الله بها عنا من سيئاتنا «وأقم الصلاة طرفى النهار وزلفاً من الليل إن الحســـنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكريـــن» «هود 114» وبر الوالدين ندخل بـــه الجنة، والصبر على الابتلاءات واحتســـابها عند الله

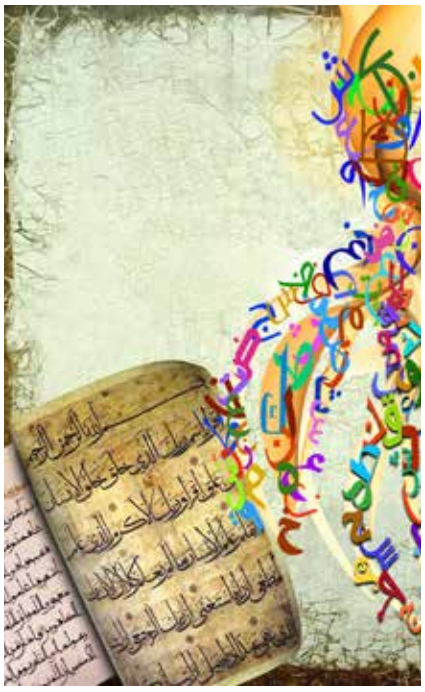

يدخلنا الجنة. أشياء وأشياء يريد الله لنا بهـــا أن نتطهر من الذنوب حتى يدخلنا جناتـــه خالدين فيها، وكلها ميسورة.

وفوق ذلك كله يأتى الاستغفار. فالله ربنا رءوف بنا «إن الله بالناس لـــرءوف رحيم» «الحـــج 65» فهو يدعونا أن نستغفره حتى يغفر لنا، أى أنه يجلى لنا طريق الغفران مما عساه أن يكون قد لحق بنا من ذنوب. وحبذ لنا أوقاتاً من الليل خاصة، وهى الثلث الأخير مـــن الليل، يتنزل فيها سبحانه إلى السماء الدنيا، ويدعونا أن نسأله حتى يعطينا وأن نستغفره حتى يغفـــر لنا «والمســـتغفرين بالأسحار» «آل عمران 17».

لقد يسّر لنا ســـبحانه الطريق لدخول الجنة والاســـتمتاع بما فيها مما لا يحيط به الوصف ولا التصور «فلا تعلم نفس مـــا أخفى لهم من قرة أعين جـــزاء بما كانوا يعملون» «الســـجدة 17» هذا النعيم الذى لا نهاية له، شىء ينبغى أن نسعى إليه بكل مـــا أوتينا من قوة. فلأن يعيش الإنسان منعماً، لا يموت ولا تتقدم به السن ولا يمرض ولا يبتئس، وليس عليه أى واجبـــات ولا متطلبات، ولا هواجس ولا مســـئوليات، أليس هذا شيئا ينبغى أن نتوجه إليه بكل العزم والتصميم؟

هذا بالنسبة للمؤمنين.. أما من تولـــى وكفر «فيعذبـــه الله العذاب الأكبر» «الغاشية 24».

اختيارنا كأفضل بنك في مصر كل سنة كان مجرد البداية

أفـضـل بنـك في الأسـواق الناشئة على مستوى العالم

CIB

بنـك نثـق فيـه

/CIBEgypt | WWW.CIBEG.COM

VITE ١٩٦٦٦